هو العليم

دورة العلوم والمعارف الإسلامية

٢

معرفة الإمام

المجلد التاسع

تأليف

سماحة العلامة الراحل

آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

افاض الله علينا من بركات نفسه القدسية

تعريب

علي هاشم

دار الحجة البيضاء

بسم الله الرحمن الرحیم

هو العزيز

معرفة الإمام

بحوثٌ تفسيريّةٌ ، فلسفيّةٌ ، روآئيّةٌ ، تاريخيّةٌ ، اجتماعيّةٌ

حَوْلَ الإمامةِ والولايَةِ عُمُوماً ؛

و حَوْلَ إمامةِ و ولايةِ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي‌طالبٍ

و الأَئِمَّةِ المعصومينَ سلامُ الله عليهم أجمعين

خصوصاً

دُروسٌ استِدلاليّةٌ و علميّةٌ مُتّخَذةٌ من القرآنِ الكريم

وروايَاتٌ مأْثورةٌ عن الخاصَّةِ والعامَّةِ ؛ وأَبحاثٌ حَلّيَّةٌ ونَقدِيَّةٌ

حَوْلَ الوِلايَةِ

لمؤلّفه الحقير

السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ

عُفِيَ عنه

هُوَ العَزیز

امام شناسی

بحث های تفسیری، فلسفی، روائی، تاریخی، اجتماعی

در بارهٔ امامت وولایت بطور کلی

ودر بارهٔ امامت وولایت أمیرالمؤمنین علی بن أبیطالب

وأئمهٔ معصومین سلام الله علیهم أجمعین بالخصوص

درس های استدلالی علمی متخذ از قرآن کریم

وروایات وارده از خاصه وعامه؛ وابحاث حلی ونقدی

پیرامون ولایت

لمؤلفه الحقیر:

سید محمد حسین حسینی طهرانی

عفی عنه

الفهرس

فهرس مطالب وموضوعات

معرفة الإمام

الجزء التاسع

المطالب الصفحات

الدرس الحادي والعشرون بعد المائة إلى السابع والعشرين بعد المائة

الاستدلالات والاستشهادات بحديث الغدير (حديث الولاية)

الصفحة ٣ إلى الصفحة ٩٩

يشمل المطالب التالية :

شعر ابن مكيّ النيليّ المؤدِّب في وصف أمير المؤمنين عليه السلام ٥

شعر مهيار الديلميّ في بيعة الغدير ٧

الاحتجاجات بحديث الغدير أمام المنكرين واعتراف هؤلاء به ٩

احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير في يوم الشورى ١١

رواية يوسف بن حاتم الشاميّ في الاحتجاج بحديث الغدير في الشورى ١٧

احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير في مسجد النبيّ ٢١

احتجاج الأمير وعرض الكيفيّة التي خطب فيها الرسول حول الغدير ٢٣

الاحتجاج بحديث الغدير وإقرار الصحابة في عصر عثمان ٢٥

احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير في رحبة الكوفة ٢٩

أسماء الصحابة الذين شهدوا بحديث الغدير في الرُّحبة ٣٣

عدد الشهود بحديث الغدير في الرحبة ٣٥

المطالب	الصفحات
رواية «فرائد السمطين» في الاحتجاج بحديث الغدير في الرُّحبة	٣٧
روايات أحمد بن حنبل في الاحتجاج بحديث الغدير في الرُّحبة	٣٩
روايات ابن الأثير حول الاحتجاج بحديث الغدير في الرُّحبة	٤١
روايات أبي نعيم في «حلية الأولياء» حول الاحتجاج بحديث الغدير	٤٥
رواية خطيب خوارزم وبيان معنى المناشدة	٤٧
احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير في معركة الجمل	٤٩
انصراف الزبير عن الحرب وقتله غيلةً	٥١
شهادة أبي أيُّوب الأنصاريّ ومرافقيه بحديث الغدير	٥٣
شهادة اثني عشر رجلاً من الصحابة بحديث الغدير عند أمير المؤمنين	٥٥
كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين في صفيّن مع أبي هريرة وأبي الدرداء	٥٧
أجوبة أمير المؤمنين عليه السلام على أسئلة معاوية	٥٩
شهادة رُسُل معاوية بإنصاف أمير المؤمنين عليه السلام	٦٣
شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير في صفّين	٦٥
احتجاج فاطمة الزهراء والإمام الحسن عليهما السلام بحديث الغدير	٦٧
احتجاج سيّد الشهداء عليه السلام بحديث الغدير في منى	٦٩
احتجاج واستدلال عبد الله بن جعفر أنّ أكثر الناس في جهل	٧١
احتجاج الأصبغ بن نُباتة بحديث الغدير أمام معاوية	٧٧
احتجاج دارميّة الحجونيّة بحديث الغدير أمام معاوية	٧٩
مجلس هامّ عقده المأمون مع علماء العامّة حول ولاية أمير المؤمنين	٨١
احتجاج المأمون أنّ عليّاً عليه السلام أفضل أفراد الأُمّة	٨٣
احتجاج المأمون بسورة الدهر لبيان أفضليّة عليّ عليه السلام	٨٧
استدلال المأمون على أنّ الصحبة في الغدر لا توجب فضيلة	٨٩
احتجاج المأمون بمبيت أمير المؤمنين في فراش رسول الله	٩١

المطالب	الصفحات
استدلال المأمون بحديث المنزلة على خلافة أمير المؤمنين	٩٣
أمر المأمون بعقد ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام	٩٥
شعر الصاحب بن عبّاد في التوسّل بالمعصومين عليهم السلام	٩٩

الدرس الثامن والعشرون بعد المائة إلى الثلاثين بعد المائة

الصفحة ١٠٣ إلى الصفحة ١٦٣

شأن نزول الآ يتين : سَأَلَ سَآئِلٌ ، و : فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً

يشمل المطالب التالية :

أشعار أبي العلى وأبي الفرج في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام	١٠٥
رواية الثعلبيّ في تفسير «الكشف والبيان» حول شأن نزول الآية	١٠٧
أشعار العونيّ ورواية أبي القاسم الحسكانيّ في الآية : **سَأَلَ سَآئِلٌ**	١٠٩
كلام أبي السعود في شأن نزول الآية : **سَأَلَ سَآئِلٌ**	١١١
إنكار ابن تيميّة واقعة نزول العذاب	١١٣
في علوم الدهر النادرة : العلّامة الحلّيّ رضوان الله عليه	١١٧
همّة العلّامة الحلّيّ وجهوده في تشييد المذهب الشيعيّ	١١٩
حسد ابن تيميّة العلّامة الحلّيّ رضوان الله عليه	١٢٥
نزاع الشيعة مع العامّة في أُصول الشريعة	١٢٧
العامّة يتبعون حكّام الجور مع العلم والوجدان	١٢٩
أعيان علماء العامّة ذكروا الآية : **سَأَلَ سَآئِلٌ** في منكر عليّ عليه السلام	١٣١
الأبطح لا يخصّ مكّة	١٣٣
بيان أهل اللغة في الأبطح أ نّه المسيل الواسع الذي فيه الرمل والحصى	١٣٥
مماحكة ابن تيميّة في معنى الأبطح	١٣٩
لعلّ الآيات الأُولى من سورة المعارج مدنيّة	١٤١

المطالب	الصفحات
الآية : «**وَإِذْ قَالُوا ٱللَّهُم**» لا يمكن أن تكون كلاماً صادراً أعن وثنيّ	١٤٣
إمكان نزول العذاب على هذه الأُمّة ، في حالة دوام المخالفة	١٤٥
أمر رسول الله بقتل ثلاثة من أسرى معركة بدر صبراً	١٤٧
قياس قضيّة الحارث بقضيّة أصحاب الفيل مع الفارق	١٥٣
أهل السنّة يلعنون الوهّابيّين أيضاً	١٥٥
إنّ كتب الرجال والتراجم جميعها لم تذكر عشراً من أسماء الصحابة	١٥٧
مؤاخذة على الشيخ محمّد عبده لذكره إشكالات ابن تيميّة	١٦١

الدرس الحادي والثلاثون بعد المائة إلى الرابع والثلاثين بعد المائة

عيد الغدير ، عيد الإسلام الكبير ويوم التهنئة

الصفحة ١٦٧ إلى الصفحة ٢٤٢

يشمل المطالب التالية :

يوم غدير خمّ ، يوم عيد	١٦٩
خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في فضيلة الغدير	١٧١
أبيات البشنويّ الكرديّ حول عيد الغدير	١٧٥
معنى العيد في اللغة وفي اصطلاح الناس	١٧٧
السيّد ابن طاووس رضوان الله عليه يعيّد في يوم بلوغ ولده	١٧٩
معنى عيد الفطر وعيد الأضحى	١٨١
عيد الغدير أفضل الأعياد	١٨٣
أئمّة الشيعة وشيعتهم يحيون عيد الغدير	١٨٥
عيد الغدير عند سائر المسلمين من العامّة	١٨٧
على الملوك أن يعيّدوا بعيد الغدير بدل عيد التتويج	١٨٩
مصافقة الناس وبيعتهم أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير	١٩١

المطالب	الصفحات
تهنئة الشيخين لأمير المؤمنين عليه السلام وتسليمهما بولايته	١٩٣
تهنئة عمر لأمير المؤمنين عليه السلام في يوم غدير خمّ	١٩٥
فهم الشيخين لمعنى الولاية على أنّها الإمامة ، وعدولهما عن الحقيقة	١٩٩
نقاش ابن طاووس مع أحد فقهاء السنّة في حرم الإمامين الكاظمين	٢٠٣
بيان ابن طاووس في حالات مختلفة أنّ الصحابة خالفوا رسول الله	٢٠٥
خطبة أبي الهيثم بن التيّهان في سبب حسد قريش على لأمير المؤمنين	٢١١
يوم الغدير عيد عند رسول الله وجميع الأئمّة عليهم السلام	٢١٣
ثواب عمل الخير في يوم الغدير يعادل ثواب ثمانين شهراً	٢١٧
عيد الغدير يوم نزول جميع الخيرات والبركات	٢١٩
أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو الإسلام كلّه	٢٢١
عظمة يوم الغدير ، وثواب الصيام في ذلك العيد	٢٢٣
رواية الحِميَريّ في عظمة عيد الغدير ، والصلاة الواردة فيه	٢٢٥
الدعاء والصيام وزيارة أمير المؤمنين عليه السلام في عيد الغدير	٢٢٧
ثواب التفطير في يوم عيد الغدير	٢٣٣
ضروب الثواب والجزاء كلّها تفضّل وإحسان	٢٣٩
الحديث القدسيّ في آثار النوافل	٢٤١

الدرس الخامس والثلاثون بعد المائة

تعميم رسولِ الله أميرَ المؤمنين عليهما السلام في يوم عيد الغدير

الصفحة ٢٤٥ إلى الصفحة ٢٦٣

يشمل المطالب التالية :

أفضل اللباس ما لا يشغل الإنسان عن الله بغير الله	٢٤٧
التأسّي برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوجب النجاة	٢٤٩

المطالب	الصفحات
قبّعة المسلمين ولباسهم ينبغي أن يكونا مثل ما كانا لرسول الله منهما	٢٥١
عمائم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم	٢٥٣
العمامة تاج العزّة	٢٥٥
رسول الله يضع العمامة على رأس أمير المؤمنين في يوم عيد الغدير	٢٥٧
الروايات الواردة في فضيلة الاعتمام	٢٥٩

الدرس الحادي والعشرون بعد المائة
إلى السابع والعشرين بعد المائة

الاستدلالات والاستشهادات
بحديث الغدير (حديث الولاية)

بِسْـمِ اللَهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيم
وصلَّى اللهُ على محمّد وآله الطَّاهرين
ولعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين
ولا حول ولا قوّة إلّا باللَه العليّ العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم : **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ.**[1]

قَـمَرٌ أَقَـامَ قِـيامَتي بِـقَوامِـهِ ... لِمَ لَا يَجُودُ لِـمُهْجَتِي بِـذِمَامِهِ؟
مَلَّكْتُهُ كَـبدِي فَأتْـلَفَ مُـهْجَتِي ... بِجَمَالِ بَـهْجَتِهِ وَحُسـنِ كَـلَامِهِ
وَبِـمَبْسَمٍ عَـذْبٍ كَأنَّ رُضَـابَهُ ... شَهْدٌ مُذَابٌ فِـي عَـبيرٍ مُـدَامِـهِ
وَبِـنَاظِرٍ غَـنْجٍ وَطَـرْفٍ أحْـوَرٍ ... يُصْمي القُلُوبَ إذَا رَنَا بِسِهَامِهِ
وَكَأنَّ خَطَّ عِـذَارِهِ فِـي حُسْـنِهِ ... شَمْسٌ تَجَلَّتْ وَهِيَ تَحْتَ لِثَامِهِ
فَالصُّبْحُ يُسْفِرُ مِنْ ضِياء جَـبِينِهِ ... وَاللَيْلُ يُقْبِلُ مِنْ أثِـيثِ ظَـلَامِهِ
وَالظَّبْيُ لَيْسَ لِـحَاظُهُ كَـلِحَاظِهِ ... وَالغُصْنُ لَيْسَ قَوَامُـهُ كَـقَوامِـهِ
قَمَرٌ كَأنَّ الحُسْنَ يَعْشِقُ بَـعْضُهُ ... بَـعْضاً فَسَـاعَدَهُ عَـلَى قَسَّـامِهِ
فَـالحُسْنُ مِـنْ تِـلْقَائِهِ وَوَرَائِـهِ ... وَيَـمِينِهِ وَشِـمَالِهِ وَأَقَـامِهِ
وَيَكَادُ مِنْ تَرَفٍ لِـدِقَّةِ خَـصْرِهِ ... يَـنْقَدُّ بِـالأَرْدَافِ عِـنْدَ قِـيامِهِ[2]

١ـ الآية ٨٣ من السورة ٦ : الأنعام .

٢ـ «الغدير» ج ٤ ، ص ٣٩٢ و ٣٩٣ .

هذه الأبيات للشاعر ابن مكّي النيلي المتوفّى سنة ٥٦٥ هـ. وهو سعيد بن أحمد بن مكّي النيلي المؤدّب، أحد أعلام الشيعة وشعرائها المجيدين المتفانين في حبّ العترة الطاهرة وولائها. وله في الغدير:

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّداً
بِحَيْدَرةٍ أَوْصَى وَلَمْ يَسْكُنِ الرَّمْسا
وقَالَ لَهُمْ وَالقَوْمُ فِي خُمِّ حُضَّرٌ
وَيَتْلُوالَّذي فِيهِ وَقَدْ هَمَسُوا هَمْسَا
عَلِيٌّ كَزِرِّي مِنْ قَمِيصِي وَإِنَّهُ
نَصِيرِي وَمِنِّي مِثْلُ هَارُونَ مِنْ مُوسَى
أَلَمْ تُبْصِروا الثُّعْبَانُ مُسْتَشْفِعاً بِهِ
إِلَى اللَهِ وَالمَعْصُومُ يَلْحَسُهُ لَحْسَا
فَعَادَ كَطَاووسٍ يَطيرُ كَأَنَّهُ
تَعَشْرَمَ في الأَمْلَاكِ فَاسْتَوْجَبَ الحَبْسَا
أَمَا رَدَّ كَفَّ العَبْدِ بَعْدَ انْقِطَاعِهَا
أَمَا رَدَّ عَيْناً بَعْدَمَا طَمَسَتْ طَمْسَا[1]

١ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٥٢٤، الطبعة الحجريّة.

وجاء في البيت الخامس: تَغَشْرَمَ بالغين المعجمة. وعندما نقل العلّامة الأمينيّ في «الغدير» ج ٤، ص ٣٩٢ هذه الأبيات عن «المناقب» فإنّه ذكر الكلمة المشار إليها بالغين المعجمة أيضاً. بَيدَ أنّ هذه الكلمة غير موجودة في كتب اللغة مثل: «أقرب الموارد»، «صحاح اللغة»، «لسان العرب»، «مجمع البحرين». فلهذا ينبغي أن نقول: هي إمّا تَغَشَّمَ، والمعنى: ظلم، أو تَغَشْمَرَ، والمعنى: أخذ الشيء قهراً، وفيها تصحيف. والأقرب أن نقول: هي تَعَشْرَمَ بالعين المهملة، وعَشْرَمَ كما ذكر الفيروزآباديّ في «قاموس اللغة»: خشن وصلب. فعلى هذه ينبغي أن نقول إنّ تَعَشْرَمَ أُخذ منه، وهو بمعنى تصلّب واستعلى. ⇦

وقال الصاحب بن عبّاد :

الَّذِي كَفَّلَهُ صَغِيراً وَرَبَّاهُ وَبِالعِلْمِ وَبِالحِكْمَةِ غَذَّاهُ
وَعَلَى كِتْفِهِ رَقَاهُ وَسَاهَمَهُ فِي المَسْجِدِ وَسَاوَاهُ
وَقَامَ بِالغَدِيرِ وَنَاداهُ وَرَفَعَ ضَبْعَهُ وَأعْلَاهُ
وَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ
اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ[1]

وقال مهيار الديلميّ :[2]

⇦ وذكر الشاعر ابن حمّاد هذه القصّة في أبيات له ، كما نقل ذلك ابن شهرآشوب في «المناقب» ج ١ ، ص ٤٥٧ .

وَمَنْ نَاجَاهُ ثُعْبَانٌ عَظِيمٌ بِبَابِ الظُّهْرِ أَلْقَتْهُ السَّحَابُ
رَآهُ النَّاسُ فَانْخَلَفُوا بِرُعْبٍ وَأُغْلِقَتِ المَسَالِكُ وَالرِّحَابُ
فَلَمَّا أنْ دَنَا مِنْهُ عَلِيٌّ تَدَانَى النَّاسُ وَانْحَشَدَ الحُبَابُ
فَكَلَّمَهُ عَلِيٌّ مُسْتَطِيلًا فَأَقْبَلَ لَا يَخَافُ وَلَا يَهَابُ
وَرَنَّا رَنَّةً وَانْسَابَ فِيهِ يَقُولُ وَقَدْ تَسَتَّرَهُ الثِّيابُ
أَنَا مَلِكٌ مُسِخْتُ وَأَنْتَ مَوْلَىً دُعَاؤكَ إنْ مَنَنْتَ بِهِ عُجَابُ
أَتَيْتُكَ تَائِباً فَاشْفَعْ إلَى مَنْ إلَيْهِ مِنْ جِنَايَتِي المَتَابُ
فَأَقْبَلَ دَاعِياً وَأَتَى أخُوهُ يُؤَمِّنُ فِي الدُّعَاءِ لَهُ انْسِكَابُ
فَلَمَّا أنْ أُجِيبَ أظَلَّ يَعْلُو كَمَا يَعْلُو لَدَى الجَوِّ العُقَابُ
نَبَتْهُ بِرِيشِ طَاوُوسٍ عَلَيْهِ جَوَاهِرِ زَانَهَا التِّبْرُ المُذابُ
يَقُولُ لَقَدْ نَجَوْتُ بِأَهْلِ بَيْتٍ بِهِمْ يُصْلَى لَظَى وَبِهِم يُثابُ

١ـ «المناقب» ج ١ ، ص ٥٣٠ .

٢ـ هو أبو الحسن مَهيار بن مرزويه الديلميّ البغداديّ من أساطين الأدب العربيّ . ويعدّ في الرعيل الأوّل من الشعراء في قوّة الشعر . وكان كبار العلماء والأُدباء يستفيدون منه لأنّه رفع أعظم راية للأدب العربيّ بين المشرق والمغرب . وهو من أعلام التشيّع وشعره طافح بالبرهنة والحجج والاستدلال الدامغ . ويعتبر من أهمّ أركان الشعر العلويّ الذابّ ⇦

وَأسْأَلُهُمْ يَوْمَ خُمٍّ بَعْدَمَا عَقَدُوا لَهُ الوَلَايَةَ لِمْ خَانُوا وَلِمْ خَلَعُوا
قَوْلٌ صَحيحٌ وَنِيّاتٌ بِهَا دَغَلٌ لَا يَنْفَعُ السَّيْفَ صَقْلٌ تَحْتَهُ طَبَعُ
إنْكَارُهُمْ يَا أميرَ المُؤْمِنِينَ لَهَا بَعْدَ اعْتِرَافِهِمْ عَارٌ بِهِ ادَّرَعُوا
وَنَكْثُهُمْ يَكُ مَيْلاً عَنْ وَصِيَّتِهِ شَرْعٌ لَعَمْرُكَ ثَانٍ بَعْدَمَا شُرِعُوا[1]

قال ابن شهرآشوب : قال صاحب «الجمهرة» في الخاء والميم : خُمّ موضع نصّ فيه النبيّ صلّى الله عليه وآله على عليّ عليه السلام بالولاية . وذكره عمر بن أبي ربيعة في مفاخرته ، وذكره حسّان بن ثابت في شعره .

وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام قال : **لَمَّا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خُمٍّ غَدِيرٍ بَيْنَ أَلْفٍ وَثَلَاثِمائَةِ رَجُلٍ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ** ـ الخبر .

⇦ عن مذهب أهل البيت في عصره.

كان مهيار فارسيّاً مجوسيّاً ، وهو من أحفاد كسرى أنوشيروان العادل كما ذكرنا ذلك سابقاً نقلاً من عبدالجليل القزوينيّ في كتاب «النقض» . وأسلم على يد الشريف الرضيّ ، وتربّي على يده ، وتخرّج عليه في الشعر والأدب ، وتعلّم منه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. توفّى في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ٤٢٨ هـ. والعجيب أنّ مهيار وهو فارسيّ اللغة والأصل كان أُستاذاً في العربيّة بحيث إنّ شعراء العرب كانوا يعرضون أشعارهم عليه ، فيصحّحها لهم. وسلّم كبار الشعراء بأُستاذيّته . وكان مقدّماً على شعراء عصره لا يوزن به أحد . ولاغرو أن يبلغ امرؤ كمهيار المتشرّف بولاء أهل البيت ، المتعلّم من الشريفين العظيمين: المرتضى والرضيّ ، المقتصّ آثار الشيخ المفيد ، درجة رفيعة من الدين والعقل والشرع والأدب ويصبح علماً في عصره يتحدّث فيه الخاصّ والعامّ . جاء في كتاب «الغدير» ج ٤ ، ص ٢٣٢ إلى ٢٦١ بحث يدور حول مَهيار الديلميّ ونقل صاحب «الغدير» عدداً من قصائده سواء في الغدير، أم في مدح أهل البيت عليهم السلام ورثائهم . وذكر له في ص ٢٥٦ قصيدة في رثاء الشيخ المفيد: ابن المعلّم محمّدبن محمّد بن النعمان المتوفّى سنة ٤١٣ هـ ، وتتكوّن من واحد وتسعين بيتاً.

١ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١ ، ص ٥٣٠ ، الطبعة الحجريّة .

وعن الصادق عليه السلام : **نُعْطِي حُقُوقَ النَّاسِ بِشَهَادَةِ شَاهِدَيْنِ، وَمَا أُعْطِيَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ حَقَّهُ بِشَهَادَةِ عَشْرَةِ آلَافِ نَفْسٍ-يَعْنِي الغَدِيرَ-**[1]

ويحوم بحثنا حول الاحتجاجات المأثورة في حديث الغدير المشهور بحديث الولاية ؛ أي : الاستدلالات والاستشهادات بحديث الولاية . وهو ما يمثّل وحده وثيقة هامّة لحديث الغدير ، سواء من حيث وروده أم من حيث دلالته .

وعندما تحدّثنا عن آية التطهير في الدرس الأربعين إلى الدرس الخامس والأربعين ، في الجزء الثالث من كتابنا هذا ، فإنّا عقدنا فصلاً في الاحتجاجات بآية التطهير ، قد استبان فيه مَنِ استدلّ بهذه الآية على تخصيص أهل البيت عليهم السلام بالطهارة ، وهم : **مُحَمَّد، عَلِيّ، فَاطِمَة، الحَسَن، الحُسَيْن**،[2] وذلك اعتباراً من عصر رسول الله حتّى سائر العصور . وأنّ احتجاجاً كاحتجاج رسول الله ، وأمير المؤمنين ، والحسن ، والحسين ، وكثير من الصحابة والتابعين مستمسك عظيم لمفاد آية التطهير ومدلولها . وأفرد العلماء الكبار كالمجلسيّ رضوان الله عليه والشيخ الطبرسيّ صاحب «الاحتجاج» فصلاً في الاحتجاجات . وذكر العلّامة الأمينيّ في كتابه القيّم والنفيس «الغدير» ، (ج ١ ، من ص ١٥٩ إلى ٢١٣) اثنين وعشرين مطلباً تمّ فيها الاحتجاج والاستدلال بحديث الغدير من الطرق المقبولة عند العامّة ، والكتب المسلّم بها عندهم ؛ بَيدَ أنّا نجتزئ هنا بعدد من الاحتجاجات الهامّة

١ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١ ، ص ٥٢٩ ، الطبعة الحجريّة .

٢ـ ذكرنا في ذلك البحث أنّ الأحاديث المأثورة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سواء كانت عن طريق الشيعة أو عن طريق العامّة تحصر أصحاب الكساء الذين خصّوا بآية التطهير في هؤلاء الخمسة ، ولكنّها تشمل الأئمّة المعصومين عليهم السلام كلّهم حسب الإجماع القطعيّ ، والمناط الكلّيّ ، والروايات المتواترة.

الواردة في كتب الفريقين ، ونأمل بحول الله وقوّته أن تكون منارا لإرشاد إخواننا السنّة وهدايتهم .

إنّ حديث الولاية : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ** كان ولا يزال من الأُصول الثابتة المسلَّم بها منذ عصر صدر الإسلام ، والقرون الأوْلى ، حتّى عصرنا هذا . وكان الشيعة الموالون يلجأون إليه في البحث والمناظرة ، ولا قِبَل للخصوم والمعاندين بإنكار صدوره . وكانت تختتم المجادلات والمخاصمات بالاستشهاد والاستدلال به . ومن هذا المنطق نلحظ أنّ الاحتجاجات بهذا الحديث كانت كثيرة منذ البداية ، وقد شاعت بين الصحابة والتابعين ،كما شاعت في عهد خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وقبله وبعده . وما نشاهده في الاحتجاجات حتّى عصرنا الراهن أنّ هذا الحديث يشعّ في مطلع الاستدلالات والاستشهادات كالشمس الساطعة من وراء الأُفق ، المرسلة أشعّتها إلى الأرض .

يشير التأريخ إلى أنّ أوّل احتجاج بهذا الحديث صدر عن أمير المؤمنين عليه السلام نفسه بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عندما أُخِذ من قبل أعوان أبي بكر وعمر إلى المسجد للبيعة ، فاحتجّ بالحديث المشار إليه أمام عامّة الناس . ثمّ تلته احتجاجات أُخرى ذكرها التأريخ .

الاحتجاج الأوَّل : ورد في كتاب «سُلَيْم بن قَيْس الهلالي الكوفي» .[1]

١ـ سُلَيم بن قيس الهِلاليّ العامريّ الكوفيّ من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام توفّي حوالي سنة ٩٠ هـ . ولاشكّ في جلالته ووثوقه وورعه بين أصحاب التراجم ورجال الشيعة والعامّة، إذ نعتوه كلّهم بالعظمة والعدالة والزهد . له كتاب يعرف بكتاب سُليم، وهو مشهور بين الأعاظم، ويروي عنه كبار الشيعة والعامّة . وورد عن الإمام الصادق عليه السلام فيه قوله : **مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنْ شِيعَتِنَا وَمُحِبِّينَا كِتَابُ سُلَيْم بْنِ قَيْسٍ الهِلَالِيِّ فَلَيْسَ عَنْدَهُ** ⇦

. . . . . .

⇦ مِنْ أَمْرِنَا شَيْءٌ وَلَا يَعْلَمُ مِنْ أَسْبَابِنَا شَيْئاً وَهُوَ أَبْجَدُ الشِّيعَةِ ، وَهُوَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ آل محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم .

يروي سليم في كتابه عن أمير المؤمنين عليه السلام بلا واسطة ، وكذلك يروي عن سلمان، والمقداد، وأبي ذرّ ونظائرهم من الصحابة . والروايات التي ينقلها عن أحد الأصحاب، كان يعرضها على الآخرين ، فيؤيّدونها . أدرك سليم أمير المؤمنين عليّاً، والحسن، والحسين، والسجّاد، والباقر عليهم السلام . وعندما سافر إلى المدينة مرّة، عرض أحاديثه على الإمام السجّاد فأقرّها. ولمّا جاء الحجّاج بن يوسف الثقفيّ إلى العراق ولاحقه، فرّ منه، نزل على أبان بن أبي عيّاش فآواه ، وأقام عنده حتّى مات . دفع سليم كتابه إلى أبان وأجازه أن يرويه لثقات الشيعة وحفّاظها . فلهذا نجد أنّ جميع الروايات التي يرويها أبان عن سُليم هي من هذا الكتاب . ويعتبر كتاب سليم من أهمّ أُصول الشيعة . وكان يعوّل عليه محدّثو الشيعة والعامّة في العصور القديمة.

ونقل عن سليم بأسانيد متعدّدة كثير من قدماء الأصحاب في كتبهم ، مثل كتاب «إثبات الرجعة»، و«الاحتجاج»، و «عيون المعجزات» ، و «من لا يحضره الفقيه»، و«بصائر الدرجات»، و«الكافي»، و «الخصال» ، و «تفسير فرات بن إبراهيم» ، و«تفسير محمّد بن عبّاس بن ماهيار»، و «الدّر النظيم في مناقب الأئمّة اللهاميم» ، وروى عن كتابه أيضاً أعاظم العامّة كالحاكم الحسكانيّ في «شواهد التنزيل» ، والإمام الحمّوئيّ في «فرائد السمطين»، والسيّد عليّ بن شهاب الدين الهَمَدانيّ في «مودّة القربى» ، والقندوزيّ الحنفيّ في «ينابيع المودّة» وغيرهم.

وحول كتابه هذا يقول محمّد بن إسحاق الورّاق المعروف بابن النديم في كتاب «الفهرست»، ص ٢٧٥ ، طبعة جامعة طهران : «سليم من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان هارباً من الحجّاج لأنّه طلبه ليقتله ، فلجأ إلى أبان بن أبي عيّاش فآواه. فلمّا حضرته الوفاة، قال لأبان : إنّ لك عَلَيَّ حقّاً ، وقد حضرتني الوفاة ، يا ابن أخي ! إنّه كان من أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كيت وكيت ! وأعطاه كتاباً وهو كتاب سليم بن قيس الهلاليّ المشهور، رواه عنه أبان بن أبي عيّاش لم يروه عنه غيره . وكان سليم شيخاً له نور يعلوه؛ وأوّل كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلاليّ »- انتهى.

وقال المسعوديّ في كتاب «التنبيه والإشراف» ص ١٩٨ و ١٩٩ : «والقطعيّة وهم ⇦

تطرّق سليم إلى الأحداث الواقعة بعد وفاة رسول الله ، وعرض بيعة أبي بكر ، ثمّ ذكر شرحاً مفصّلاً لكيفيّة أخذ أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد ، إلى أن بلغ قوله : فانتهوا بعليّ عليه السلام إلى أبي بكر وهو يقول : أما والله لو وقع سيفي في يدي ، لعلمتم أنّكم لم تصلوا إلى هذا أبداً . أما والله ما ألوم نفسي في جهادكم . ولو كنت استمكنت من الأربعين رجلاً لفرّقت جماعتكم . ولكن لعن الله أقواماً بايعوني ثمّ خذلوني ، ولمّا أن بصر به أبو بكر صاح : خلّوا سبيله !

فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا أَبَا بَكْرٍ ! مَا أَسْرَعَ مَا ثَوَثَّبْتُمْ عَلَى رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ! بِأَيِّ حَقٍّ وَبِأَيِّ مَنْزِلَةٍ دَعَوْتَ النَّاسَ إِلَى بَيْعَتِكَ ؟! أَلَمْ تُبَايِعنِي بِالأَمْسِ بِأَمْرِ اللَهِ وَأَمْرِ رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟!

وتزامن كلام الإمام مع قيام قُنْفُذُ لعنه الله بضرب فاطمة سلام الله عليها بالسوط حين حالت بينه وبين زوجها . وأرسل إليه عمر إن حالت بينك وبينه فاطمة فاضربها ! فضربها قنفذ بعضادة باب بيتها ، ودفعها فكسر

⇦ الذين لم يقفوا على إمامة موسى بن جعفر ، بل اعتقدوا بإمامة الأئمّة الاثني عشر. وأصلهم في حصر العدد ما ذكره سليم بن قيس الهلاليّ في كتابه الذي رواه عنه أبان بن أبي عيّاش أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: **أَنْتَ وَاثْنَا عَشَرَ مِنْ وُلْدِكَ أَئِمَّةُ الحَقِّ** . ولم يَرْوِ هذا الخبر غير سليم . وأنّ إمامهم المنتظر ظهوره في وقتنا هذا المؤرّخ به كتابنا (التنبيه والإشراف) هو محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين».

وقال القاضي بدر الدين السبكيّ في كتاب «محاسن الوسائل في معرفة الأوائل» : إنّ أوّل كتاب صنّف للشيعة هو كتاب : «سليم بن قيس الهلاليّ» ـ انتهى.

ضلعها من جنبها ، فألقت جنيناً من بطنها . فلم تزل صاحبة فراش حتّى ماتت صلّى الله عليها شهيدة (مظلومة) .

ولمّا انتهي بعليّ عليه السلام إلى أبي بكر انتهره عمر ، وقال له : بايع ودع عنك هذه الأباطيل ! فقال له عليّ : فإن لم أفعل ، فما أنتم صانعون ؟! قالوا : نقتلك ذلّاً وصغاراً ! فقال : إذاً تقتلون عبداً للّه وأخا رسوله !

قال أبو بكر : أمّا عبد الله فنعم ، وأمّا أخا رسول الله ، فما نقرّ بهذا .

قَالَ : أَتَجْحَدُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آخَى بَيْنِي وَبَيْنَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَعَادَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ! أُنْشِدُكُمُ اللَهَ أَسَمِعْتُمْ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ كَذَا وَكَذَا ؟ فَلَمْ يَدَعْ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَيْئاً قَالَهُ فِيهِ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَةً لِلعَامَّةِ إِلَّا ذَكَّرَهُمْ إِيَّاهُ !

قَالُوا : نَعَمْ ! فَلَمَّا تَخَوَّفَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَنْصُرَهُ النَّاسُ وَأَنْ يَمْنَعُوهُ ، بَادَرَهُمْ فَقَالَ : كُلُّ مَا قُلْتَ حَقٌّ قَدْ سَمِعْنَاهُ بِآذَانِنَا وَوَعَتْهُ قُلُوبُنَا وَلَكِنْ قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَهِ يَقُولُ بَعْدَ هَذَا : إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اصْطَفَانَا اللَهُ وَأَكْرَمَنَا وَاخْتَارَ لَنَا الآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَإِنَّ اللَهَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْمَعَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ النُّبُوَّةَ وَالخِلافَةَ .

فقال عليّ عليه السلام : هل أحد من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله شهد هذا معك ؟!

فقال عمر : صدق خليفة رسول الله ، قد سمعته منه كما قال . وقال أبو عبيدة ، وسالم مَوْلَى أبي حذيفة ، ومَعاذ بن جَبَل : قد سمعنا ذلك من رسول الله .

فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيهِ السَّلَامُ : لَقَدْ وَفَيْتُمْ بِصَحِيفَتِكُمُ الَّتِي تعاقَدْتُمْ عَلَيْها

فِي الكَعْبَةِ إنْ قَتَلَ اللَهُ مُحَمَّداً أوْ مَاتَ لَتَزْوُنَّ هَذَا الأَمْرَ عَنَّا أهْلَ البَيْتِ ـ الحديث .[١]

الاحتجاج الثاني : وكان في يوم الشورى التي عيّن عمر أعضاءها لنصب الخليفة بعده .

قال ابن شهرآشوب في مناقبه : والجمع عليه أنّ الثامن عشر من ذي الحجّة كان يوم غدير خمّ ، فأمر النبيّ منادياً فنادى : **الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ** . وقال : **مَنْ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ ! قَالُوا : اللَهُ وَرَسُولُهُ . فَقَالَ : اللَهُمَّ اشْهَدْ** . ثمّ أخذ بِيَدِ عليّ فقال : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ** . ويؤكّد ذلك : أنّه استشهد به أمير المؤمنين عليه السلام يوم الدار حيث عدّد فضائله فقال : أفيكم من قال له رسول الله : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ** ؟ فقالوا : لا . فاعترفوا بذلك وهم جمهور الصحابة .[٢]

روى أخطب خطباء خوارزم : موفّق بن أحمد في مناقبه عن **أبي نَجيب سَعْد بن عبد الله الهَمَدانيّ المَروزَيّ** بسندين : الأوّل عن **الحافظ أبي عليّ بن الحسن بن أحمد** ، والآخر عن **الحافظ سليمان بن محمّد** . وكلاهما يروي عن أبي الطفيل : عامر بن وَاثَلَة ، قال : **كُنْتُ عَلَى البابِ يَوْمَ الشُّورَى مَعَ عَلِيٍّ فِي البَيْتِ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لَهُمْ : لَأَحْتَجَّنَّ عَلَيْكُمْ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ عَرَبِيُّكُمْ وَلَا عَجَمِيُّكُمْ تَغْيِيرَ ذَلِكَ ! ثُمَّ قَالَ : أُنْشِدُكُمْ اللَهَ أَيُّهَا النَّفَرُ جَمِيعاً أَفِيكُمْ أَحَدٌ وَحَّدَ اللَهَ قَبْلِي ؟! قَالُوا : لَا !**

قَالَ : فَأُنْشِدُكُمُ اللَهَ هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ لَهُ أَخٌ مِثْلُ جَعْفَرٍ الطَّيَّارِ فِي الجَنَّةِ

١ـ «كتاب سليم» ص ٨٥ و ٨٦ ، طبعة النجف الثالثة .

٢ـ «المناقب» ج ١ ، ص ٥٣٠ ، الطبعة الحجريّة .

مَعَ المَلَائِكَةِ ؟

قَالُوا : اللَهُمَّ ، لَا !

قَالَ : فَأُنْشِدُكُمُ اللَهَ هَلْ فِيكُمْ أَحَدُ لَهُ عَمٌّ كَعَمِّي حَمْزَةَ أَسَدِ اللَهِ وَأَسَدِ رَسُولِهِ سَيِّدِ الشُّهَداءِ غَيْرِي ؟! قَالُوا: اللَهُمَّ لَا !

قَالَ : فَأُنْشِدُكُمْ بِاللَهِ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ لَهُ زَوْجَةٌ مِثْلُ زَوْجَتِي فَاطَمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِةِ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ غَيْرِي ؟! قَالُوا: اللَهُمَّ لَا !

قَالَ : أُنْشِدُكُمْ بِاللَهِ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ لَهُ سِبْطَانِ مِثْلُ سِبْطَيَّ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ سَيِّدي شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ غَيْرِي ؟! قَالُوا : اللَهُمَّ لَا !

قَالَ : فَأُنْشِدُكُمْ بِاللَهِ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ نَاجَى رَسُولَ اللَهِ مَرَّاتِ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَي نَجْوَاهُ صَدَقَةً قَبْلِي ؟! قَالُوا : اللَهُمَّ لَا !

قَالَ : فَأُنْشِدُكُمْ بِاللَهِ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ . لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ غَيْرِي ؟! قَالُوا: اللَهُمَّ لَا ـ الحديث مفصّلاً.[1]

وقال العلّامة الأمينيّ بعد نقل هذا الاحتجاج عن الخوارزميّ : وأخرجه الإمام الحمّوئيّ في «فرائد السمْطَيْن» في الباب الثامن والخمسين عن تاج الدين عليّ بن المحبّ بن عبد الله الخازن المعروف بابن‌الساعي .[2]

وما وجدناه في «فرائد السمطين» هو حديث المناشده الذي جرى فى أيّام حكومة عثمان ، إذ استهشد به أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد

١ـ «مناقب الخوارزميّ» ص ٢١٦ و ٢١٧ ، الطبعة الحجريّة ، والطبعة الحديثة، ص ٢٢١ و ٢٢٢؛ و«الغدير» ج ١ ، ، ص ١٥٩ و ١٦٠ عن «مناقب الخوارزميّ».

٢ـ «الغدير» ج ١ ، ص ١٦٠ .

رسول الله بحضور جماعة من قريش عندماكان يعرض مفاخره ومناقبه . ورواه الحمّوئيّ في الباب الثامن والخمسين من السمط الأوّل ،[1] و هو غير حديث المناشدة في يوم الشورى ، وبسند آخر غير السند الذي نقله صاحب «الغدير» .

واعترف الفخر الرازيّ في تفسيره باحتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام في يوم الشورى بحديث الغدير . وقال في ذيل تفسير آية الولاية : **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وهُمْ رَٰكِعُونَ** ، وهي الآية التي يقول الشيعة إنّها نزلت في أمير المؤمنين ، وفيها نصّ على ولايته عندما تصدّق بخاتمه للفقير : إنّ عليّ بن أبي طالب كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الروافض . فلو كانت هذه الآية دالّة على إمامته ، لاحتجّ بها في محفل من المحافل وليس للشيعة أن يقولوا : إنّ أمير المؤمنين تركه للتقيّة ، فإنّهم ينقلون عنه أنّه تمسّك يوم الشورى بخبر الغدير ، وخبر المباهلة ، وجميع فضائله ومناقبه ، ولم يتمسّك ألبتّة بهذه الآية في إثبات إمامته .[2]

ونقل صاحب «الغدير» هذا الكلام نفسه عن الطبريّ في تفسيره ، ج ٣ ، ص ٤١٨ .[3] ولم يُذْكَرْ هذا الموضوع في تفسير الطبريّ . والذي يظهر أنّ الطبريّ قد اشْتُبِهَ بالفخر الرازيّ .

إنّ احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام يوم الشورى بحديث الغدير ، كما قال الفخر الرازيّ ، ثابت . وأمّا ما قاله في آية الولاية المذكورة محاولاً

١ـ «فرائد السمطين» ، ج ١ ، الباب ٥٨ ، ص ٣١٢ إلى ٣١٨ .

٢ـ «تفسير مفاتيح الغيب» ج ٣ ، ص ٦٢٠ و ٦٢١ ، الطبعة الأُولى .

٣ـ «الغدير» ج ١ ، ص ١٦٢ .

حرفها عن أمير المؤمنين عليه السلام بكلّ ما أُوتي من جهد ، فلا يصحّ . وقد ناقشنا هذا الموضوع بحمد الله وقوَّتِه نقاشاً وافياً في الجزء الخامس من كتابنا هذا ، في الدرس الثاني والسبعين إلى الدرس الخامس والسبعين عندما تعرّضنا إلى آية الولاية وشأن نزولها في أمير المؤمنين وردّ على الفخر الرازيّ . وبيّنا هناك المواضع التي احتجّ واستشهد أمير المؤمنين عليه السلام فيها بهذه الآية . **وَالحَمْدُ لِلّهِ وَحْدَهُ**.

وذكر ابن أبي الحديد أيضاً احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير يوم الشورى في ذيل شرح كلام الإمام في «نهج البلاغة» لمّا عزم أعضاء الشورى على بيعة عثمان .

وكلام الإمام يتمثّل في قوله : **لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي : وَوَاللَهِ لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمورُ المُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً ، التِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْداً فيما تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ**.[1]

قال ابن أبي الحديد : نحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الروايات من مناشدة أصحاب الشورى وتعديده فضائله وخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم ، قد روى الناس ذلك فأكثروا . والذي صحّ عندنا أنّه لم يكن الأمر كما روي من تلك التعديدات الطويلة ، ولكنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لهم بعد أن بايع عبد الرحمن بن عَوْف والحاضرون عثمانَ ، وتلكّأهو عليه السلام عن البيعة : **إِنَّ لَنَا حَقّاً إِنْ نُعْطَهُ نَأْخُذْهُ وَإِنْ نُمْنَعْهُ نَرْكَبْ أَعْجَازَ الإِبِلِ وَإِن طَالَ السُّرَى**.[2]

١ـ «نهج البلاغة» الخطبة ٧٢.

٢ـ السُّرَى : السير ليلاً : **وأعجاز جمع عَجُز** : مؤخّر الشيء . وأعجاز الإبل مؤخّرها ⇦

في كلام قد ذكره أهل السيرة، وقد أوردنا بعضه فيما تقدّم.

ثُمَّ قَالَ: أُنْشِدُكُمْ اللهَ: أفيكُمْ أَحَدٌ آخَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ حَيْثُ آخَى بَيْنَ بَعْضِ المُسْلِمينَ وَبَعْضٍ، غَيْرِي ؟! فَقَالُوا: لَا.

فَقَالَ: أفِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذا مَوْلَاهُ غَيْرِي ؟! فَقَالُوا: لَا.

فَقَالَ: أفِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، غَيْرِي ؟! قَالُوا: لَا.

فَقَالَ: أفِيكُمْ مَنْ أَوْتُمِنَ عَلَى سُورَةِ بَرَاءَةٍ، وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إنَّهُ لَا يُؤَدِّي عَنِّي إلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي، غَيْرِي ؟! قَالُوا: لَا.

قَالَ: أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرُّوا عَنْهُ فِي مَأْقِطِ الحَرْبِ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ، وَمَا فَرَرْتُ قَطُّ ؟! قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: أَلَا تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوَّلُ النَّاسِ إسْلَاماً ؟! قَالُوا: بَلَى.

[ثمّ] قال: فأيّنا أقرب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله نسباً ؟! قالوا: أنت. فقطع عليه عبد الرحمن بن عوف كلامه وقال: **يَا عَلَيُّ! أَبَى النَّاسُ إلَّا عَلَى عُثْمَانَ، فَلَا تَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً.**

فقال [له الإمام]: يا أبا طلحة، ما الذي أمرك به عمر ؟ قال: أن أقتل من شقّ عصا الجماعة.

⇦ القريب من ذيلها، ويكون الركوب عليه صعباً. وهذا مَثَلٌ يُضرب عند العرب، ويعني: أنّنا نركب على مؤخّر الإبل ونتحمّل المشقّة والذلّ وإن طال السير ليلاً، وزادت أتعابنا ومشقّاتنا، ونحن راكبون عليه.

فقال عبد الرحمن لعليّ : بايع إذاً ، وإلّا كنتَ متّبعاً غير سبيل المؤمنين ، وأنفذنا فيك ما أمرنا به . فقال [الإمام] : **لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي** . إلى آخر ما نقلناه . ثمّ مدّ يده فبايع [عثمان] .[1]

ومن الذين رووا احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير يوم الشورى **يُوسُف بن حاتم الشاميّ** في كتاب «**الدرّ النَّظيمُ في مَنَاقِبِ الأَئِمَّةِ اللَّهَاميم**».[2] رواه عن الحافظ ابن مردويه بسند آخر غير سندي

١ـ «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج ٦ ، ص ١٦٦ إلى ١٦٨ ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة، وطبعة دار إحياء التراث العربيّ ، ج ٢ ، ص ٦١.

٢ـ **لُهْمُوم** على وزن **عُصْفُور** ، الجواد والسخيّ من الناس ، وكذلك المطر الغزير القطر. الجمع **لَهَاميم** . و**لَهاميم الناس أسخياؤهم وأشياخهم** . وقال المرحوم العلّامة الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ رضوان الله عليه أُستاذي في الحديث والإجازة واصفاً كتاب «الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة اللَّهاميم» في الجزء الثامن من «الذريعة» ص ٨٨ من الطبعة الأُولى: هذا الكتاب للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشاميّ ، تلميذ المحقّق الحلّيّ الذي توفّي (٦٧٦ هـ)، والمجاز عن السيّد رضيّ الدين عليّ بن طاووس الحلّيّ الذي توفّي (٦٦٤ هـ). وهو كتاب جليل في بابه ينقل فيه عن كتاب «مدينة العلم» للشيخ الصدوق ، وكتاب «النبوّة» له أيضاً فيظهر وجودهما عنده . كانت نسخة منه عند العلّامة المجلسيّ ينقل عنه في «بحار الأنوار». والموجود من نسخه حسب ما اطّلعتُ عليه ثلاث نسخ إحداها كانت في مكتبة كُبّة، واشتراها الطهرانيّ بسامرّاء ـ إلى آخر ما ذكر حول النسختين الأُخريين.

أقول : بما أنّنا بلغنا هذا الموضع ، يحسن بنا أن نذكر هذه القصّة . قيل : إنّ كتباً مختلفة صنّفت في السيرة النبويّة منذ عصر صدر الإسلام إلى يومنا هذا ، بَيدَ أنّ سيرة الأئمّة الاثني عشر لم تحظ إلّا بالنزر اليسير من الكتب المؤلّفة فيها . ويعتبر كتاب «الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة اللهاميم» من الكتب النادرة والنفيسة المصنّفة في هذا الحقل . وضاعت نسخ هذا الكتاب تدريجيّاً، إلّا أنّ عدداً يسيراً منها قريب المنال ، وتعود إحدى النسخ إلى مكتبة كبّة، وانتقلت بعد وفاته إلى مكتبة المرحوم خال أبينا العلّامة آية الله الميرزا محمّد الطهرانيّ رضوان الله عليه نزيل سامرّاء. نقل لي ابن خال أبينا حجّة الإسلام الميرزا أبوالحسن شريف العسكريّ دام توفيقه أنّ ذوي المرحوم كبّة أرادوا عرض مكتبته في المزاد بعد وفاته. ⇦

.....

⇦ وأرسلني والدي من سامرّاء إلى الكاظميّة لشراء بعض المخطوطات ، ومنها هذا الكتاب، وأوصاني أن أشتري هذا الكتاب مهما كان ثمنه . فجئت الكاظميّة ، واشتريت هذا الكتاب عند عرض المكتبة في المزاد بسسعر باهظ ، وجلبته إلى سامرّاء مع كتب أُخرى. وأصبحت هذه الكتب جزءاً من مكتبة والدي . فلم تمض مدّة طويلة على ذلك حتّى جاءني سادن حرم الإمامين العسكريّينِ عليهما السلام يوماً وهو رجل سنّيّ فقال : جاء أحد المستشرقين ونزل في بيتنا وهو يرغب في لقاء والدك ليطرح عليه أسئلته . فاستأذن أباك ليأتي عنده. وأخبرتُ والدي المرحوم آية الله الميرزا محمّد الطهرانيّ بذلك فقال : لا مانع من مجيئه فليأت متى شاء. وأخبرت السادن بموافقة والدي على اللقاء . وفي اليوم الثاني جاء السادن. بمعيّة ذلك المستشرق إلى بيتنا وجلسا في مكتبة والدي حيث محلّ مطالعته وتأليفه. ووجّه المستشرق أسئلته حول بعض العلوم والكتب ، وأجابه والدي ، ثمّ سأله عن كتاب «الدرّ النظيم» ومؤلّفه ومواصفاته فأجابه الوالد . وبعد ذلك سأله قائلاً : هل عندك الكتاب ؟! فقال الوالد: نعم، هو عندي . قال المستشرق : هل لي أن أراه ؟ قال : نعم! قم يا أباالحسن واجلب الكتاب من الرفّ الفلانيّ وأعطه إيّاه ! فقمت وأخذت الكتاب ووضعته بين يديه. فرفعه وتصفّحه بدقّة، وأنعم النظر في ورقه وجدوله المرسول وصفحاته وغلافه، ثمّ أطبقه ووضعه على الأرض، وقال: هل تبيعه ؟! قال والدي : لا ! قال : أرجوك أن تبيعني هذا الكتاب بأيّ ثمن كان! قال: لا، لايمكن! قال : لا تهتمّ لقيمته ، فأنا أشتريه بأيّ ثمن تتفضّل به. فقال والدي : ألا تنظر هذه المكتبة، لو صُبّت لي كلّها ذهباً خالصاً على أن أبيع هذا الكتاب، ما بعته. فيئس المستشرق وقام وذهب مع السادن ، وأرجعتُ الكتاب في مكانه. وفي اليوم الثاني قال لي السادن: هذا الرجل يريد الكتاب ، وجاء من أُوروبّا لشرائه. ولمّا كان يعلم أنّ الكتاب هو من كتب المرحوم كبّة وانتقل إلى مكتبة الميرزا محمّد الطهرانيّ ، لذلك قدم إلى سامرّاء مباشرة من قبل المسؤولين العراقيّين ، ونزل في بيتنا، وطلب منّي أن أتوسّط لشراء الكتاب، وأنا أُطمئنك أنّه يشتريه مهما كان ثمنه . فقلت له : هذا الكتاب ناموس. إنّه ناموس الإسلام. وهل يبيع المرء ناموسه للأجنبيّ !؟ هل أنت مستعدّ لبيع ناموسك وعرضك ولو كان الثمن باهظاً ؟! قال: لا. قلتُ : إنّ أهمّيّة هذا الكتاب تفوق العرض والناموس الإنسانيّ . ذلك أنّه ناموس الدين والشريعة وناموس الإسلام ، وهو كتاب مخطوط فريد. فيئس السادن من شراء الكتاب وأخبر المستشرق بالأمر. وعلم المستشرق أنّ والدي متعصّب دينيّاً، ⇦

الخوارزميّ ، وبنفس العبارات التي نقلناها عن الخوارزميّ .

قال : حدّث أبو المظفّر عبدالواحد بن حمد بن محمّد بن شيذة المُقري ، عن عبد الرزّاق بن عمر الطهرانيّ ، عن أبي بكر أحمد بن موسى الحافظ (ابن مردويه) ، عن أبي بكر أحمد بن محمّد بن أبي دام ،[1] عن المنذر بن محمّد ، عن عمّه ، عن أبان بن تَغْلِب ، عن عامر بن واثلة ، قال : كنتُ على الباب يوم الشورى ، وعليّ في البيت فسمعته يقول (باللفظ المذكور عن الخوارزميّ ، إلى أن قال) **قَالَ : أُنْشِدُكُمْ بِاللَهِ أمِنْكُمْ مَنْ نَصَبَهُ رَسُولُ اللَهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ لِلْوَلَايَةَ غَيْرِي ؟! قَالُوا : اللَهُمَّ ! لَا .**[2]

وحدّث الشيخ طوسيّ عن أحمد بن محمّد بن الصَّلْت ، عن أحمد بن محمّد بن سعيد ،[3] عن عليّ بن محمّد بن حبيبة الكنديّ ، عن أبي الغيلان :

⇦ وأنّ ه لن يبيع الكتاب أبداً. فترك سامرّاء . ولمّا أخبرت والدي بحديثي مع السادن، قال: لابدّ أن تغيّر موضع الكتاب، انقله إلى الرفّ الفلانيّ ! ذلك أنّه علم موضعه ، وربّما يسرق بطريقة ماكرة من جرّاء تردّد الناس على المكتبة . وبعد وفاة المرحوم الميرزا محمّد الطهرانيّ ، أوقف ورثته كتبه كلّها وختموها بختم الوقف ، ثمّ انتقلت وفيها الكتاب المذكور إلى الكاظميّة. وتشرف عليها الآن دائرة الأوقاف الأثريّة العراقيّة . وتعتبر من الكتب المحظور إخراجها من العراق.

١ـ كذا في النسخ ، والصحيح : أبي دارم . وهو أبو دارم الكوفيّ ، سمع عنه التلعكبريّ سنة ٣٣٠ هـ، وله منه إجازة.

٢ـ «الغدير» ج ١ ، ص ١٦٠ .

٣ـ أحمد بن محمّد بن سعيد ، وهو أبو العبّاس المعروف **بابن عُـقْدة** ، يعتبر أحد الأكابر في الحفظ والإتقان والجلالة . له ترجمة في «تنقيح المقال»؛ وحكى عن أبي الطيّب بن هرثمة أنّه قال: كنّا نحضر ابن عقدة المحدّث ونكتب عنه وفي المجلس رجل هاشميّ إلى جانبه. قال ابن عقدة : أنا أُجيب في ثلاثمائة ألف حديث من أحاديث أهل البيت، هذا سوى غيرهم. وضرب بيده إلى الهاشميّ . ونقل عن الدارقطنيّ أنّه قال: أجمع أهل الكوفة أنّه لم ير من زمن عبدالله بن مسعود إلى زمان أبي العبّاس بن عُقدة أحفظ ⇦

سعد بن طالب الشيبانيّ ، عن إسحاق ، عن أبي الطفيل ، قال : كنت في البيت يوم الشورى وسمعت عليّاً عليه السلام يقول : **أُنْشِدُكُمْ بِاللَهِ جَمِيعاً هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ صَلَّى القِبْلَتَيْنِ مَعَ رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غَيْرِي ؟ قَالُوا: اللَهُمَّ ! لَا .**

ثمّ ذكر عدداً من فضائله ومناقبه الخاصّة به على نحو المناشدة حتّى بلغ قوله :

أُنْشِدُكُمْ بِاللَهِ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، غَيْرِي ؟! قَالُوا: اللَهُمَّ ! لَا .

وبعد ذلك ينشدهم بحديث المنزلة ، وحديث الطَّيْر لا غير .[1]

ونقل ابن حَجَر الهَيْتَمِيّ قائلاً : أخرج الدارقطنيّ أنّ عليّاً عليه السلام قال للستّة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته : **أُنْشِدُكُمْ بِاللَهِ : هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا عَلِيُّ ! أَنْتَ قَسِيمُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، غَيْرِي ؟! قَالُوا: اللَهُمَّ ! لَا .**[2]

وذكر ابن حجر أيضاً أنّ الدارقطنيّ أخرج أنّ عليّاً عليه السلام احتجّ يوم الشورى على أهلها فقال لهم : **أُنْشِدُكُمْ بِاللَهِ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ أَقْرَبُ إِلَى**

⇦ منه. ونقل عن الشيخ الطوسيّ في «الفهرست» وعن «رجال النجاشيّ» أنّه كان زيديّاً جارودياً، وعلى هذا مات. وإنّما روى عنه أصحابنا واعتبروا رواياته موثوقة لكثرة حفظه وأمانته وصدقه واختلاطه مع أصحابنا الإ ماميّة. له كتب كثيرة ، منها : كتاب «مَنْ رَوَى غدير خمّ» توفّي في الكوفة سنة ٣٣٣ ،هـ.

١ـ «أمالي الطوسيّ» ص ٢١٢ ، الطبعة الحجريّة ، وطبعة النجف ص ٣٤٢، وهما مذكوران في المجلس الثاني عشر.

٢ـ «الصواعق المحرقة» ص ٧٥.

رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الرَّحِم مِنِّي ؛ وَمَنْ جَعَلَهُ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَفْسَهُ ، وَأَبْنَاءَهُ أَبْنَاءَهُ ، وَنِسَاءَهُ نِسَاءَهُ ، غَيْرِي ؟! قَالُوا : اللَهُمَّ ! لَا ـ الحديث .[1]

وكما لاحظنا ، فإنّ ابن حَجَر نقل هاتين الفقرتين من المناشدة عن الدارقطنيّ لمناسبة الموضوع ، مع تصريحه بأنّ المناشدة كانت كثيرة ، وأنّ هذه الفقرات قد عُرِضت في سياق ذلك .

الاحتجاج الثالث : ويتمثّل في الخطبة التي ألقاها أمير المؤمنين عليه السلام في المسجد النبويّ أيّام عثمان بحضور مائتي شخص من المهاجرين والأنصار الذين كان كلّ واحد منه يذكر فضيلة من فضائل قريش أو الأنصار ، ثمّ طلبوا من أمير المؤمنين عليه السلام أن يتحدّث ، فاستجاب لطلبهم وطفق يشرع ميزات أهل البيت ، وميزات شخصيّته الشريفة مفصّلاً ، وكانت الجماعة الحاضرة في المسجد تؤيّد ذلك كلّه ومن جملة ما عرضه هو الاستشهاد بحديث الغدير .

روى شيخ الإسلام : إبراهيم بن محمّد الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» عن السيّد النسّابة : جلال الدين عبد الحميد بن فخّار بن مَعْد بن فخّار الموسويّ رحمه الله قال : أنبأنا والدي السيّد شمس الدين فخّار الموسويّ رحمه الله إجازة بروايته عن شاذان بن جبرئيل القمّيّ ، عن جعفر بن محمّد الدوريستيّ ، عن أبيه ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ ، عن محمّد بن الحسن ، عن سعد بن عبد الله ، عن يعقوب بن يزيد ، عن حمّاد بن عيسى ، عن عمر بن أُذَينة ، عن أبان بن أبي عيّاش ، عن سُلَيم بن قَيْس الهلاليّ ، أنّه قال : رأيتُ عليّاً عليه السلام في مسجد رسول الله

١ـ «الصواعق المحرقة» ص ٩٣ .

صلّى الله عليه وآله وسلّم في خلافة عثمان، وجماعة يتحدّثون ويتذاكرون العلم والفقه، فذكروا قريشاً وفضلها وسوابقها وهجرتها وما قال فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من الفضل، مثل قوله: الأئمّة من قريش. وقوله: الناس تبع لقريش، وقريش أئمّة العرب، وقوله: لا تسبّوا قريشاً، وقوله: إنّ للقرشيّ قوّة رجلين من غيرهم. وقوله: من أبغض قريشاً أبغضه الله، وقوله: من أراد هوان قريش، أهانه الله.

وذكروا الأنصار وفضلها وسوابقها ونصرتها وما أثنى الله عليهم في كتابه وما قال فيهم النبيّ صلّى الله عليه وآله، وذكروا ما قال في **سَعْد بن عُبَادَة وغَسيل الملائكة (حَنْظَلَة)**، فلم يدعوا شيئاً من فضلهم، حتّى قال كلّ حيّ: منّا فلان وفلان.

وقالت قريش: منّا رسول الله صلّى الله عليه وآله ومنّا حمزة، ومنّا جعفر، ومنّا عُبَيْدَة بن الحَرْث، وزيد بن حارثة، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وأبو عُبَيْدَة، وسالم (مولى أبي حُذَيفة)، وابن عَوْف.

فلم يدعوا من الحيّين أحداً من أهل السابقة إلّا سمّوه. وفي الحلقة أكثر من مائتي رجل فيهم **عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِب عَلَيْهِ السَّلَامُ**، **وسَعْدُ بنُ أبي وَقَّاص**، **وعَبْدُ الرَّحمنِ بنُ عَوْف**، **وطَلْحَة**، **والزُّبَيْر**، **والمِقْداد**، **وأَبُو ذَرّ**، **وهَاشِم بنُ عُتْبَة**، **وابن عُمَر**، **والحَسَن والحُسَيْن عليهما السلام**، **وابنُ عَبَّاس**، **ومُحَمَّدُ بنُ أَبي بَكْر**، **وعَبْدُ اللَهِ بنُ جَعْفَر**.

وكان في الحلقة من الأنصار: **أُبَيّ بنُ كَعْب**، **وزَيْدُ بنُ ثَابِت**، **وأَبُو أيُّوبُ الأنصاريّ**، **وأَبُو الهَيْثَمُ بنُ التَّيِّهان**، **ومُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمَة**، **وقَيْسُ بنُ سَعْد بنُ عُبَادة**، **وجَابِرُ بنُ عَبد اللَهِ**، **وأَنَسُ بنُ مَالِك**، **وزَيْدُ بنُ أَرْقَم**، **وعَبْدُ اللَهِ بنُ أَبِي أَوْفَى**، **وأبو لَيْلَى** ومعه ابنه **عَبْدُ الرَّحْمَن** قاعد بجنبه، غلام صبيح الوجه أمرد. فجاء **أبو الحسن البصريّ** ومعه ابنه الحسن

غلام أمْرَد صبيح الوجه معتدل القامة .

قال سُلَيم : فجعلت أنظر إليهما (عبد الرحمن بن أبي ليْلى ، والحَسَن بن أبي الحَسَن) فلا أدري أيّهما أجمل ؟ غير أنّ الحسن أعظمهما وأطولهما .

فأكثر القوم في مدح قريش والأنصار ، وذلك من بكرة إلى حين الزوال ، وعثمان في داره لا يعلم بشيء ممّا هم فيه ، وعليّ بن أبي طالب ساكت لا ينطق هو ولا أحد من أهل بيته .

فأقبل القوم عليه فقالوا : يا أباالحسن ما يمنعك أن تتكلّم ؟

فقال : ما من الحَيَّيْن إلّا وقد ذكر فضلاً وقال حقّاً . فأنا أسألكم يا معشر قريش والأنصار : بمن أعطاكم الله هذا الفضل ؟! أبأنفسكم وعشائركم وأهل بيوتاتكم أم بغيركم ؟

قالوا : بل أعطانا الله ومنّ علينا بمحمّد صلّى الله عليه وآله وعشيرته ، لا بأنفسنا ، وعشائرنا ، ولا بأهل بيوتاتنا !

قال : صدقتم يا معشر قريش والأنصار ! ألستم تعلمون أنّ الذي نلتم من خير الدنيا والآخرة منّا أهل البيت خاصّة دون غيرهم ؟ وأنّ ابن عميّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : إنّي وأهل بيتي كنّا نوراً يسعى بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف سنة . فلمّا خلق الله آدم ، وضع ذلك النور في صُلْبه وأهبطه إلى الأرض . ثمّ حمله في السفينة في صُلْب نوح عليه السلام ثمّ قذف به في النار في صُلْب إبراهيم عليه السلام . ثمّ لم يزل الله عزّ وجلّ ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة ، ومن الأرحام الطاهرة إلى الأصلاب الكريمة من الآباء والأُمّهات ، لم يلق واحد منهم على سفاح قطّ .

فقال أهل السابقة والقدمة وأهل بَدْر وأهل أُحُد : نعم ! قد سمعنا ذلك

من رسول الله صلّى الله عليه وآله !

ثمّ قال عليّ عليه السلام : أُنشدكم بالله : أتعلمون أنّ الله عزّ وجلّ فضّل في كتابه ، السابق على المسبوق في غير آية . وأنّي لم يسبقني إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله أحدٌ من هذه الأُمّة ؟ قالوا : اللهُمّ ! نعم .

قال : فأُنشدكم الله : أتعلمون حيث نزلت : **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ**،[1] والآية : **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ**،[2] سئل عنها رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال : أنزلها الله في الأنبياء وأوصيائهم ، فأنا أفضل أنبياء الله ورسله ، وعليّ بن أبي طالب وصيّي أفضل الأوصياء ؟! قالوا : اللهمّ ! نعم .

قال : فأُنشدكم الله : أتعلمون حيث نزلت الآية : **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ**.[3] والآية : **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ**.[4] والآية : **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً**.[5] قال الناس : يا رسول الله ! خاصّة في بعض المؤمنين أم عامّة لجميعهم ؟! فأمر الله عزّ وجلّ نبيّه أن يعلّمهم ولاة أمرهم ، وأن يفسّر لهم من الولاية ما فسّر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجّهم . فنصبني للناس بغدير خُمّ ، ثمّ خطب وقال : إنّ الله أرسلني برسالة ضاق بها صدري ، وظننت أنّ الناس مكذّبي

١ـ الآية ١٠٠ ، من السورة ٩ : التوبة .

٢ـ الآية ١٠ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٣ـ الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء .

٤ـ الآية ٥٥ ، من السورة ٥ : المائدة .

٥ـ الآية ١٦ ، من السورة ٩ : التوبة .

فأوعدني لأُبلّغها أو ليعذّبني . ثمّ أمر ، فنودي : **الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ** ، ثمّ خطب فقال :

أَيُّهَا النَّاسُ أتَعْلَمُونَ أنَّ اللَهَ عَزَّ وَجَلَّ مَوْلَايَ وَأنَا مَوْلَى المُؤمِنينَ وَأَنا أوْلَى بِهِمْ مِنْ أنْفُسِهِمْ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَهِ. قَالَ: قُمْ يَا عَلِيُّ! فَقُمْتُ. فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ هَذَا مَوْلَاهُ. اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ.

فَقام سلمان ، فقال : **يَا رَسُولَ اللَهِ ! وَلَاءٌ كَمَاذَا ؟ فَقَالَ: وَلَاءٌ كَوَلَايَتِي ، مَنْ كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ فَعَلِيٌّ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ!**

فأنزل الله تعالى ذكره : **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا.**[1]

ولمّا نزلت هذه الآية كبّر النبيّ صلّى الله عليه وآله وقال : **اللَهُ أكْبَرُ تَمَامُ نُبُوَّتي وَتَمَامُ دِينِ اللَهِ وَلَايَةُ عَلِيٍّ بَعْدِي.**

فقام أبو بكر ، وعمر فقالا : يا رسول الله ! هذه الآيات خاصّة في عليّ ؟! فقال النبيّ : بلى ؛ فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة ! قالا : يا رسول الله ! بيّنهم لنا .

فقال النبيّ : عليّ أخي ووزيري ووارثي ووصيّي وخليفتي في أُمَّتِي ووليّ كلّ مؤمن بعدي . ثمّ ابني الحسن ، ثمّ الحسين ، ثمّ تسعة من ولد ابني الحسين واحد بعد واحد ، القرآن معهم وهم مع القرآن . لا يفارقونه ، ولا يفارقهم حتّى يردوا عَلَيَّ الحوض .

فقالوا كلّهم : اللهمّ نعم : قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت سواء . وقال بعضهم : قد حفظنا جلّ ما قلت ولم نحفظه كلّه ! وهؤلاء الذين حفظوا

١ـ الآية ٣ ، من السورة ٥ : المائدة .

أخيارنا وأفاضلنا .

فقال [الإمام] عليّ عليه السلام : صدقتم ! ليس كلّ الناس يستوون في الحفظ . أُنشد الله من حفظ ذلك من رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا قام فأخبر به .

فقام **زَيْدُ بنُ أَرقَم** ، **والبَرَاءُ بنُ عازِب** ، **وسَلْمَانُ** ، **وأبو ذَرّ** ، **والمِقْدَادُ** ، **وعَمَّارُ** فقالوا : نشهد لقد حفظنا قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وهو قائم على المنبر وأنت إلى جنبه ، وهو يقول : أيّها الناس ! إنّ الله عزّ وجلّ أمرني أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ، ووصيّي ، وخليفتي ، والذي فرض الله عزّ وجلّ على المؤمنين في الكتاب طاعته فقرنه بطاعته وطاعتي . وأمركم بولايته ، وإنّي راجعت ربّي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم ، فأوعدني لأبلّغها أو ليعذّبني .

[وقال] : **أَيُّهَا النَّاسُ** ! إنّ الله أمركم في كتابه بالصلاة ؛ فقد بيّنتُها لكم . وأمر بالزكاة ، والصوم ، والحجّ ؛ فبيّنتهُا لكم وفسّرتها . وأمركم بالولاية وإنّي أُشهدكم أنّها لهذا خاصّة ـ ووضع يده على عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ ثمَّ لِأَبنَيْهِ بعده ، ثمّ للأوصياء من بعدهم من ولدهم ، لا يفارقون القرآن ، ولا يفارقهم القرآن حتّى يردوا عَلَيَّ حوضي .

أَيُّهَا النَّاسُ : قد بيّنتُ لكم مفزعكم بعدي وإمامكم ودليلكم وهاديكم ، وهو أخي عليّ بن أبي طالب . وهو فيكم بمنزلتي فيكم . فقلّدوه دينكم وأطيعوه في جميع أُموركم . فإنّ عنده جميع ما علّمني الله من علمه وحكمته . فسلوه وتعلّموا منه ومن أوصيائه بعده ، ولا تعلّموهم ولا تتقدّموهم ولا تخلّفوا عنهم ، فإنّهم مع الحقّ والحقّ معهم لا يزايلوه ولا يزايلهم . ثمّ جلسوا .

قال سُلَيم : ثمّ قال عليّ عليه السلام : **أَيُّهَا النَّاسُ** ! أتعلمون أنّ الله

أنزل في كتابه : **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**.[١]

فجمعني وفاطمة وابنيّ الحسن والحسين ، ثمّ ألقى علينا كساءً وقال : اللهمّ ! هؤلاء أهل بيتي ولحمي ، يؤلمني ما يؤلمهم ، ويؤذيني ما يؤذيهم ، ويحرجني ما يحرجهم . فَأَذْهِبْ عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً .

فقالت **أُمّ سلمة** : وأنا يا رسول الله ؟! فقال : أنتِ إلى خير . إنّما نزلت فيّ ، (وفي ابنتي) ، وفي أخي عليّ بن أبي طالب ، وفي ابنيَّ ، وفي تسعة من ولد ابْنِيَ الحسين خاصّة ، ليس معنا فيها لأحد شرك .

فقالوا كلّهم : نشهد أنّ أُمّ سلمة حدّثتنا بذلك ، فسألنا رسول الله ، فحدّثنا كما حدّثتنا أُمّ سلمة . [ثمّ] قال [عليّ عليه السلام] : أُنشدكم الله : أتعلمون أنّ الله أنزل : **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ**.[٢]

فقال سلمان : يا رسول الله ! عامّة هذه أم خاصّة ؟ فقال النبيّ : أمّا المؤمنون فعامّة المؤمنين أُمروا بذلك . وأمّا الصادقون فخاصّة لأخي عليّ وأوصيائي من بعده إلى يوم القيامة ؟! قالوا : اللهمّ ! نعم .

فقال [عليّ عليه السلام] : أُنشدكم الله : أتعلمون أنّي قلت لرسول الله صلّى الله عليه وآله في غزوة تبوك : لم خلّفتني ؟! فقال : إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك ، **وَأَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**. قالوا : اللهمّ ! نعم .

فقال [عليّ عليه السلام] : أُنشدكم الله : أتعلمون أنّ الله أنزل في

١ـ الآية ٣٣ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب .

٢ـ الآية ١١٩ ، من السورة ٩ : التوبة .

سورة الحجّ : **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱرْكَعُوا وَٱسْجُدُوا وَٱعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَـٰهِدُوا فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَـٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ**.[1]

فقام سلمان فقال : يا رسول الله ! مَن هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس ، الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدين من حرج وهم على ملّة إبراهيم ؟!

فقال [رسول الله صلّى الله عليه وآله] : عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصّة دون هذه الأُمّة . أنا وأخي عليّ وأحد عشر من ولدي ؟! قالوا : اللهمّ ! نعم .

فقال [عليّ عليه السلام] : أُنشدكم الله : أتعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قام خطيباً لم يخطب بعد ذلك ، فقال : **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَهِ وَعِتْرَتِى أَهْلَ بَيْتِي ، فَتَمسَّكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا ، فَإِنَّ اللَّطِيفَ (الخَبيرَ) أَخْبَرَني وَعَهِدَ إِلَيَّ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ**.

فقام عمر بن الخطّاب شبه المغضب فقال : يا رسول الله ! أكُلّ أهل بيتك ؟! قال النبيّ : لا . ولكن أوصيائي من أهل بيتي : أوّلهم أخي ووزيري ووارثي وخليفتي في أُمّتي ووليّ كلّ مؤمن بعدي .

هو أوّلهم ، ثمّ ابني الحسن ، ثمّ ابني الحسين ، ثمّ تسعة من ولد

١ـ الآيتان ٧٧ و ٧٨ ، من السورة ٢٢ : الحجّ .

الحسين ، واحد بعد واحد حتّى يردوا عَلَيَّ الحوض . هم شهداء الله في أرضه وحجّته على خلقه وخزّان علمه ومعادن حكمته ، من أطاعهم أطاع الله ، ومن عصاهم عصى الله ؟! فقالوا كلّهم : نشهد أنّ رسول الله قال ذلك .

ثمّ تمادى لعليّ السؤال : فما ترك شيئاً إلّا ناشدهم الله فيه وسألهم عنه حتّى أتى على آخر مناقبه وما قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله كثيراً . وكانوا في ذلك كلّه يصدّقونه ويشهدون أنّه حقّ .[1]

الاحتجاج الرابع : مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام في الرُحْبَة .[2]

١ـ «فرائد السمطين» ج ١ ، الباب ٥٨ من السِّمط الأوّل ، ص ٣١٢ إلى ٣١٨ ؛ و«كتاب سُلَيم» ص ١١١ إلى ١٢٤ مع تغيير بعض الألفاظ وإضافة بعض الموادّ ؛ و«الغدير» ج ١ ، ص ١٦٢ إلى ١٦٦ ؛ وفي «غاية المرام»القسم الأوّل ، في زمرة أحاديث المنزلة: **أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي** ، ص ١٣٦ و ١٣٧ ، الحديث الحادي والأربعين برواية سليم بن قيس الهلاليّ ؛ وذكره مفصّلاً في «غاية المرام» أيضاً ، ص ١٣٧ و ١٣٨ ؛ في الحديث الثاني والأربعين ، عقب مناشدة الإمام بعد كلام طلحة.

٢ـ الرُّحْبَة قرية قريبة من الكوفة على سبعة فراسخ منها . فيها زراعة جيّدة ، وتعرف ببطّيخها الأحمر الكثير والكبير الحجم الذي قد يبلغ وزن الواحدة منه عشرين كيلو غراماً. تموّن النجف الأشرف في الصيف ، وكانت مدينة عامرة ثمّ خرّبت . وعندما دخل أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة ، احتجّ بهذا الاحتجاج في «الرُّحْبة» . ويقال لها أحياناً «رُحْبة الكوفة» تمييزاً لها عن الرحاب الأُخرى . وجاء في «مراصد الاطّلاع» ج ٢ ، ص ٦٠٨: الرُّحبة بضمّ الأوّل ، وسكون الثاني ، والباء الموحّدة ، اسم يطلق على ثلاثة أماكن: ١ـ بقرب القادسيّة، على مرحلة من الكوفة (منزلان وكلّ منزل بريدان ، وكلّ بريد أربعة فراسخ) على يسار الحجّاج إذا أرادوا مكّة ، وقد خرّبت حاليّاً . ٢ـ قرية قريبة من صنعاء اليمن على ستّة أميال منها. وهي وادٍ ينبت الطلح ، وفيها بساتين وقرى . ٣ـ ناحية بين المدينة والشام من وادي القرى. وفي طرف اللجاة ، من أعمال صَلْخَد ، قرية يقال لها الرُّحْبَة.

ولمّا كانت الرحبة بمعنى الموضع المتّسع بلا بناء ، فمن الممكن أنّ المراد من ⇦

وكانت هذه المناشدة في أوّل خلافته الصوريّة . ذلك أنّه جاء في رواية يَعْلى بن مُرَّة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا قدم الكوفة نشد الناس . ومعلوم أنّه قدم الكوفة سنة ٣٥ هـ . في أوّل خلافته ، لمّا بلغه اتّهام الناس له فيما كان يرويه من تقديم رسول الله صلّى الله عليه وآله إيّاه على غيره ، ونوزع في خلافته ، حضر في مجتمع الناس بالرحبة في الكوفة واستنشدهم بحديث الغدير . وهذا الاحتجاج هامّ جدّاً ، وقد ورد في روايات مستفيضة ، وذكره أعلام وأعاظم الشيعة والعامّة في كتبهم ، وعدّوه من مسلّمات التأريخ .

وكانت هذه الخطبة بحضور جمع من الصحابة والتابعين وفئات شتّى من الناس . وهي خطبة مفصّلة ، وذُكر فيها أيضاً شيء من الملاحم والإخبار بالغيب .

روى ابن أبي الحديد عن عثمان بن سعيد ، عن شريك بن عبد الله ، قال : لمّا بلغ عليّاً عليه السلام أنّ الناس يتّهمونه فيما يذكره من تقديم النبيّ صلّى الله عليه وآله وتفضيله إيّاه على الناس . قال : **أُنْشِدُ اللَهَ مَنْ بَقِيَ مِمَّنْ لَقِيَ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَمِعَ مَقَالَهُ فِي يَوْمِ غَدِيرِ خُمٍّ إِلَّا قَامَ فَشَهِدَ بِمَا سَمِعَ !**

فَقَامَ سِتَّةٌ مِمَّنْ عَنْ يَمِينِهِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسِتَّةٌ مِمَّنْ عَلَى شِمَالِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَيْضاً فَشَهِدُوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا

⇦ الرُّحبة الفضاء الواسع المفتوح في مسجد الكوفة أو أمام قصر الإمارة . وكان فيه احتجاج الإمام . والشاهد على هذا الاحتمال كلام ابن أبي الحديد في ج ١ ، ص ٣٦١ من «شرح نهج البلاغة»، وقد نقله عن بعض مشايخه البغداديّين ، قال : **ناشد عليٌّ عليه السلام في رُحْبة القصر أو قالوا برحبة الجامع بالكوفة ، أيّكم سمع رسول الله يقول : من كنت مولاه فعليٌّ مولاه** ـ الحديث.

رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ ذَلِكَ اليَوْمَ وَهُوَ رَافِعٌ بِيَدَيْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَن خَذَلَهُ وَأحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ.[1]

وجاء في «السيرة الحلبية» بعد عرض خطبة رسول الله في غدير خُمّ، والإعلان عن قرب وفاته، والشهادة على التوحيد والمعاد: **ثُمَّ حَضَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَهِ وَوَصَّى بِأهْلِ بَيْتِهِ . أي فَقَالَ: إنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَاللَهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ. وَقَالَ فِي حَقِّ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَهُ وَجْهَهُ لَمَّا كَرَّرَ عَلَيْهِمْ: أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ـ ثَلَاثاً ـ وَهُمْ يُجِيبُونَهُ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّمَ بِالتَّصْدِيقِ وَالاعْتِرَافِ، وَرَفَعَ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ يَدَ عَلِيٍّ كَرَّمَ وَجْهَهُ وَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ، وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَأعِنْ مَنْ أَعَانَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَأدِرِ الحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ.**

وقال صاحب «السيرة الحلبيّة» هنا: وهذا أقوى ما تمسّكت به الشيعة والإماميّة والرافضة على أنّ عليّاً كرّم الله وجهه أولى بالإمامة من كلّ أحد. وقالوا: هذا نصّ صريح على خلافته سمعه ثلاثون صحابيّاً وشهدوا به، قالوا: فلعليّ عليهم من الولاء ماكان له صلّى الله عليه وآله عليهم بدليل قوله صلّى الله عليه وآله: **أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ**. ثمّ قال الحلبيّ أيضاً: هذا حديث صحيح ورد بأسانيد صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في

١ـ «شرح نهج البلاغة» ج ١، ص ٢٠٩، طبعة دار إحياء التراث العربيّ، وطبعة دار إحياء الكتب العربيّة، ج ٢، ص ٢٨٨ و ٢٨٩.

صحّته **كأبي داود، وأبي حاتم الرازيّ** . وقول بعضهم : إنّ زيادة : **اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ** إلى آخره موضوعة ، مردود ، فقد ورد ذلك من طرق صحّح الذهبيّ كثيراً منها .

وقد جاء أنّ عليّاً كرّم الله وجهه قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : **أُنْشِدُكَ اللَهَ مَنْ يَنْشُدُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ إلَّا قَامَ ، وَلَا يَقُومُ رَجُلٌ يَقُولُ: أُنْبِئْتُ أوْ بَلَغَنِي إلَّا رَجُلٌ سَمِعَتْ أُذُنَاهُ وَوَعى قَلْبُهُ.**

فقام سبعة عشر صحابيّاً (و شهدوا) . وفي رواية ثلاثون صحابيّاً . وفي «المعجم الكبير» ستّة عشر . وفي رواية اثنا عشر .

فقال [لَهُم أمير المؤمنين] : هاتوا ما سمعتم ! فذكروا حديث الغدير . ومن جملته : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ.** وفي رواية : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ.**

وعن زيد بن أرقم أنّه قال : وكنت ممّن كتم فذهب الله ببصري . وكان عليّ كرّم الله وجهه دعا على من كتم .[1]

ومعلوم أنّ الحديث الذي يستدلّ به صاحب السيرة هو احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في الرُّحْبة . وقد أحصى العلّامة الأمينيّ عدد الصحابة الذين شهدوا ، بأربعة وعشرين صحابيّاً اعتماداً على كتب العامّة الموثوقة . وهم :

١ ـ **أَبُو زَيْنَب بْنُ عَوفٍ الأَنْصَارِيّ** .

٢ ـ **أَبُو عُمْرَة بْنُ عَمْرِو بْنَ مُحْصِنٍ الأَنصَارِيّ** .

٣ ـ **أَبُو فُضَالَة الأَنْصَارِيّ** . استُشْهِدَ بصفّين مع أمير المؤمنين عليه

١ـ سيرة عليّ بن بُرهان الدين الحلبيّ الشافعيّ ، المعروفة بالسيرة الحلبيّة ج ٣، ص ٣٠٨، طبعة مصر ، سنة ١٣٥٢ هـ.

السلام بدريّ .

٤ ـ **أَبُو قُدَامة الأَنْصَارِيّ** . الشهيد بصفّين مع أمير المؤمنين عليه السلام .

٥ ـ **أَبُو لَيْلَى الأَنْصَارِيّ** . يقال : اسْتَشهِد بصفّين . وفي بعض الألفاظ : **أَبُو يَعْلَى الأَنْصَارِيّ** ، وهو شَدّاد بن أوْس المتوفّى سنة ٥٨ هـ .

٦ ـ **أَبُو هُرَيْرَة الدَّوْسيّ** . المتوفّى سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩ .

٧ ـ **أَبُو الهَيْثَم بْنُ التَّيِّهَان** . شهد بدراً . واستُشهد بصفّين مع أمير المؤمنين عليه السلام .

٨ ـ **ثَابِتُ بْنُ وَدِيعَة الأَنْصَارِيّ الخَزْرَجِيّ المَدَنِيّ** .

٩ ـ **حُبْشِي بْنُ جُنَادَة السَّلُولِيّ** . شهد مع عليّ مشاهده .

١٠ ـ **أَبُو أَيُّوب خَالِدٍ الأَنْصَارِيّ** . شهد بدراً والمستشهد غازياً بالروم سنة ٥٠ أو ٥١ أو ٥٢ هـ .

١١ ـ **خُزَيمَةُ بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيّ** ذو الشهادتين ، بدريّ ، استشهد بصفّين مع أمير المؤمنين عليه السلام .

١٢ ـ **أَبُو شُرَيْح : خُوَيْلِدُ بْنُ عَمْرٍو الْخُزَاعِيّ** . المتوفّى سنة ٦٨ هـ .

١٣ ـ **زَيْد . أو : يَزِيدُ بْنُ شَرَاحِيلَ الأَنْصَارِيّ** .

١٤ ـ **سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ الأَنْصَارِيّ الأَوسِيّ** . المتوفّى سنة ٣٨ هـ ، بدريّ .

١٥ ـ **أَبُو سَعِيد : سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ الخُدرِيّ الأَنْصَارِيّ** . المتوفّى سنة ٦٣ أو ٦٤ أو ٦٥ هـ .

١٦ ـ **أَبُو العَبَّاس سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ الأَنْصَارِيّ** . المتوفّى سنة ٩١ هـ .

١٧ ـ **عَامِرُ بْنُ لَيْلَى الغفاريّ** .

١٨ ـ **عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ عَبْد رَبّ الأَنْصَارِيّ** .

١٩ ـ **عَبْدُ اللَهِ بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيّ** . خادم رسول الله صلّى الله عليه وآله .

٢٠ ـ **عُبَيْدُ بْنُ عَازِبِ الْأَنْصَارِيّ** . من العشرة الدُّعاة إلى الإسلام (الذين وجّههم عمر مع عمّار بن ياسر إلى الكوفة) .

٢١ ـ **أَبُو طَرِيف عَدِيُّ بْنُ حَاتَم** . المتوفّى سنة ٦٨ هـ عن مائةِ عامٍ .

٢٢ ـ **عَقَبَةُ بْنُ عَامِرٍ الجَهَنِيّ** . المتوفّى قرب السنة الحادية والستّين . كان ممّن يمتُّ ألى معاوية بصلة .

٢٣ ـ **نَاجِيَةُ بْنُ عَمْرٍوالخُزَاعِيّ** .

٢٤ ـ **نُعْمَانُ بْنُ عجلان الْأَنْصَارِيّ** . لسان الأنصار وشاعرهم .

ثمّ قال : هذا ما أوقفنا السير عليه من أعلام الشهود لأمير المومنين عليه السلام بحديث الغدير يوم مناشدة الرُّحبة . وقد نصّ الإمام أحمد [بن حنبل] على أنّ عدّة الشهود في ذلك اليوم كانت ثلاثين . وأخرجه الحافظ الهيثميّ في مجمعه وصحّحه . وتجده في تذكرة سبط بن الجوزيّ ، ص ١٧ ، و «تاريخ الخلفاء» للسيوطيّ ، ص ٦٥ ، و «السيرة الحلبيّة» ج ٣ ، ص ٣٠٨ ، وفي لفظ أبي نعيم : فَضْل بن دَكين فقام ناس كثيرون وشهدوا .

وينبغي أن نعلم أنّ تأريخ هذه المناشدة هو السنة ٣٥ هـ ، كان يبعد عن وقت صدور الحديث بما يربو على خمسة وعشرين عاماً . وفي خلال هذه المدّة كان كثير من الصحابة الحضور يوم الغدير قد قضوا نحبهم ، وآخرون قُتلوا في المغازي ، وكثيرون منهم كانوا مبثوثين في البلاد . وكانت الكوفة أيضاً بمنأىً عن مجتمع الصحابة «المدينة المنوّرة» ، ولم يك فيها إلّا شراذم منهم تبعوا الحقّ فهاجروا إليها في العهد العَلَويّ .

يضاف إلى ذلك ، أنّ هذه القصّة من ولائد الاتّفاق من غير أيّة سابقة لها ، حتّى يقصدها القاصدون ، فتكثر الشهود ، وتتوفّر الرواة . وكان في

الحاضرين من يُخفي شهادته حنقاً أو سفهاً كما سيأتي تفصيل ذلك .

(ومع هذه الحواجز كلّها) ، فقد بلغ من رواه هذا العدد الجمّ ، فكيف به لو تُزاح عنه تلكم الحواجز . فبذلك كلّه نعلم مقدار شهرة الحديث وتواتره في هاتيك العصور المتقادمة .

وأمّا اختلاف عدد الشهود في الأحاديث ، فيحمل على أنّ كلّاً من الرواة ذكر من عَرَفَهُ أو التفت إليه أو من كان إلى جنبه أو أنّه ذكر من كان في جانبي المنبر أو في أحدهما ولم يلتفت إلى غيرهم . أو أنّه ذكر من كان بدريّاً ، أو أراد من كان من الأنصار ، أو أنّه لمّا علت عقيرة القوم بالشهادة ، وشخصت الأبصار والأسماء للتلقّي ، ووقعت اللجبة كما هو طبع الحال في أمثاله من المجتمعات ذهل بعض عن بعض ، وآخر عن آخرين ، فنقل كلٌّ من يضبطه من الرجال .[١]

كان هذا هو عدد الشهود وأسماؤهم . وأمّا رواة حديث المناشدة من للأجيال القادمة ، فهم على ما نقله العلّامة الأمينيّ أربعة من الصحابة ، وأربعة عشر من التابعين ، ومجموعهم ثمانية عشر .

أمّا الصحابة فهم :

١ ـ **حَبَّةُ بْنُ جوين العَرَنِيّ أَبُو قُدَامَة البَجَلِيّ** . المتوفّى سنة ٧٦ أو ٧٩ هـ .

٢ ـ **زَيْدُ بْنُ أَرْقَم الأَنْصَارِيّ** .

٣ ـ **أَبُو الطُّفَيْل : عَامِرُ بْنُ وَاثِلَة اللَّيْثِيّ** . المتوفّى (سنة) ١٠٠ ، أو ١٠٢ ، أو ١٠٨ ، أو ١١٠ .

٤ ـ **يَعْلَى بْنُ مُرَّة بْنُ وَهَبٍ الثَّقَفِيّ** .

١ـ «الغدير» ج ١ ، ص ١٨٤ إلى ١٨٦ .

وأمّا التابعون فهم :

١ـ أَبُو سُلَيْمَان المُؤَذِّن .

٢ـ أَبُو القَاسِم : الأَصْبَغُ بْنُ نُبَاتَه .

٣ـ زَاذَانُ بْنُ عُمَر الكِنْدِيّ البَزَّار أو البَزَّازُ الكُوفِيّ .

٤ـ زِرُّ بْنُ جُبَيْشٍ[1] الأَسَدِيّ ، أَبُو مَرْيَم .

٥ـ زياد بن أبي زياد .

٦ـ زيد بن يُثَيْع الهمدانيّ الكوفيّ . من كبار التابعين .

٧ـ سعيد بن أبي حدّان . ويقال ذي حدّان ، الكوفيّ .

٨ـ سعيد بن وهب الهمدانيّ الكوفيّ . المتوفّى (سنة) ٧٦ هـ .

٩ـ أَبُو عُمَارَة عَبْدُ خَيْر بن يَزِيدٍ الهَمْدَانِيّ الكُوفِيّ المُخَضْرَمِيّ . من كبار التابعين .

١٠ـ عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ أَبِي لَيْلَى . المتوفّى سنة ٨٢ أو ٨٣ أو ٨٦ هـ .

١١ـ عَمْرُو ذِي مُرَّة أَبُو عَبْد اللَهِ الكُوفِيّ الهَمْدَانِيّ . المتوفّى سنة ١١٦ هـ .

١٢ـ عُمَيْرَةُ بْنُ سَعْدٍ الهَمْدانِيّ الكُوفِيّ .

١٣ـ هَانِي بْنُ هَانِي الهَمْدانِيّ الكُوفِيّ .

١٤ـ حَارِثَةُ بْنُ نَصْرٍ .[2]

روى شيخ الإسلام الحمّوئيّ بسنده عن سعيد بن أبي حَدَّان ، وعمرو ذي مُرّ قالا :

١ـ بكسر الزاي المعجمة وتشديد الراء المهملة . وحُبيش بتقديم الحاء المهملة على الباء الموحّدة ، وهو مصغّر .

٢ـ «الغدير» ج ١ ، من ص ١٦٦ إلى ص ١٨٣ بنحو متفرّق .

قَالَ عَلِيٌّ : أُنْشِدُ اللَهَ ، وَلَا أُنْشِدُ إلّا أصْحَابَ رَسُولِ اللَهِ مَن سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ . قَالَ : فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً سِتَّةٌ مِنْ قِبَلِ سَعِيدٍ وَسِتَّةٌ مِنْ قِبَلِ عَمْرُوٍ ذي مُرٍّ فَشَهِدُوا: أَنَّهُمْ سَمِعُوا رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَأحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ ، وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ .[1]

ونقل الحمّوئيّ أيضاً بسند آخر عن سماك بن عبيد بن وليد العَنَسيّ أنّه قال : دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى ، فحدّثنيّ أنّه شهد عليّاً عليه السلام في الرُّحبة قال : أُنشد الله رجلاً سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وشهد يوم غدير خمّ إلّا قام ! ولا يقوم إلّا من قد رآه . (قال) فقام اثنا عشر رجلاً فقالوا : قد رأينا وسمعنا حيث أخذ بِيَدِ عليّ وقال : **اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ! وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ! وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ! وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ!**[2]

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن عليّ بن حكيم الأوديّ ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن وَهَب وزيد بن يُثيع قالا : **نَشَدَ عَلِيٌّ النَّاسَ فِي الرُّحْبَة : مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ إلَّا قَامَ ! قَالَ : فَقَامَ مِنْ قِبَلِ سَعيدٍ سِتَّةٌ ، وَمِنْ قِبَلِ زَيْدٍ سِتَّةٌ ، فَشَهِدُوا أَنَّهُمْ سَمِعُوا رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ (وَآلِهِ) وَسَلَّمَ يَقُولُ لِعَلِيٍّ رضي اللَه عَنْه يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ : أَلَيْسَ اللَهُ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ ؟ قَالُوا: بَلَى ! قَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .**[3]

١ـ «فرائد السمطين» ج ١ ، السِمْط الأوّل ، الباب العاشر ، ص ٦٨ . ومعلوم أنّ قوله: **مَن كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ** قد أُسقط في النسخة المذكورة.

٢ـ «فرائد السمطين» ج ١ ، السمط الأوّل ، الباب العاشر ، ص ٦٩ .

٣ـ «مسند أحمد» ج ١ ، ص ١١٨ ؛ و «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٢٠٢ عن «أمالي الشيخ» .

ورواه ابن كثير الدمشقيّ بهذا اللفظ والسند من طريق أحمد بن حَنْبَل .[١]

ورواه أحمد بن حَنْبَل بسند آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى . **قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيَّاً رَضِيَ اللَهُ عَنْهُ فِي الرُّحْبَةِ يُنْشِدُ النَّاسَ : أُنْشِدُ اللَهَ مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، لَمَّا قَامَ فَشَهِدَ ! قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ بَدْرِيَّاً كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَحَدِهِمْ ، فَقَالُوا : نَشْهَدُ : أَنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ : أَلَسْتُ أَوْلَى بِالمؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ. وَأَزْوَاجِي أُمَّهَاتُهُمْ ؟! فَقُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَهِ ! قَالَ: فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ.**[٢]

نرى في هذه الرواية أنّ الراوي يقول : اثنا عشر شاهداً ،كلّهم كانوا بدريّين ، أي : أنّهم كانوا من خاصّة الصحابة الذين لهم شرف المشاركة في غزوة بدر . وكأنّي الآن أنظر ـ وأنا أتحدّث ـ إلى أحدهم . أي : أنّ الرؤية محدّدة أيضاً .

وروى أحمد بن حنبل أيضاً بسند آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنّه شهد عليّاً رضي الله عنه في الرُّحبة **قَالَ : أُنْشِدُ اللَهَ رَجُلًا سَمِعَ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ وَشَهِدَهُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ إِلَّا قَامَ ! وَلَا يَقُومُ إِلّا مَنْ قَدْ رَآهُ . فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً فَقَالُوا: قَدْ رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ**

١ـ «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ٢١٠ .

٢ـ «مسند أحمد» ج ١ ، ص ١١٩ ؛ و «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ٢١١ ؛ و«مجمع الزوائد» ج ٤ ، ص ١٠٥. وجاء فيه ما نصّه :**كأنّي أنظر إلى أحدهم عليه سراويل** . والسراويل لباس يستر النصف الأسفل من الجسم . وهذا التعبير أقرب وأفصح.

حَيْثُ أَخَذَ بِيَدِهِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ. فَقَامَ إِلَّا ثَلَاثَةٌ لَمْ يَقُومُوا. فَدَعَا عَلَيْهِمْ فَأَصَابَتْهُمْ دَعْوَتَهُ.[1]

ونلحظ في هذه الرواية أنّ ثلاثة من الذين كانوا قد شهدوا الغدير لم يقوموا للشهادة وكتموها ، فدعا عليهم الإمام فأصابتهم دَعْوَتُهُ .

وروى أحمد بن حنبل أيضاً بسند آخر عن أبي الطفيل ، قال : جمع عليّ رضي الله عنه الناس في الرحبة ، ثمّ قال لهم : أُنشد الله امرءاً سمع ما قاله رسول الله صلّى الله عليه وآله في يوم غدير خمّ إلّا قام . فقام ثلاثون رجلاً . وقال فضل بن دَكِين (أبو نعيم) : قام جمع كثير من الناس وشهدوا ، وكان رسول الله قد أخذ بِيَدِ عليّ وهو يقول للناس : **أَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالمُؤمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم ؟ قَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَهِ ! قَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ. اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ.** وقال أبو الطفيل ناقل هذه الرواية : **فَخَرَجْتُ وَكَأَنَّ فِي نَفْسِي شَيْئاً . فَلَقِيتُ زَيْدَ بْن أَرْقَم فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: فَمَا تُنْكِرُ ؟! قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَلِكَ لَهُ.**[2]

ينبغي أن نعلم أنّ زيد بن أرقم كان من المنكرين والكاتمين في ذلك المجلس ؛ فلهذا كُفّ بصره بدعاء الإمام . وكان يقول : هذا دعاء عليّ قد أصابني . بَيْدَ أنّه كان يروي حديث الغدير بعد ذلك المجلس مراراً و

١ـ «مسند أحمد» ج ١ ، ص ١١٩ ؛ و «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ٢١١. وروى المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٢٠٢ و ٢٠٣ المناشدة في الرُحْبَة عَن «الأمالي» للشيخ الطوسيّ ؛ و«بشارة المصطفى» عن عميرة بن سعد ، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٢ـ «مسند أحمد» ج ٤ ، ص ٣٧٠ ؛ و «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ٢١١ و ٢١٢.

تكراراً في أماكن مختلفه ، وذلك للأشخاص الذين رووا عنه ونقل لنا التأريخ أسماءهم . وقد نقلنا شيئاً من ذلك في أبحاثنا ، وسننقل منه إن شاء الله .

وروى الهَيْثَميّ هذا الحديث في «مجمع الزوائد» عن أحمد بن حَنْبل سنداً ومتناً .[١]

وأخرج النسائيّ في «الخصائص» بسنده عن سَعْيد بن وَهَب أنّه قال : **قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَهُ وَجْهَهُ فِي الرُّحْبَةِ : أُنْشِدُ بِاللَهِ مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ يَقُولُ : إنَّ اللَهَ وَرَسُولَهُ وَلِيُّ المُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ . اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ !**

قال سعيد : قام إلى جنبي ستّة . وقال زيد بن مُنيع :[٢] قام عندي ستّة وشهدوا . وأضاف عمرو بن ذي مرّ في روايته قوله : **أَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ ، وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ** في مناشدة عليّ . وروى هذا الحديث إسرائيل ، عن إسحاق ، عن عمرو بن ذي مُرّ .[٣]

وكذلك روى النسائيّ (أحمد بن شُعيب) عن عليّ بن محمّد بن عليّ ، عن خَلَف بن تميم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ذي مُرّ أنّه **قَالَ : شَهِدْتُ عَلِيَّاً بِالرُّحْبَةِ يُنْشِدُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَهُمَّ وَالِ**

١ـ «مجمع الزوائد» ج ٩ ، ص ١٠٤ .

٢ـ وهو زيد بن يُثيع نفسه المذكور في النسخة المطبوعة للنسائيّ باسم «زيد بن مُنيع».

٣ـ «خصائص مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب» لأحمد بن شُعَيب النسائيّ المتوفّى سنة ٣٠٣هـ ص ٢٦ ، طبعة مطبعة التقدّم ، القاهرة.

مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ ، وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ...،[1] **وَتَفَرَّقْ بَيْنَ المُؤْمِنِ وَالكَافِرِ.**[2]

وأخرج النسائيّ أيضاً بسنده الواحد المتّصل عن عمرو بن سعد أنّه سمع عليّاً عليه السلام ينشد في الرُّحبة : **مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ، فَقَامَ سِتَّةُ نَفَرٍ فَشَهِدُوا.**[3] وروى مضمون الحديث أيضاً بسند آخر عن سعيد بن وهب ويزيد بن يُثيع ،[4] وبسند آخر عن زيد بن يُثيع.[5]

ونقل ابن الأثير الجَزَريّ في «أُسد الغابة» في ترجمة **عبد الرحمن بن عبد ربّ الأنصاريّ** أنّ الحافظ ابن عقدة روى بسنده عن الأصبَغ بن نُباتَة أنّه قال : **نَشَدَ عَلِيٌّ النَّاسَ فِي الرُّحْبَةِ مَنْ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ مَا قَالَ إِلَّا قَامَ ، وَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ يَقُولُ . فَقَامَ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فِيهِمْ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ ، وَأَبُو عُمْرَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُحْصِنٍ ، وَأَبُو زَيْنَبَ ، وَسَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وَخُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَعَبْدُ اللَهِ بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ ، وَحُبْشِي بْنُ جُنَادَةَ السَّلُولِيُّ ، وَعُبَيْدُ بْنُ عَازِبٍ الأَنْصَارِيُّ ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ عَجْلَانَ الأَنْصَارِيُّ ، وثَابِتُ بْنُ وَدِيعَةَ الأَنْصَارِيُّ ، وَأَبُو فُضَالَةَ الأَنْصَارِيُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ رَبِّ الأَنْصَارِيُّ ، فَقَالُوا:**

نَشْهَدُ أَنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَلَا

١ـ يبدو أنّ هنا إسقاطاً .

٢ـ «خصائص النسائيّ» ص ٢٦ و ٢٧ .

٣ـ «خصائص النسائيّ» ، ص ٢٢ .

٤ و ٥ـ «خصائص النسائيّ» ، ص ٢٣ .

إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلِيّي، وَأنَا وَليُّ المُؤْمِنِينَ . ألَا فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَأحِبَّ مَنْ أحَبَّهُ، وَأبْغِضْ مَنْ أبْغَضَهُ، وَأعِنْ مَنْ أعَانَهُ . أَخْرَجَهُ أَبُو مُوسَى.[١]

وكذلك ذكر ابن الأثير في ترجمة أبي زينب بن عَوف الأنصاريّ أنّ الأصبغ بن نُباته قال : **نَشَدَ عَلِيٌّ النَّاسَ : مَنْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ مَا قَالَ إلَّا قَامَ . فَقَامَ بِضْعَةَ عَشَرَ فِيهِمْ أَبُو أَيُّوبَ الأَنصَارِيُّ، وَأَبُو زَيْنَبَ ، فَقَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَخَذَ بِيَدِكَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ فَرَفَعَهَا، فَقَالَ:**

أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنِّي قَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَنَصَحْتَ ! قَالَ: أَلَا إنَّ اللَهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلِيِّي وَأَنَا وَلِيُّ المُؤمِنِينَ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ! اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ، وَأعِنْ مَنْ أعَانَهُ ، وَأبْغِضْ مَنْ أبْغَضَهُ . أَخْرَجَهُ أَبُو مُوسَى.[٢]

وروى ابن حَجَر العَسْقَلانيّ مضمون هذا الحديث عن طريق ابن عُقْدَة بسندين مختلفين عن الأصبغ بن نُباتَة .[٣]

وأخرج ابن الأثير أيضاً في ترجمة **أبي قُدامة الأنصاريّ** بسنده عن أبي الطُفَيل أنّه قال : كنّا عند عليّ رضي الله عنه فقال : أُنشد الله تعالى من شهد يوم غدير خمّ إلّا قام . فقام سبعة عشر رجلاً منهم : أبو قُدّامة الأنصاريّ ، فقالوا : أقبلنا مع رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من حجّة الوداع حتّى إذا كان الظهر ، خرج رسول الله فأمر بشجرات فشُدُدن

١ـ «أُسد الغابة في معرفة الصحابة» ج ٣ ، ص ٣٠٧ .

٢ـ «أُسد الغابة» ج ٥ ، ص ٢٠٥ .

٣ـ «الإصابة» ج ٢ ، ص ٤٠٨ ؛ و ج ٤ ، ص ٨٠ .

وأُلقي عليهنّ ثوب . ثمّ نادى الصلاة . فخرجنا ، فصلّينا . ثمّ قام رسول الله ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : **أيُّهَا النَّاسُ ! أتَعْلَمُونَ أنَّ اللَـهَ عَـزَّ وَجَـلَّ مَوْلَاىَ وَأنَا مَوْلَى المُؤْمِنِينَ ، وَأنِّي أوْلَى بِكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ ؟ ـ يَـقُولُ ذَلِكَ مِرَاراً ـ قُلْنَا : نَعَم وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِكَ ، يَقُولُ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .**

قال العدويّ : أبو قُدامة راوي هذا الحديث هو ابـن الحـارث . شـهد غزوة أُحد واستبسل فيها . وبقى حتّى استشهد مع عليّ عليه السلام بصفّين . قد انقرض عقبه . قال : نسبه كما يلي : أبو قَدامة بن الحارث من بني عـبد مناة من بني عُبَيْد . وقيل : هو أبو قُدامة بن سهل بن الحارث بن جُعْدَبَة بن ثَعْلَبَة بن سالم بن مـالك بـن واقـف . أخـرج أبـو مـوسى (حـديثه ونسـبه هكذا) .[1]

وروى ابن حَجَر العَسْقَلانيّ هذا الحديث عن طريق ابـن عُـقدة فـي كتابه : «**المُوالَاة في حَديث الغدير**» .[2]

وكذلك رواه ابن الأثير في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام بسـنده عن عبد الرحـمن بـن أبـي ليـلى ، وهـو نـفس الحـديث الذي نـقلناه عـن أحمد بن حَنْبَل ، وجاء فيه أنّ ابن أبي ليلى كان يقول : قام اثنا عشر بدريّاً (وشهدوا) وكأنّي أنظر إلى أحدهم عليه سراويل . وقال في آخر الحديث : وذكر البراء بن عازب ، مثل هذا الحديث ، وأضاف إليه قوله : فقال عُمَر بن الخطّاب : **يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ ! أَصْبَحْتَ اليَوْمَ وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ .**[3]

١ـ «أُسد الغابة» ج ٥ ، ص ٢٧٥ و ٢٥٦ .

٢ـ «الإصابة» ج ٤ ، ص ١٥٩ .

٣ـ «أُسد الغابة» ج ٤ ، ص ٢٨ .

ونقله شيخ الإسلام الحمّوئيّ بنفس العبارة عن أحمد بن حَنْبَل بسنده عن أبي ليلى.[١]

ونقل الملّا عليّ المتّقيّ هذا الحديث في «كنز العمّال» عن ابن أبي ليلى، وقال في ذيله: **وَكَتَمَ قَوْمٌ، فَمَا فَنَوْا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا عَمُوا وَبَرِصُوا.**[٢]

وروى ابن الأثير أيضاً في ترجمة نَاجِيَة بن عَمْرو عن طريق أبي نعيم، وأبي موسى المدائنيّ بسلسلة سندهما عن عمرو بن عبد الله بن يعلى بن مُرّة، عن أبيه، عن جدّه يعلى أنّه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: **مَنْ كُنتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ.**

فلمّا قدم عليّ عليه السلام الكوفة، نشد الناس، فانتشد له بضعة عشر رجلاً فيهم أبو أيُّوب الأنصاريّ صاحب منزل رسول الله صلّى الله عليه وآله ونَاجِيَة بن عَمْرو الخُزَاعيّ.[٣]

ورواه ابن حجر العَسْقَلانيّ عن كتاب «الموالاة» لابن عُقْدَة.[٤]

وأخرج أبو نُعَيم الإصفهانيّ بسنده عن عُمَيْرة بن سَعْد أنّه قال: شهدتُ عليّاً عليه السلام على المنبر ناشداً أصحاب رسول الله، وفيهم أبو سَعِيد، وأبو هُريرة، وأنس بن مالك، وهم حول المنبر، فقال عليّ عليه السلام:

نَشَدْتُكُمْ بِاللَهِ هَلْ سَمِعْتُمْ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: مَنْ

١ـ «فرائد السمطين» ج ١، السمط الأوّل، الباب العاشر، ص ٦٩؛ و«البداية والنهاية» ج ٥، ص ٢١١.

٢ـ «كنز العمّال» ج ٦، ص ٣٩٧.

٣ـ «أُسد الغابة» ج ٥، ص ٦.

٤ـ «الإصابة» ج ٣، ص ٥٤٢.

كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ؟! فَقَامُوا كُلُّهُمْ فَقَالُوا: اللَهُمَّ نَعَمْ. وَقَعَدَ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أنْ تَقُومُ؟ قَالَ: يَا أميرَ المُؤْمِنِينَ! كَبُرْتُ وَنَسِيتُ.

فَقَالَ: اللَهُمَّ إنْ كَانَ كَاذِبَاً فَاضْرِبْهُ بِبلَاءٍ حَسَنٍ، قَالَ: فَمَا مَاتَ حَتَّى رَأيْنَا بَيْنَ عَيْنَيهِ نُكْتَةً بَيْضَاءَ، لَا تُوارِيهَا العِمَامَةُ.[1]

وهذا الرجل كما جاء في روايات كثيرة هو أنس بن مالك. والمقصود من النكتة البيضاء، ظهور البرص في جبهته، وكان قبيحاً إلى درجة أنّه لم يستطع إنزال عمامة للتستّر عليه، ذلك أنّ تلك النكتة البيضاء كانت بين عينيه.

وقال العلّامة الأمينيّ في التعليقة بعد نقل هذا الحديث عن حِلية أبي نُعَيم: لفظة حَسَن (في كلام الإمام: اضربه ببلاء حَسَن) من زيادات الرواة أو النسّاخ، فإنّ ما أصاب الرجل وهو أنس بمعونة بقيّة الأحاديث من العمى أو البرص كانت نقمة عليه، من جرّاء دعواه الكاذبة، من النسيان المسبَّب من الكبر، لا بلاء حسناً. كيف؟ وقد أُريد به الفضيحة، وكان بنفسه يلهج بذلك.[2]

ونقل الشيخ سليمان القندوزيّ الحنفيّ عن الحافظ أبي نُعيم الإصفهانيّ في «حلية الأولياء» عن أبي الطفيل حديثاً مفصّلاً في الاحتجاج بحديث الغدير في يوم الرُّحْبة ومناشدة أمير المؤمنين عليه السلام، وذكر فيه سبعة عشر صحابيّاً شهدوا، منهم: خُزَيْمة بن ثابت، سَهْل بن سَعْد، عَدِيّ بن حاتم، عَقَبة بن عامر، أبو أيّوب الأنصاريّ، أبو سعيد الخُدريّ،

١ـ «حلية الأولياء» ج ٥، ص ٢٦ و ٢٧؛ و «الغدير» ج ١، ص ١٨٠ و ١٨١. ونقل ابن المغازليّ الشافعيّ مختصراً في كتاب «مناقب عليّ بن أبي طالب» ص ٢٦، الحديث رقم ٣٨.

٢ـ «الغدير» ج ١، ص ١٨١، التعليقة (١).

أبو شُريح الخُزاعيّ ، أبو قُدامة الأنصاريّ ، أبو ليلى ، وأبو الهَيثم بن التيّهان . قد شهد هؤلاء الصحابة العِظام من خلال ذكر مواصفات يوم غدير خمّ ، ووصيّة النبيّ في الثَقَلين :كتاب الله والعترة ، والولاية .[١]

وروى موفّق بن أحمد : خطيب خوارزم بسنده عن سعيد بن وهب ، وعبد خير أنّهما ذكرا مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام وجواب الصحابة بلفظ : فَقَام عِدَّةٌ مِنْ أصْحَابِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله ، وحكاية حديث الموالاة .

وقال بعد ذلك : **يُقَالُ : نَشَدْتُكَ اللَهَ ، وَنَاشَدْتُكَ اللَهَ ، وَأَنْشَدْتُكَ بِاللهِ ، أيْ : سَأَلْتُكَ بِهِ وَطَلَبْتُ إلَيْكَ . وَهُوَ مَجَازُ قَوْلِهِمْ نَشَدَ الضَّالَةَ يَنْشُدُهَا إذَا طَلَبَهَا . وَأَنْشَدَهَا إذَا عَرَّفَهَا .**[٢]

ونقل ابن الأثير في ترجمة **عبد الرحمن بن مُدْلج** أنّ **ابن عُقْدة** روى بإسناده عن أبي الغيلان : سعْد بن طَالِب ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ذي مُرّ ، ويزيد بن يثيع ، وسعيد بن وهب ، وهانئ بن هانئ ـ وقال أبو إسحاق : حدّثني من لا أُحصي ـ أنّ عليّاً عليه السلام نشد الناس في الرُّحْبة : من سمع قول رسول الله : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .** فقام نفر منهم وشهدوا أنّهم سمعوا ذلك من رسول الله . **وَكَتَمَ قَوْمٌ فَمَا خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى عَمُوا وَأَصَابَتْهُمْ آفَةٌ ، مِنْهُمْ يَزِيدُ بْنُ وَدِيعَةَ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُدْلِجٍ . أَخْرَجَهُ أَبُو مُوْسَى .**[٣]

ونصل إلى نهاية حديثنا عن الاحتجاج بحديث الغدير في الرُّحْبة .

١ـ «ينابيع المودّة» ص ٣٨ ، الطبعة الأُولى ، إ سلامبول .

٢ـ «مناقب الخوارزميّ» ص ٩٤ ، الطبعة حجريّة ، و ص ٩٥ في الطبعة الحديثة.

٣ـ «أُسد الغابة» ج ٣ ، ص ٣٢١ .

وقد ذكرنا هذا الاحتجاج بنحو مفصّل ومسهب ، لأنّه أهمّ من جميع الاحتجاجات الأُخرى ، والتعويل عليه أضمن ، وشيوعه في الكتب أكثر . ولا نألف كتاباً في الحديث والتأريخ والسيرة إلّا وتطرّق إلى احتجاج رحبة الكوفة . فلهذا يحظى بأهمّيّة خاصّة من حيث الاحتجاج به والاستناد إليه مع ما يتمتّع به من الثبوت لدى أرباب التأريخ والسير .

خصوصاً ، أنّ ما نقلناه من الحديث كان مأخوذاً من كتب العامّة ليطّلع إخواننا الشيعة على ثبوت هذا الموضوع عند الخصم ، ويعلم إخواننا العامّة أنّ هذه الأُمور موجودة في المدارك الموثوقة لكتبهم ، ولا تخفى حقيقة الأمر ، وإن كان العامّة والأكثريّة على خلاف ذلك . وهذا هو الحقّ ، **وَهُوَ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ** . وعلى الرغم من هذا السند وهذه الدلالة في حديث الغدير ، كيف يقول عمر عند دنوّ أجله : لو كان أبو عبيدة بن الجرّاح حيّاً لاستخلفته ، وقلت لربّي يوم القيامة : رسولك قال : هذا أمين الأُمّة .

كيف نسى ذلك البحر الذي لا نفاد له من الفضائل والمناقب التي كان قد سمعها من رسول الله صلّى الله عليه وآله بحقّ أمير المؤمنين عليه السلام ؟ هل نسيها عمر أم تناساها ؟ وكلّ واحدة من هذه الفضائل تعادل قول رسول الله : هذا أمينُ الأُمَّة [1] ـ على فرض صحّة صدوره ـ ألف مرّة ، وهي أقوى وأمتن ، وفي الاحتجاج والاستدلال أقطع وأدفع . ألا يستطيع عمر أن يقول لربّه يوم القيامة : استخلفتُ عليّاً لأنّي سمعت بأُذنَيَّ هاتين ، ورأيت بعينَيَّ هاتين أنّ نبيّك رفع عليّاً على المنبر آخذاً بيده ، وهو يقول للمسلمين من المهاجرين والأنصار : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَهُمَّ وَالِ**

١ـ هذا الكلام موضوع مفترى لا صحّة له . وتخلو منه كتب الإ ماميّة كلّها سواء مصادرها ومجاميعها أم غيرها من الكتب.

مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَأَعِنْ مَنْ أَعَانَهُ، وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ ؟!

ولمّا كنتُ قد اعترفت ذلك اليوم بإمارته وولايته وحكومته وأولويّته في الأوامر والنواهي والأحكام والسياسات والمعاملات من خلال قولي له : **بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَابْنَ أبي طَالِبٍ ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ**، فليس لي نكث العهد، لذلك استخلفته، بل وأتوب إلى الله، وأعتذر إليه من غصب الخلافة في الماضي !

الاحتجاج الخامس بحديث الغدير يتمثّل في ما استشهد به أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل التي خاضها ضدّ طلحة والزبير . فلمّا نكث هذان البيعة، وتحرّكا تلقاء البصرة حبّاً للرئاسة، وآزرا عائشة زوجة النبيّ التي كانت تقود الجيش، واستجابا لتحريض ولديهما : محمّد بن طلحة، وعبد الله بن الزبير اللذين كانت عائشة خالتهما، أعدّا عدّتهما وجهّزا جيشاً للقتال، وتحرّكا صوب البصرة ومعهما اثنا عشر ألفاً بذريعة المطالبة بدم عثمان . ودخلوا البصرة وقتلوا وذبحوا، وقبضوا على عثمان بن حنيف والي البصرة من قبل أمير المؤمنين عليه السلام ونتفوا لحيته، وعذّبوه كثيراً، وأرادوا قتله، بَيدَ أنّهم لم يفعلوا خوفاً من بطش أخيه سهل بن حُنَيف الذي كان في المدينة .

وعندما تواجه الجيشان وهما يستعدّان للقتال، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يبدأ القوم بقتال، بل استدعى في البداية طلحة والزبير كلّاً على انفراد، واجتمع بكلّ منهما في وسط الميدان، وأتمّ عليهما الحجّة . وهذه القصّة مفصّلة وهي مشهورة للغاية . بَيدَ أنّا نجتزئ هنا بالاستشهاد بحديث الغدير في مقام الاحتجاج والمناشدة .

فقد أخرج الحافظ الكبير : أبو عبد الله محمّد بن عبد الله المعروف

بالحاكم النيسابوريّ المتوفّى سنة ٤٠٥ هـ في مستدركه بسنده عن رفاعة بن أياس الضبّيّ ، عن أبيه ، عن جدّه أنّه **قَالَ : كُنَّا مَعَ عَلِيٍّ يَوْمَ الجَمَلِ فَبَعَثَ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَهِ أنِ الْقَنِي . فَأَتَاهُ طَلَحَة ، فَقَالَ : نَشَدْتُكَ اللَـهَ هَـلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَلِمَ تُقَاتِلُنِي ؟! قَالَ : لَمْ أَذْكُرْ . قَالَ : فَانْصَرَفَ طَلْحَةُ .**[١]

وذكر هذه الرواية سنداً ومتناً أخطب خطباء خوارزم ، موفّق بن أحمد بسنده عن الحاكم النيسابوريّ : الحافظ أبي عبدالله ، وفي آخرها : **فَانْصَرَفَ طَلْحَةُ وَلَمْ يَرُدَّ جَوَابَاً .**[٢]

ونقلها سبط بن الجوزيّ بهذه العبارة : **وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ عَلِيَّاً عَلَيهِ السَّلَامُ قَالَ لِطَلْحَةَ : نَشَدْتُكَ اللَهَ ! أَلَمْ تَسْمَعْ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَـهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ؟! فَقَالَ : بَلَى وَاللَـهِ . ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ .**[٣]

ورواها الهَيْثَميّ عن طريق البزّار ،[٤] وابن حجر العسقلانيّ عن طريق النسائيّ .[٥]

وذكرها أبو الحسن عليّ بن الحسين المسعوديّ المتوفّى سنة ٣٤٦ هـ بقوله : لمّا تمّ احتجاجه مع الزبير ورجع الأخير ، **نَادَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَهُ عَنْهُ طَلْحَةَ حِينَ رَجَعَ الزُّبَيْرُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ! مَا الَّذِي أَخْرَجَكَ ؟! قَالَ : الطَّـلَبُ**

١ـ «مستدرك الحاكم» ج ٣ ، ص ٣٧١ .

٢ـ «مناقب الخوارزميّ» ص ١١٢ ، الطبعة الحجريّة ، وفي الطبعة الحديثة ، ص ١١٥ .

٣ـ «تذكرة خواصّ الأُمّة» ص ٤٢ .

٤ـ «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» ج ٩ ، ص ١٠٧ .

٥ـ «تهذيب التهذيب» ج ١ ، ص ٣٩١ .

بِدَمِ عُثْمَانَ!

قَالَ عَلِيٌّ : قَتَلَ اللَهُ أَوْلَانَا بِدَمِ عُثْمَانَ . أَمَا سَمِعْتَ رَسُولَ اللَهِ يَقُولُ : اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ؟ وَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ بَايَعَنِي ثُمَّ نَكَثْتَ ، وَقَدْ قَالَ اللَهُ عَزَّ وَجَلَّ : «وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ»؟[1] فَقَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللَهَ . ثُمَّ رَجَعَ .[2]

وأمّا احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام ورجوع الزبير بنحو آخر .

فقد قال فيه المسعوديّ : ولمّا استعدّ الصفّان للقتال ، خرج عليّ عليه السلام بنفسه حاسراً على بغلة رسول الله صلّى الله عليه وآله لا سلاح عليه ، فنادى : يا زبير ! اخرج إليّ . فخرج إليه الزبير شاكاً في سلاحه .

فقيل ذلك لعائشة ، فقالت : **وَا ثَكْلُكِ يَا أَسْمَاءُ .**[3] فقيل لها : إنّ عليّاً حاسر لا سلاح معه ، فاطمأنّت . واعتنق كلّ واحد منهما صاحبه . فقال له عليّ عليه السلام : ويحك يا زبير ! ما الذي أخرجك ؟!

قال : دم عثمان ! فقال [الإمام] : قتل الله أولانا بدم عثمان . أما تذكر يوم لقيت رسول الله صلّى الله عليه وآله في بني بياضة وهو راكب حماره ، فضحك إليّ رسول الله ، وضحكتُ إليه ، وأنت معه ، فقلتَ : **يَا رَسُولَ اللهِ ! مَا يَدَعُ عَلِيٌّ زَهْوَهُ ،** فقال لك : **لَيْسَ بِهِ زَهْوٌ . أَتُحِبُّهُ يَا زُبَيْرُ ؟** فقلت : إنّي والله لأحبّه !

١ـ الآية ١٠ ، من السورة ٤٨ : الفتح : **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَهَ يَدُ ٱللَهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا .**

٢ـ «مروج الذهب» ج ٢ ، ص ٣٧٣ طبعة دار السعادة ، ص ٣٦٤ و ٣٦٥ ، في طبعة دار الأندلس.

٣ـ أسماء بنت أبي بكر وأُخت عائشة ، وهي زوجة الزبير.

فقال لك : **إنَّكَ وَاللَهِ سَتُقَاتِلُهُ وَأنْتَ لَهُ ظَالِمٌ!** فقال الزبير : أستغفر الله ، والله لو ذكرتها ، ما خرجتُ !

فقال [له الإمام] : يا زبير ، ارْجع ! فقال : وكيف أرجع الآن **وَقَدِ الْتَقَتْ حَلَقَتَا البِطَانِ**.[1] هذا والله العار الذي لا يُغْسَلُ .

فقال : **يَا زُبَيْرُ ! ارجِعْ بِالعَارِ قَبْلَ أنْ تَجْمَعَ العَارَ وَالنَّارَ**. فرجع الزبير وهو يقول :

إخْتَرْتُ عَاراً عَلَى نارٍ مُؤجَّجَةٍ
مَا إنْ يَقومُ لَهَا خَلْقٌ مِنَ الطينِ
نَادَى عَلِيٌّ بِأمْرٍ لَسْتُ أَجْهَلُهُ
عَارٌ لَعَمْرُكَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ
فَقُلْتُ : حَسْبُكَ مِنْ عَذْلٍ أبا حَسَنٍ
فَبَعْضُ هَذَا الَّذِي قَدْ قُلْتَ يَكْفِنِي[2]

يقول المسعوديّ : بعد الكلام الذي دار بين الزبير وبين ابنه عبد الله ، وبعد الشجاعة التي أبداها في ساحة القتال ، مضى الزبير منصرفاً ، حتّى أتى **وادي السِّباع** والأحْنَف بن قَيْس معتزل في قومه بني تميم . فأتاه آتٍ فقال له : هذا الزبير مارّاً . فقال الأحنف : ما أصنع بالزبير ؟ وقد جمع بين فئتين عظيمتين من الناس يقتل بعضهم بعضاً ، وهو مارّ إلى منزله سالماً .

فلحقه نفر من بني تميم ، فسبقهم إليه **عمرو بن جُرموز** ، وقد نزل

١ـ البِطان ، الحزام الذي يجعل تحت بطن الفرس والبغل ، له حلقتان متّصلتان تحت البطن. وإذا ما كانتا منفصلتين فإنّ الدابّة غير جاهزة للركوب والحركة. أمّا إذا اتّصلتا بعضهما ببعض، فإنّها جاهزة للحركة ، وكلّ شئ يكون قد تمّ وحان حِينُهُ . وقوله: **اِلْتَقَتْ حَلْقَتَا البِطَانِ مَثَلٌ** يضرب عند العرب إذا عظم الخطب واشتدّ الأمر.

٢ـ «مروج الذهب» ج ٢ ، ص ٣٧١ و ٣٧٢ ، طبعة دار السعادة .

الزبير إلى الصلاة . (فقال : أتؤمُّني أو أَؤُمُّكَ ؟) فأَمَّه الزبير ، فقتله عمرو في الصلاة ، وله خمس وسبعون سنة . وقيل : إنّ الأحنف بن قيس قتله بإرساله من أرسل من قومه .

وأتى عَمْرو بن جُرْمُوز أمير المؤمنين عليه السلام بسيف الزبير وخاتمه ورأسه ، وقيل : إنّه لم يأت برأسه . فقال الإمام : **سَيْفٌ طَالَما جَلَا الكَرْبَ عَنْ (وَجْهِ) رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَكِنَّهُ الحَيْنُ وَمَصَارِعُ السُّوءِ ، وَقَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةِ فِي النَّارِ.**[1]

ذلك أنّ ابن جرموز قتل الزبير غيلةً وغَفْلةً ، ولم يرد الفتك في الإسلام ،كما لا يجوز القتل غيلة ، وهو المعبَّر عنه اليوم : الاغتيال . يضاف إلى ذلك أنّ ابن جرموز قد ركب هواه وقتل الزبير بلا إذن من الإمام وكان الزبير قد اعتزل الحرب ومضى لوجهته ، فما هو المبرّر الشرعيّ لابن جرموز حتّى يقوم بقتل الزبير ، والإمام لم يأذن بذلك ؟

وأمّا مصير طلحة ، فقدكان مشغولاً بالحرب مع جماعة من أصحابه ، وكان يوصي الجيش بالصبر والصمود ، حتّى رماه مَرْوان بن الحَكَم ، وهو أحد أفراد جيشه ، بسهم في أكحله ، فنزف دمه حتّى مات . يقول مروان : كنت أعلم أنّ طلحة هو الذي كان يحرّض الناس على قتل عثمان ، وهو أحد مسبّبي قتله ، فلم أَرَ أنسب من ذلك اليوم للأخذ بثأر عثمان ، فرميته بسهم ، فقتلت أحد قاتلي عثمان .

يقول اليعقوبيّ : فقتل طلحة بن عبيد الله في المعركة . رماه مروان بن الحكم بسهم فصرعه ، وقال : لا أطلب بعد اليوم بثأر عثمان ، وأنا قتلته .

فقال طلحة لمّا سقط إلى الأرض : تالله ما رأيت كاليوم قطّ شيخاً من

١ـ «مروج الذهب» ص ٣٧٢ و ٣٧٣ .

قريش أضيع منيّ . إنيّ والله ما وقفت موقفاً قطّ إلّا عرفت موضع قدمي فيه إلّا هذا الموقف .[١]

يقول المسعوديّ : لمّا رأى مروان بن الحكم طلحة في ميدان القتال ، قال : ما أُبالي رميتُ ههنا أم ههنا : جيش عَلِيّ أو جيش البصرة . فرماه في أكحله فقتله .[٢]

الاحتجاج السادس : وهو الاستدلال الذي كان في الكوفة أيضاً سنة ٣٦ أو ٣٧ هـ . وتفسيره أنّ رهطاً جاؤوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا : السلام عليك **يَا مَوْلَانَا** . قال : وكيف أكون مولاكم وأنتم عرب ؟ (المولى : السيّد ، وصاحب الغلام والجارية ، وصاحب الأسير ونظير ذلك . ومع أنّكم عرب ، ولستم أسرى أو عبيداً لي ، فكيف تروننني مولى لكم؟) وتخاطبونني بكلمة مَوْلى ؟ قالوا : سمعنا رسول الله يقول يوم غدير خمّ : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ** .

وروى عليّ بن عيسى الأربليّ في «كشف الغُمَّة» أحاديث في منقبة أمير المؤمنين عليه السلام عن الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مَرْدَوَيْه . يقول في أوّلها : **وَأَمَّا مَا رَوَاهُ الحَافِظُ أَبُو بَكْر أَحْمَدَ بنُ مُوسَى بن مَرْدَوَيْه فَأَنَا أَذْكُرُهُ عَلَى سِيَاقَتِهِ ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** .[٣] ثمّ يبدأ بذكر الفضائل إلى أن يقول : في رواية عن رياح بن الحرث ، قال : كنت في الرحبة مع أمير المؤمنين عليه السلام إذ أقبل ركب يسيرٌ حتّى أناخوا بالرُّحْبَة ، ثمّ أقبلوا يمشون حتّى أتوا عليًّا عليه السلام

١ـ «تاريخ اليعقوبيّ» ج ٢ ، ص ١٨٢ .

٢ـ «مروج الذهب» ج ٢ ، ص ٣٧٣ .

٣ـ «كشف الغمّة» ص ٩٢ ، طبعة القطع الرحليّ .

فقالوا : **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَهِ وَبَرَكَاتُهُ**. قَالَ : مَنِ القوم ؟ **مَوَالِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ**.

قال رياح : فنظرتُ إلى أمير المؤمنين وهو يضحك ويقول : **مِنْ أيْنَ وَأنْتُمْ قَوْمٌ عَرَبٌ**؟ قالوا : سمعنا رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول يوم غدير خمّ وهو آخذ بعضدك : **أيُّهَا النَّاسُ ! أَلَسْتُ أوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنفُسِهِم ؟! قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَهِ ! فَقَالَ : إنّ اللَهَ مَوْلَايَ، وَأنَا مَوْلَى المُؤْمِنِينَ، وَعَلِيٌّ مَوْلَى مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ ، اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**.[1]

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : أنتم تقولون ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : وتشهدون عليه ؟ قالوا : نعم . قال : صَدَقْتُمْ .

فانطلق القوم وتبعتهم فقلت لرجل منهم : مَن أنتم يا عبد الله ؟ قالوا : نحن رهط من الأنصار ، وهذا **أبو أيّوب** صاحب منزل رسول الله صلّى الله عليه وآله . فأخذت بيده فسلّمت عليه وصافحته .[2]

وروي عن حبيب بن يَسار عن أبي رُمَيْلة أنّ ركباً أربعة أتوا عليّاً عليه السلام حتّى أناخوا بالرُّحبة . ثمّ أقبلوا إليه فقالوا : **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَهِ وَبَرَكَاتُهُ**. قال : **وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ ! أَنَّى أَقبَل الرَّكْبُ ؟**

١ـ نقل ابن المغازليّ الجُلّابيّ الشافعيّ حديث الركبان عن أحمدبن محمّد البزّاز بسنده عن رياح بن الحارث في ص ٢٢ من مناقبه . وذكره العلّامة الأمينيّ في «الغدير» عن أحمدبن حنبل عن رياح بن الحارث ، ج ١ ، ص ١٨٧ ، وكذلك جاء في «إحقاق الحقّ» ج ٦ ، ص ٣٢٦.

٢ـ جاء في النسخة البدل هنا أنّ الأربليّ يقول : ذكرنا هذه الرواية سابقاً بألفاظ مختصرة عن مسند أحمدبن حنبل ورياح بن الحارث ؛ و «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ٢١٢ .

قالوا : **أَقْبَلَ مَوَالِيكَ مِنْ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا** . قال : **أَنَّى أَنْتُمْ مَوَالِيَّ ؟** قالوا : سمعنا رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم غدير خمّ يقول : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .**[1]

وذكر ابن الأثير الجَزَريّ في ترجمة حبيب بن بُدَيْل بن ورقاء أنّ أبا العبّاس بن عُقْدَة روى بإسناده عن زِرٍّ بن حُبَيْش قال : خرج عليّ عليه السلام من القصر فاستقبله ركبان متقلّدي السيوف فقالوا : **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَانَا وَرَحْمَةُ اللَهِ وَبَرَكَاتُهُ .**

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : مَنْ هَهنا مِنْ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟ فقام اثنا عشر ، منهم : **قَيْسُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ شماس ، وهاشم بن عُتبة ، وحَبيب بن بُدَيل بن وَرْقاء** ، فشهدوا أنّهم سمعوا النبيّ صلّى الله عليه وآله يقول : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ** . وأخرجه أبو موسى .[2]

وقال شيخنا الأجلّ أبو عمرو محمّد الكشّيّ في رجاله بعد نقل مضمون هذا الحديث عن المنهال بن عمرو ، عن زِرٍّ بن حُبيش ، وذكر الشهود التالية أسماؤهم : **خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ** وهو **أَبُو أَيُّوب** ، **وخُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِت ذُو الشَّهادَتَيْنِ** ، **وقَيْسُ بْنُ سَعْد بن عُبَادَة** ، **وعَبْدُ اللَهِ بنُ بُدَيْل بن وَرْقَاء** : قال عليّ عليه السلام لأنس بن مالك ، والبراء بن عازب : ما منعكما أن تقوما فتشهدا ؟! فقد سمعتماكما سمع القوم ! ثمّ قال : اللهمّ إن كانا كتماها

١ـ «كشف الغمّة» ص ٩٣ و ٩٤ . وجاء هذا الحديث مختصراً في كتاب «الرِّياض النَّضرة» ج ٣ ، ص ١٦١ ، طبعة شركة الطباعة المتّحدة الفنّيّة ، عن رياح بن الحارث ، عن أحمد بن حنبل ، وعن البَغَويّ في معجمه . ورواه أحمد مختصراً في «الفضائل» كما نقل ذلك المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٢٠٩ .

٢ـ «أُسد الغابة» ج ١ ، ص ٣٦٨ و ٣٦٩ .

معاندة فابتلهما !

فعمي البراء بن عازب ، وبرص وجه أنَس بن مالك . فحلف أنس بن مالك أن لا يكتم منقبة لعليّ بن أبي طالب ولا فضلاً أبداً . أمّا البراء بن عازب فكان يسأل عن منزله فيقال : هو في موضع كذا وكذا . فيقول : كيف يرشد من أصابته دعوة عليّ بن أبي طالب ؟ [١]

وذكر العلّامة الأمينيّ أسماء الذين شهدوا بالولاية ، وعُرِفَ يومهم بيوم الركبان ، وذكر بعد ذلك أسماء الذين كتموا على النحو التالي : أمّا الشهود فهم :

١ ـ **أبُو الهَيثَم بن التيّهان بدريّ** . (شهد بدراً) .

٢ ـ **أبو أيّوب : خَالد بن زَيْد الأنصاريّ** .

٣ ـ **حَبيب بن بُدَيْل بن وَرْقاء الخُزاعيّ** .

٤ ـ **خُزيمة بن ثابِت ذُو الشَّهادَتَيْن** . الشهيد بصفّين (بدريّ) .

٥ ـ **عَبد الله بن بُدَيْل بن وَرْقَاء** . الشهيد بصفّين .

٦ ـ **عَمَّار بن يَاسِر** . قتيل الفئة الباغية بصفّين . بدريّ .

٧ ـ **قيس بن ثابت بن شِمَاس الأَنْصاريّ** .

٨ ـ **قَيْس بن سَعْد بن عُبادة الخَزْرَجيّ (الأنْصَارِيّ)** بدريّ .

٩ ـ **هاشم المِرْقال بن عُتَبَة** صاحب راية (أمير المؤمنين) عليّ والشهيد بصفّين .

---

١ ـ «رجال الكشّيّ» ص ٣٠ و ٣١ ، فيما روي من جهة العامّة . ونقل المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٢٢٣ عن ابن أبي الحديد أنّه قال : **وقد ذكر ابن قُتَيْبَه حديث البَرَص والدَّعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنس بن مالك في كتاب المعارف ، وابن قتيبة غير متّهم في حقّ عليٍّ على المشهور من انحرافه عنه .**

وأمّا الذين كتموا الشهادة . بناءً على ما سجّلته كتب التأريخ ، فهم :

١ ـ **أبُو حَمْزَة : أنَس بن مَالِك** . المتوفّى (سنة) ٩٠ أو ٩١ أو ٩٣ هـ .

٢ ـ **البراء بن عازب الأنصاريّ** . المتوفّى (سنة) ٧١ أو ٧٢ هـ .

٣ ـ **جرير بن عَبْد الله البجليّ** . المتوفّى (سنة) ٥١ أو ٥٤ هـ .

٤ ـ **زَيْد بن أرْقَم الخَزْرَجيّ** . المتوفّى (سنة) ٦٦ أو ٦٨ هـ .

٥ ـ **عَبدُ الرحمن بن مُدْلِج** .

٦ ـ **يَزيد بن وديعة** .[1]

الاحتجاج السابع : ويتمثّل بمناشدة أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفّين أمام عسكره وجمع الناس ومن بحضرته من النواحي والمهاجرين والأنصار .

وكان هذا الاحتجاج في وقت كان معاوية قد بعث فيه كتاباً إلى الإمام مع أبي هُرَيْرة وأبي الدرداء ، ووجّه إليه أسئلة شفويّة بواسطتهما .

ولمّا كان هذا الكتاب والأسئلة وأجوبتها رائعة جدّاً ، فلهذا ننقل القصّة من أوّلها . ثمّ نعرّج على استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير . ووردت هذه القصّة مفصّلة في كتاب التابعيّ الجليل **سُلَيم بن قَيْس الهِلَالِيّ الكوفيّ** الذي كان من أعاظم أصحاب الإمام ، ولا مِراء عند الخاصّة والعامّة في جلالته ووثاقته وأمانته ونزاهته في النقل .

روى أبان بن أبي عيّاش عن سُلَيم بن قيس أنّه قال : كنّا مع أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين : وزعم **أبو هُريرة العَبْديّ** أنّه سمع من عُمَر بن أبي سَلَمَة أنّ **معاوية** دعا أبا الدرداء وأبا هريرة ، وكانا من أصحابه ، فقال لهما : انطلقا إلى **عليّ** فاقرآه منيّ السلام وقولا له : والله إنيّ لأعلم

---

١ ـ «الغدير» ج ١ ، ص ١٩١ و ١٩٢ .

أنّك أولى الناس بالخلافة وأحقّ بها منيّ لأنّك من المهاجرين الأوّلين وأنا من الطلقاء . وليس لي مثل سابقتك في الإسلام وقرابتك من رسول الله وعلمك بكتاب الله وسنّة نبيّة .

ولقد بايعك المهاجرون والأنصار بعد ما تشاوروا ثلاثة أيّام ثمّ أتوك فبايعوك طائعين غير مكرهين . وكان أوّل من بايعك طلحة والزبير ، ثمّ نكثا بيعتك وظلما وطلبا ما ليس لهما .

وبلغني أنّك تعتذر من قتل عثمان وتتبرّأ من دمه ! وتزعم أنّه قتل وأنت قاعد في بيتك ! وأنّك قلت حين قتل : اللهمّ لم أرض ولم أُمال . وقلت يوم الجمل حين نادوا : **يَا لَثَارات عُثْمانَ ! كُبَّ قَتَلَة عثمان اليَوْمَ لِوُجُوهِهِمْ إلى النّارِ!** أنحن قتلناه ؟ وإنّما قتله هما وصاحبتهما (طلحة ، والزبير ، وعائشة) ، وأمروا بقتله وأنا قاعد في بيتي ، وأنا ابن عمّ عثمان والمطالب بدمه .

فإن كان الأمر كما قلتَ ، فأمكنا من قتلة عثمان وادفعهم إلينا نقتلهم ـ يا بن عمّنا ـ ونبايعك ونسلّم إليك الأمر ! هذه واحدة .

وأمّا الثانية ، فقد أنبأتني عيوني وأتتني الكتب من أولياء عثمان ممّن هو معك يقاتل ـ ونحسب أنّه على رأيك وراض بأمرك وهواه معنا وقلبه عندنا ، وجسده معك ـ أنّك تظهر ولاية أبي بكر وعمر ، وتترحّم عليهما ، وتكفّ عن عثمان ولا تذكره ولا تترحّم عليه ولا تلعنه ! (وفي رواية أُخرى : ولا تسبّه ولا تتبرأ منه) .

وبلغنيّ أنّك إذا خلوتَ ببطانتك الخبيثة وشيعتك وخاصّتك الضالّة الكاذبة ، تبرأت عندهم من أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ولعنتهم وادّعيت أنّك وصيّ رسول الله في أُمّته وخليفته فيهم ، وأنّ الله عزّ وجلّ فرض على المؤمنين طاعتك وأمر بولايتك في كتابه وسنّة نبيّه ، وأنّ الله أمر محمّداً أن

يقوم بذلك في أُمّته ، وأنّه أنزل عليه : **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ**.[1] فجمع قريشاً والأنصار وبني أُميّة بغدير خمّ (وفي رواية أُخرى : فجمع أُميّة بغدير خمّ) فبلّغ ما أُمر به فيك عن الله ، وأَمَر أن يبلّغ الشاهد الغائب ، وأخبرهم **أَنَّكَ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَأَنَّكَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**.

وبلغني أنّك لا تخطب خطبة إلّا قلت قبل أن تنزل عن منبرك : **وَاللَهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ ، وَمَا زِلْتُ مَظْلُومَاً مُنْذُ قُبِضَ رَسُولُ اللَهِ**.

لئن كان ما بلغني عنك حقّاً ، فلظلم أبي‌بكر و عمر إيّاك أعظم من ظلم عثمان ، لأنّه بلغني أنّك تقول : لقد قبض رسول الله ونحن شهود فانطلق عمر وبايع أبا بكر ، وما استأمرك ولا شاورك . ولقد خاصم الرجلان (أبو بكر وعمر) الأنصار بحقّك وحجّتك وقرابتك من رسول الله ، ولو سلّما لك وبايعاك كان عثمان أسرع الناس إلى ذلك لقرابتك منه وحقّك عليه ، لأنّه ابن عمّك وابن عمّتك !

ثمّ عمد أبو بكر فردّها إلى عمر عند موته ، ما شاورك ولا استأمرك حين استخلفه ، وبايع له ، ثمّ جعلك عمر في الشورى بين ستّة منكم ، وأخرج منها جميع المهاجرين والأنصار وغيرهم . فولّيتم ابن عوف أمركم في اليوم الثالث حين رأيتم الناس قد اجتمعوا واخترطوا سيوفهم وحلفوا بالله لئن غابت الشمس ولم تختاروا أحدكم ليضربنّ أعناقكم ولينفذنّ فيكم أمر عمر ووصيّته ، فولّيتم أمركم ابن عوف ، فبايع عثمان فبايعتموه ، ثمّ حصر عثمان فاستنصركم فلم تنصروه ودعاكم فلم تجيبوه ، وبيعته في أعناقكم .

١ـ الآية ٦٧ ، من السورة ٥ : المائدة .

وأنتم يا معشر المهاجرين والأنصار حضور شهود فخلّيتم عن أهل مصر حتّى قتلوه. وأعانهم طوائف منكم على قتله، وخذله عامّكم، فصرتم في أمره بين قاتل وآمر وخاذل.

ثمّ بايعك الناس، وأنت أحقّ بها منّي، فأمكنّي من قتلة عثمان، حتّى أقتلهم و أُسلّم الأمر لك وأُبايعك أنا وجميع من قبلي من أهل الشام.

فلمّا قرأ عليّ عليه السلام كتاب معاوية، وبلغه أبو الدرداء وأبو هُريرة رسالته ومقالته، قال عليّ عليه السلام لأبي الدرداء: قد بلغتماني ما أرسلكما به معاوية! فاسمعا منّي ثمّ أبلغاه عنّي وقولا له:

إنّ **عثمان بن عفّان** لا يعدو أن يكون أحد رجلين: إمّا إمام هدى حرام الدم، واجب النصرة، لا تحلّ معصيته، ولا يسع الأُمّة خذلانه. أو إمام ضلالة، حلال الدم، لا تحلّ ولايته ولا نصرته. فلا يخلو من إحدى الخصلتين.

والواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين، بعدما يموت إمامهم أو يقتل ضالّاً كان أو مهتدياً، مظلوماً كان أو ظالماً، حلال الدم أو حرام الدم، أن لا يعملوا عملاً، ولا يحدثوا حدثاً، ولا يقدّموا يداً ولا رِجلاً، ولا يبدأوا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالماً ورعاً عارفاً بالقضاء والسنّة يجمع أمرهم ويحكم بينهم ويأخذ للمظلوم من الظالم حقّه، ويحفظ أطرافهم، ويجبي فيئهم ويقيم حجّتهم ويجبي صدقاتهم، ثمّ يحتكمون إليه في إمامهم المقتول ظلماً ليحكم بينهم بالحقّ.

فإن كان إمامهم قتل مظلوماً، حكم لأوليائه بدمه، وإن كان قتل ظالماً نظر كيف الحكم في ذلك.

هذا أوّل ما ينبغي أن يفعلوه، أن يختاروا إماماً يجمع أمرهم، إن كانت الخيرة لهم ويتابعوه ويطيعوه. وإن كانت الخيرة إلى الله عزّ وجلّ

وإلى رسوله ، فإنّ الله قد كفاهم النظر في ذلك والاختيار ، ورسول الله قد رضي لهم إماماً وأمرهم بطاعته واتّباعه .

وقد بايعني الناس بعد قتل عثمان وبايعني المهاجرون والأنصار بعدما تشاوروا بي ثلاثة أيّام . وهم الذين بايعوا أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعقدوا إمامتهم . ولي ذلك أهل بدر والسابقة من المهاجرين والأنصار ، غير أنّهم بايعوهم قبلي على غير مشورة من العامّة ، وأنّ بيعتي كانت بمشورة من العامّة .

فإن كان الله جلّ اسمه جعل الاختيار إلى الأُمّة وهم الذين يختارون وينظرون لأنفسهم واختيارهم لأنفسهم ونظرهم لها خير لهم من اختيار الله ورسوله لهم ، فكان من اختاروه وبايعوه بيعة هُدىً ، وكان إماماً واجباً على الناس طاعته ونصرته ، فقد تشاوروا فيّ واختارونيّ بإجماعٍ منهم .

وإن كان الله عزّ وجلّ الذي يختار له الخيرة ، فقد اختارني للأُمّة ، واستخلفني عليهم وأمرهم بطاعتي ونصرتي في كتابه المنزل وسنّة نبيّه المرسل صلّى الله عليه وآله ، فذلك أقوى لحجّتي وأوجب لحقّي . ولو أنّ عثمان قتل على عهد أبي بكر وعمر ،كان لمعاوية قتالهما والخروج عليهما للطلب ؟!

قال أبو هُرَيْرة وأبو الدرداء : لا .

قال عليّ عليه السلام : فكذلك أنا . فإن قال معاوية : نعم ، فقولا إذاً يجوز لكلّ من ظلم بمظلمة ، أو قتل له قتيل أن يشقّ عصا المسلمين ويفرّق جماعتهم ويدعو إلى نفسه .

مع أنّ ولد عثمان أولى بطلب دم أبيهم من معاوية .

قال سليم : فسكت أبو الدرداء ، وأبو هريره وقالا : لقد أنصفت من نفسك !

قال عليّ عليه السلام : ولعمري لقد أنصفني معاوية إن تمّ على قوله وصدق ما أعطاني . فهؤلاء بنو عثمان قد أدركوا ليسوا بأطفال ولا مولى عليهم ، فليأتوا أجمع بينهم وبين قتلة أبيهم . فإن عجزوا عن حجّتهم ، فليشهدوا لمعاوية بأنّه وليّهم ووكيلهم وحربهم في خصومتهم وليقعدوا وخصمائهم بين يَدَي مقعد الخصوم إلى الإمام والوالي الذي يقرّون بحكمه وينفّذون قضاءه .

وأنظرُ في حجّتهم وحجّة خصمائهم . فإن كان أبوهم قتل ظالماً وكان حلال الدم ، أبطلتُ دمه . (وفي رواية أُخرى : أهدرتُ دمه) . وإن كان مظلوماً حرام الدم ، أفديتهم من قاتل أبيهم فإن شاءوا قتلوه وإن شاءوا عفوا وإن شاءوا قبلوا الدية .

وهؤلاء قتلة عثمان في عسكري يقرّون بقتله ويرضون بحكمي عليهم . فليأتني ولد عثمان ومعاوية ـ إن كان وليّهم ووكيلهم ـ فليخاصموا قتلته وليحاكموهم حتّى أحكم بينكم بكتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله .

وإن كان معاوية إنّما يتجنّى ويطلب الأعاليل والأباطيل فليتجنّ ما بدا له ، فسوف يعين الله عليه .

قال أبو الدرداء ، وأبو هريرة : قد والله أنصفت من نفسك وزدت على النصفة وأزحت علّته وقطعت حجّته وجئت بحجّة قوّية صادقة ما عليها لوم !

ثمّ خرج أبو هريرة وأبو الدرداء من عند عليّ عليه السلام . قال سُلَيم : فإذا نحو من عشرين ألف رجل مقنّعين بالحديد فقالوا : نحن قتلة عثمان مقرّون راضون بحكم عليّ عليه السلام علينا ولنا ، فليأتنا أولياء عثمان فليحاكمونا إلى أمير المؤمنين عليه السلام في دم أبيهم . فإن أوجب

علينا القود أو الدية ، اصطبرنا لحكمه وسلّمنا .

فقال أبو الدرداء وأبو هريرة : قد أنصفتم ، ولا يحلّ لعليّ دفعكم ولا قتلكم حتّى يحاكموكم إليه فيحكم بينكم وبين أصحابكم بكتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وآله !

وانطلق أبو الدرداء وأبو هريرة حتّى قدما على معاوية فأخبراه بما قال عليّ عليه السلام وما قال قتلة عثمان ، وما قال أبو النعمان بن ضمان .

فقال معاوية : فما ردّ عليّ عليكما في ترحّمه على أبي بكر ، وعمر ، وكفّه عن الترحّم على عثمان وبراءته منه في السرّ ، وما يدّعي من استخلاف رسول الله إيّاه وأنّه لم يزل مظلوماً منذ قبض رسول الله ؟!

قالا : بلى قد ترحّم على أبي بكر ، وعمر ، وعثمان عندنا ونحن نسمع ، ثمّ قال لنا فيما يقول : إن كان الله جعل الخيار إلى الأُمّة فكانوا هم الذين يختارون وينظرون لأنفسهم ، وكان اختيارهم لأنفسهم ونظرهم لها خيراً لهم وأرشد من اختيار الله واختيار رسول الله ، فقد اختاروني وبايعوني ، فبيعتي بيعة هدى ، وأنا إمام واجب على الناس نصرتي لأنّهم قد تشاوروا فيّ واختاروني .

وإن كان اختيار الله واختيار رسول الله صلّى الله عليه وآله خيراً لهم وأرشد من اختيارهم لأنفسهم ونظرهم لها ، فقد اختارني الله ورسوله للأُمّة واستخلفاني عليهم وأمراهم بنصرتي وطاعتي في كتاب الله المنزل على لسان نبيّه المرسل ، وذلك أقوى لحجّتي وواجب لحقّي .

ثمّ صعد **عليّ** عليه السلام المنبر في عسكره وجمع الناس ، ومن بحضرته من النواحي والمهاجرين والأنصار ، ثمّ حمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : **مَعَاشِرَ النَّاسِ ! إِنَّ مَنَاقِبِي أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى ! وَبَعْدَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ ذَلِكَ وَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَكْتَفِي بِهَا عَنْ جَمِيعِ**

مَنَاقِبِي وَفَضْلِي.

(يتطرّق الإمام عليه السلام هنا إلى كثير من مناقبه المنزَلَة في كتاب الله أو المحكيّة على لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله بنحو مفصّل وصريح، ويحتجّ بها كلّها على سبيل مناشدة الناس المستمعين، وهم يقولون: **اللَهُمَّ نَعَمْ**، «نحن نشهد على ما يقوله عليّ وما قاله النبيّ بحقّه». هذه المناشدة مفصّلة ورائعة جدّاً. بَيدَ أنّها لمّا كان أكثر عباراتها وموضوعاتها مماثلاً لما ورد في مناشدته واحتجاجه في مسجد رسول الله أيّام حكومة عثمان عندماكان المهاجرون والأنصار يفتخرون بسوابقهم، وكنّا قد نقلنا ذلك نفسه في الاحتجاج الثالث المارّ ذكره والمأثور عن «فرائد السمطين» للحَمُّوئيّ بسنده عن سُلَيْم بن قَيْس، فلهذا نحجم عن ذكر نصّها ونكتفي بما يناسب استشهادنا واحتجاجنا في هذا البحث المتمثّل بالاحتجاج بحديث الغدير).

فَأَمَرَ اللَهُ عَزَّ وَجَلَّ أن يُعْلِمَهُمْ وَأنْ يُفَسِّرَ لَهُمْ مِنَ الوَلَايَةِ مَا فَسَّرَ لَهُمْ مِنْ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَزَكَاتِهِمْ وَحَجِّهِمْ، فَنَصَبَنِي بِغَدِيرِ خُمٍّ وَقَالَ: إنَّ اللَهَ أَرْسَلَنِي بِرِسَالَةٍ ضَاقَ بِهَا صَدْرِي، وَظَنَنْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبُونِي، فَأَوْعَدَنِي لَأُبَلِّغَنَّهَا أَوْ يُعَذِّبَنِي! قُمْ يَا عَلِيُّ!

ثُمَّ نَادَى بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً فَصَلَّى بِهِمُ الظُّهْرَ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! إنَّ اللَهَ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى المُؤمِنِينَ وَأَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِم. مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ!

فَقَامَ إلَيْهِ سَلْمَانُ الفَارِسيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَهِ وَلَاؤُهُ كَمَاذَا؟! فَقَالَ: وَلَاؤُهُ كَوَلَايَتِي. مَنْ كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ فَعَلِيٌّ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ. وَأَنْزَلَ اللَهُ: ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

آلْإِسْلَـمَ دِينًا.

فَقَالَ سَلْمَانُ الفَارِسيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ! أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَاتُ فِي عَـلِيٍّ خَاصَّةً ؟! فَقَالَ: فِيهِ وَفِي أَوْصِيَائِي إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ. فَقَالَ سَلْمَانُ الفَارِسيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ! بَيِّنْهُمْ لَنَا ! فَقَالَ: عَلِيٌّ أَخِـي وَوَزِيـرِي وَوَصِـيِّي وَوَارِثِـي وَخَلِيفَتِي فِي أُمَّتِي وَوَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي، وَأَحَدَ عَشَرَ إِمَامَاً مِـنْ وُلْـدِهِ: الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ ثُمَّ تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ، وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، القُـرْآنُ مَعَهُمْ وَهُمْ مَعَ القُرْآنِ، لَا يُفَارِقُونَهُ حَتَّى يَرِدُوا عَلَيَّ الحَوْضَ.

فَقَام اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً مِنَ البَدْرِيِّينَ فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّا سَمِعْنَا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا قُلْتَ سَواءً لَمْ تَزِدْ حَرْفَاً وَلَـمْ تَـنْقُصْ حَرْفَاً. وَقَالَ بَقِيَّةُ السَّبعِينَ [1] قَدْ سَمِعْنَا ذَلِكَ وَلَمْ نَحْفَظْهُ كُلَّهُ، وَهَؤْلَاءِ اثْـنَا عَشَرَ خِيارُنَا وَأَفْضَلُنَا. فَقَالَ: قَدْ صَدَقْتُمْ، لَيْسَ كُلُّ النَّاسِ يَـحْفَظُهُ... إلى آخر الخطبة.

فلمّا حدّث أبو الدرداء، وأبو هريرة معاوية بـخطبة أمـير المـؤمنين عليه السلام مع أجوبة الناس وتصديقهم إيّاه، وجم من ذلك وقال: يـا أبـا الدرداء! ويا أبا هُريرة! لئن كان ما تحدّثاني عنه حقّاً لقد هلك المهاجرون والأنصار غيره وغير أهل بيته وشيعته.[2]

فهذه الاحـتجاجـات السـبعة التـي ذكـرناها، صـدرت كـلّها عـن

١ـ في بعض النسخ بدل ذلك: **وقال بقيّة البدريّين الذين شهدوا مع عليّ صِفّين: قد حفظنا جلّ ما قلتَ ولم نحفظ كلّه**، عن الهامش.

٢ـ «كتاب سُلَيم بن قيس» ص ١٧٩ إلى ١٩٠. وجاء في كتاب «الغدير» ج ١، ص ١٩٥ و ١٩٦، ما يناسب الاستشهاد بحديث الغدير فحسب. وروى صاحب «غاية المـرام» هـذا الحديث بتمامه عن «كتاب سليم بن قيس»، وذلك في الكتاب المـذكور، القسـم الأوّل، ص ١٣٩ و ١٤٠، الحديث ٤٦.

أمير المؤمنين عليه السلام في مواقع مختلفه زماناً و مكاناً.

الاحتجاج الثامن : ويتمثّل في احتجاج شفيعة يوم الجزاء وخير النساء أُمّ أبيها فاطمة الزهراء سلام الله عليها ، ذكره شمس الدِّين الجَزَريّ الدمشقيّ المقريُّ الشافعيّ في كتاب «**أسنى المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب**» قال : وألطف طريق وقع لهذا الحديث ـ يعني حديث الغدير ـ وأغربه ما حدّثنا به شيخنا خاتمة الحُفَّاظ أبو بكر محمّد بن عبد الله بن المحبّ المقدّسيّ مشافهةً . ثمّ ذكر السند بالترتيب حتّى بلغ به إلى بَكْر بن أحمد القَصْري الذي روى الحديث عن **فاطمة** ، **وزينب** ، **وأُمّ كلثوم**. بنات الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام قلن : حدّثتنا **فاطمة** بنت جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام ، وقالت : حدّثتني **فاطمة** بنت محمّد بن عليّ عليهما السلام ، وقالت : حدّثتنيّ **فاطمة** بنت عليّ بن الحسين عليهما السلام ، وقالت : حدّثتنى **سُكَينة** و**فاطمة** ابنتا الحسين بن عليّ عليهما السلام عن **أُمّ كُلْثُوم بِنْتِ فَاطِمَة بِنْت النَّبِيِّ** صلّى الله عليه وآله عن **فَاطِمَة بِنْت رَسُولِ اللَه** ، قالت : **أَنَسِيتُمْ قَوْلَ رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ؟ وَقَوْلَهُ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟**

وهكذا أخرجه الحافظ الكبير أبو موسى المدينيّ في كتابه المسلسل بالأسماء وقال : هذا الحديث مسلسلٌ من وجه ، وهو أنّ كلّ واحدة من الفواطم تروي عن عمّة لها . فهو رواية خمس بنات أخ كلّ واحدة منهنّ عن عمّتها .[1]

الاحتجاج التاسع : استشهاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

١ـ «أمالي الطوسيّ» ج ٢ ، ص ١٧٢ و ١٧٣ ، طبعة النجف.

بحديث الغدير .

روى الشيخ الطوسيّ رضوان الله عليه بسنده عن أبي عُمَر زاذان أنّه قال : لمّا أجمع الحسن بن عليّ عليهما السلام على صلح معاوية ، صعد معاوية المنبر وجمع الناس فخطبهم وقال : إنّ الحسن بن عليّ رآني للخلافة أهلاً ولم ير نفسه لها أهلاً . وكان الحسن عليه السلام أسفل منه بمرقاة . فلمّا فرغ من كلامه ، قام الإمام الحسن عليه السلام فحمد الله تعالى بما هو أهله ، وخطب خطبة بليغة جدّاً جاء فيها ذكر مناقب وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام ، حتّى بلغ قوله : **وَقَدْ رَأَوْا رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَصَبَ أَبِي يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْهُمُ الغَائِبَ**.[١] وذكرها المحدّث البحرانيّ ،[٢] ونقل في رواية أُخرى أكثر تفصيلاً ومناقب ما نصّه : **وَقَدْ رَأَوْا رَسُولَ اللَهِ حِينَ نَصَبَهُ لَهُمْ بِغَدِيرِ خُمٍّ ، وَسَمِعُوهُ وَنَادَى لَهُ بِالوَلَايَةِ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْهُمُ الغَائِبَ**.[٣]

وأخرجها القندوزيّ الحنفيّ بهذه العبارة : **وَقَدْ رَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ أَخَذَ بِيَدِ أَبِي بِغَدِيرِ خُمٍّ وَقَالَ لَهُمْ : (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيٌّ مَوْلَاهُ) . اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ . ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْهُمُ الغَائِبَ**.[٤]

الاحتجاج العاشر : مناشدة واستشهاد سيّد الشهداء عليه السلام بحديث الغدير ، وذلك بمِنى قبل موت معاوية بسنة أو سنتين . وتضمّ هذه

١ـ «أمالي الطوسيّ» ج ٢ ، ص ١٧٢ و ١٧٣ ، طبعة النجف .

٢ـ «غاية المرام» القسم الأوّل ، ص ٢٩٨ و ٢٩٩ ، الحديث السابع والعشرون.

٣ـ «غاية المرام» القسم الأوّل ، ص ٢٩٧ و ٢٩٨ ، الحديث السادس والعشرون.

٤ـ «ينابيع المودّة» الطبعة الأُولى ، إسلامبول ، ص ٤٨٢ .

المناشدة موضوعات جمّة . وجاءت في وقت قد بلغت فيه انتهاكات معاوية مبلغها .إذ سلّط زياد بن أبيه على الكوفة والبصرة ، فكان يقتل شيعة أمير المؤمنين عليه السلام تحت كلّ كوكب ، بل كان الاتّهام بالتشيّع يكفي لهدر دم الشيعة . وكتب إلى جميع الأمصار أن لا حقّ لأحد أن ينقل مناقب وفضائل عليّ وأهل البيت ، بل له أن ينقل مناقب عثمان وفضائله للناس . وأمر بإذلال الشيعة ومحو أسمائهم من ديوان العطاء ، وعلى العكس ، أمر باحترام شيعة عثمان وإعزازهم ، إلى أن كتب ثانية بالكفّ عن ذكر فضائل عثمان ، والانبراء إلى ذكر فضائل الشيخين : أبي بكر ، وعمر ، لأنّ سوابقهما وفضائلهما أحبّ إليه ، وأقرّ لعينيه ، وأقوى في دحر حجّة أهل البيت وبرهانهم ، وأكثر تأثيراً في طمس اسم أهل البيت من ذكر مناقب عثمان وفضائله .

وسار معاوية على هذا النهج زهاء عشرين سنة . وكتب إلى جميع عمّاله أن يقرأوا نسخ هذه المناقب المجموعة ، للناس على المنابر وفي جميع المدن والقصبات والقرى ، وفي كلّ مسجد ومحفل ، ويسبّوا عليّ بن أبي طالب ، ويأمروا المعلّمين في الكتاتيب أن يعلّموا الأطفال ذلك ، وليتعلّموه كما يتعلّمون القرآن ، وكذلك يعلّموا النساء والفتيات وحتّى الخَدَم والحَشَم .

وتربّى الأطفال على ذلك ، وشاب عليه الصبيان ، ومات عليه الشيوخ.

ولمّا توفّي الإمام الحسن المجتبى عليه السلام سنة ٤٩ هبسمّ دسّه إليه معاوية بواسطة زوجته بنت الأشعث بن قَيْس الكنديّ ،[1] استعرت نار

١ـ ونقل ابن الأثير الجَزَريّ في «الكامل في التأريخ» ج ٣ ، ص ٤٦٠ في حوادث سنة ٤٩ هـ أنّ الحسن بن عليّ عليهما السلام توفّي في هذه السنّة . سمّته جَعَدة بنت الأشعث بن

الفتنه ، واشتدّ البلاء ، وعظم الخطب على الشيعة أكثر فأكثر حتّى لم تجد في أيّ بقعة من بقاع العالم الإسلاميّ وليّاً للّه إلّا وهو خائف على نفسه ، مذعور ، طريد ، شريد ، منبوذ . وعدوّ الله ظاهر بخيلائه متباهٍ ببدعه وضلالته جهراً وبلا استحياء . وحجّ الإمام الحسين صلوات الله عليه قبل موت معاوية بسنة ،[1] وكان معه عبد الله بن عبّاس ، وعبد الله بن جعفر .

وجمع الحسين عليه السلام جميع بني هاشم ، رجالهم ونسائهم ومواليهم ، ومن الأنصار ممّن يعرفه ، وأهل بيته . ثمّ أرسل رسلاً وقال لهم : لا تدعوا أحداً من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله المعروفين بالصلاح والنسك إلّا جمعتموهم لي بمنى !

فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادقة ، عامّتهم من التابعين ، ونحو من مائتي رجل من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله .

فَقَامَ فِيهِمْ خَطِيباً فَحَمِدَ اللَهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ هَذَا الطَّاغِيَةَ ،[2] قَدْ فَعَلَ بِنَا وَبِشِيعَتِنَا مَا قَدْ رَأَيْتُمْ وَعَلِمْتُمْ وَشَهِدْتُمْ ؛ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكُمْ عَنْ شَيءٍ ، فَإِنْ صَدَقْتُ فَصَدِّقُونِي ، وَإِنْ كَذَبْتُ فَكَذِّبُونِي !

وَأَسْأَلُكُمْ بِحَقِّ اللَهِ عَلَيْكُمْ وَحَقِّ رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَقَرَابَتِي مِنْ نَبِيِّكُمْ لَمَّا سَيَّرْتُمْ مَقَامِي هَذَا وَوَصَفْتُمْ مَقَالَتِي وَدَعَوْتُمْ أَجْمَعِينَ فِي أَمْصَارِكُمْ مِنْ قَبَائِلِكُمْ مَنْ آمَنْتُمْ مِنَ النَّاسِ (وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى بَعْدَ قَوْلِهِ : فَكَذِّبُونِي : اسْمَعُوا مَقَالَتِي وَاكْتُبُوا قَوْلِي ، ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى

قيس الكِنديّ .

١ـ وجاء في بعض النسخ : سنتين .

٢ـ معاوية بن أبي سفيان .

أمْصَارِكُمْ وَقَبَائِلِكُمْ مَنْ أمَنْتُمْ مِنَ النَّاسِ) وَوَثِقْتُمْ بِهِ فَادْعُوهُمْ إلَى مَا تَعْلَمُونَ مِنْ حَقِّنَا، فَإنِّي أَتَخَوَّفُ أنْ يَدْرُسَ هَذَا الأَمْرُ وَيَذْهَبَ الحَقُّ وَيُغْلَبَ، «وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ».

وَمَا تَرَكَ شَيْئَاً مِمَّا قَالَهُ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أبِيهِ وَأخِيهِ وَأُمِّهِ وَفِي نَفْسِهِ وَأهْلِ بَيْتِهِ إلَّا رَوَاهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ أصْحَابُهُ: اللَهُمَّ نَعَمْ! وَقَدْ سَمِعْنَا وَشَهِدْنَا. وَيَقُولُ التَّابِعِيُّ: اللَهُمَّ قَدْ حَدَّثَنِي بِهِ مَنْ أصَدِّقُهُ وَأئْتَمِنُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ.

فَقَالَ: أُنْشِدُكُمْ اللَهَ إلَّا حَدَّثْتُمْ بِهِ مَنْ تَثِقُونَ بِهِ وَبِدِينِهِ!

قَالَ سُلَيْمٌ: فَكَانَ فِيمَا نَاشَدَهُمُ الحُسَيْنُ وَذَكَّرَهُمْ أنْ قَالَ: ...أُنْشِدُكُمُ اللَهَ أتَعْلَمُونَ أنَّ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَصَبَهُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ فَنَادَى لَهُ بِالوِلَايَةِ، وَقَالَ لِيُبَلِّغ الشَّاهِدُ الغَائِبَ!

قَالُوا: اللَهُمَّ نَعَمْ... فلم أنزلَ الله فى على و أهل بيته ،و لا على لسان نبيّه إلاّناشدهم فيه، فيقول الصحابة:اللهمَّ قَدْ سَمِعْنَا، وَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ.[1]

الاحتجاج الحادي عشر: استدلال واستشهاد **عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مع معاوية بن أبي سفيان** (صَخْر بن حَرْب بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس) وعلى الرغم من أنّ المكان الذي كان فيه الاحتجاج لم يُحددّ في الرواية، بَيدَ أنّ القرائن تفيد أنّه لم يجر في المدينة المنوّرة عند سفر معاوية للحجّ، لأنّ معاوية حجّ مع ابنه يزيد في سنة ٥٠ هـ وكان ذلك بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام في سنة ٤٩ هـ. وسنرى في هذا الاحتجاج أنّ

١ـ كتاب سُليم بن قيس، ص ٢٠٦ إلى ٢٠٩. أي: على العهد الذي أخذه الحسين عليه السلام من الناس، إذ يبلّغون به الموثوقين المؤتمنين في حواضرهم وقبائلهم.

الإمام الحسن عليه السلام كان موجوداً ، ويبدو من غير المستبعد أنّه جرى في الكوفة أيّام صلح الإمام الحسن عليه السلام عندما زارها معاوية ، أو كان في الشام .

نقل **سُلَيْم بن قَيْس الهِلَالِيّ** هذا الاحتجاج في كتابه النفيس ، الحاوىّ على موضوعات رائعة . بيد أنّنا نذكر فيما يلي النصف الأوّل من الاحتجاج ممّا جاء فيه شاهدنا في الاحتجاج بحديث غدير خمّ ، ونترك النصف الثاني منه مراعاة لعدم الإطناب .

روى أَبَان بْنُ أبي عَيَّاش عَنْ سُلَيْم أنّه قال : حدّثني عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، قال : كنتُ عند معاوية ومعنا الحسن والحسين عليهما السلام ، وعنده عبد الله بن عبّاس ، فالتفت إليّ معاوية وقال : يا عبد الله ! ما أشدّ تعظيمك للحسن والحسين ؟ وما هما بخير منك ولا أبوهما خير من أبيك . ولولا أنّ فاطمة بنت رسول الله ، لقلتُ : ما أُمّك أسماء بنت عميس بدونها .

فقلت لمعاوية : والله إنّك لقليل العلم بهما وبأبيهما وبأُمّهما . والله لهما خير منيّ ، وأبوهما خير من أبي ، وأُمّهما خير من أُمّي ! يا معاوية ! إنّك لغافل عمّا سمعته أنا من رسول الله صلّى الله عليه وآله ، يقول فيهما وفي أبيهما وأُمّهما ! قد حفظته ووعيته ورويته .

قال معاوية : هات يا بن جعفر ! فو الله ما أنت كذّاب ولا متّهم !

فقلتُ : إنّه أعظم ممّا في نفسك !

قال معاوية : قل ، وإن كان أعظم من أُحُد وحِراء جميعاً . فلستُ أُبالي إذا قتل الله صاحبك ،[1] وفرّق جمعكم ، وصار أمر الولايةُ في أهله . فحدّثنا !

١ـ أي : أمير المؤمنين : عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

فما نبالي بما قلتم ، ولا يضرّنا ما عدمتم !

قلت : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد سئل عن هذه الآية : **وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ.**[1] فقال إنّي رأيت اثني عشر رجلاً من أئمّة الضلالة يصعدون منبري وينزلون . يردّون أُمّتي على أدبارهم القهقرى ، فيهم رجلان من حيّين من قريش مختلفين ، وثلاثة من بني أُميّة ، وسبعة من ولد الحَكَم بن أبي العاص .[2] وسمعته يقول : إنّ بني أبي العاص إذا بلغوا خمسة عشر

١ـ الآية ٦٠ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

وجاءت في «تفسير الميزان» ج ١٣ ، ص ١٥٧ و ١٥٨ روايات نقلها العلّامة عن «تفسير الدرّ المنثور» عن ابن جرير ، عن سهل بن سعد ، وعن ابن أبي حاتم ، عن ابن عمر ، ويعلى بن مرّة، وعن ابن مردويه ، عن الحسين بن عليّ عليهما السلام ، وعن ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقيّ في «الدلائل» ، وابن عساكر عن سعيد بن المسيّب. وكذلك جاءت روايات في تفسير «مجمع البيان» طبعة صيدا ج ٣، ص ٤٢٤ عن سهل بن سعد، والإمام الباقر، والإمام الصادق عليهما السلام وفيها أنّ رسول الله رأى في عالم المنام قردة ينزون على منبره، فساءته هذه الرؤيا، ولم يُرَ ضاحكاً حتّى مات . فأوحى إليه الله أنّ هذا لبلاء الناس، وهذه القردة بنو أُميّة يغصبون الخلافة . فالمراد بالشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أُميّة الذين حكموا في البلاد لابتلاء الناس واختبارهم . وفي رواية عن المنهال بن عمرو، قال: دخلت على الإمام السجّاد عليه السلام وقلتُ : **كيف أصبحت يابن رسول الله؟ فقال: أصبحنا والله بمنزلة بني إسرائيل من آل فرعون يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح خير البريّة بعد رسول الله يُلْعَن عَلَى المنابر ، وأصبح مَن يُحبّنا منقوصاً حقّه بحبّه إيّانا.** وعندما قيل للحسن : يا أبا سعيد ! قُتل الحسين ؛ بكى حتّى ارتعدت فرائصه ثمّ قال: **واذُلّاهُ لِأُمَّةٍ قَتَل ابنُ دَعِيِّها ابنَ بِنْتِ نَبِيِّهَا.**

٢ـ الحَكَم من أبناء أبي العاص عشرة هم : ١ ـ مروان الحكم بن أبي العاص. ٢ ـعبدالملك بن مروان. ٣ـ الوليد بن عبد الملك . ٤ـ سليمان بن عبد الملك. ٥ ـعمر بن عبدالعزيز بن مروان. ٦ـ يزيد بن عبدالملك . ٧ـ هشام بن عبدالملك. ٨ـ الوليد بن يزيد بن

رجلاً ، جعلوا كتاب الله دَخَلاً ، وعباد الله خولاً ، ومال الله دولاً .

يا معاوية ! إنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول على المنبر ، وأنا بين يديه ، **وَعُمَرُ بنُ أبي سَلَمَة ، وأُسَامَةُ بن زَيْد ، وسَعْدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ ، وسَلْمَانُ الفَارِسِيُّ ، وأبُو ذَرٍّ ، والمِقْدَادُ ، والزُّبَيْرُ بنُ العَوَّام : أَلَستُ أوْلَى بِالمُؤمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ ؟**

فقلنا : بلى يا رسول الله . قال : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيٌّ مَولَاهُ ـ أوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ ـ** وضرب بيديه على منكب عليّ عليه السلام وقال : **اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، أيُّهَا النَّاسُ ! أنَا أوْلَى بِالمُؤمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مَعِي أمْرٌ !**

وعليّ من بعدي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ليس لهم معه أمر ، ثمّ ابني الحَسَن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ليس لهم معه أمر .

ثمّ عاد فقال : أيّها الناس ! إذا أنا استشهدت فعليّ أولى بكم من أنفسكم ! فإذا استشهد عليّ ، فابني الحسن أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ! فإذا استشهد الحَسَن ، فابنيّ الحُسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ! فإذا استشهد الحسين ، فابني عليّ بن الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ، ليس لهم معه أمر . ثمّ التفت رسول الله إلى عليّ عليه السلام وقال :

عبدالملك . ٩ ـ إبراهيم بن يزيد بن عبدالملك . ١٠ ـ مروان بن محمّد بن مروان . حكموا من سنة ٦٤هـ عندما خلع معاوية بن يزيد بن معاوية نفسه من الخلافة حتّى سنة ١٣٢هـ حينما قضى أبو العبّاس السفّاح على الدولة الأمويّة . ولعلّ المراد بالسبعة العادون الأشدّاء منهم ، ⇦ ⇦ وهم غير عمر بن عبدالعزيز . وإبراهيم ، ومروان بن محمّد . علماً أنّ بني مروان كلّهم من بني أُميّة . ذلك أنّ أبا العاص جدّ مروان بن الحكم هو ابن أُميّة بن عبد شمس . ولذلك عندما جاء في الرواية : وثلاثة من بني أُميّة ، أي : من غير المروانيّين ، وهؤلاء الثلاثة هم : عثمان ، ومعاوية ، ويزيد .

يا عليّ ! إنّك ستدركه فاقرأه منّي السلام . فإذا استشهد عليّ بن الحسين ، فابني محمّد أوْلى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ، وستدركه أنت يا حسين فاقرأه منيّ السلام . ثمّ يكون في عقب محمّد رجال واحد بعد واحد ، وليس منهم أحد إلّا وهو أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم ، ليس لهم معه أمر . كلّهم هادون مهتدون .

فقام عليّ بن أبي طالب وهو يبكى ، فقال : بأبي أنت وأُمّي يا نبيّ الله أتُقْتَل ؟! قال : نعم ! أُهلك شهيداً بالسمّ ! وتقتل أنت بالسيف ، وتخضب لحيتك من دم رأسك ! ويقتل ابني الحسن بالسمّ ، ويقتل ابني الحسين بالسيف ، يقتله طاغ ابن طاغ ، دعيّ ابن دعيّ .

فقال معاوية : يا بن جعفر لقد تكلّمت بعظيم ! ولئن كان ما تقول حقّاً لقد هلكت أُمّة محمّد من المهاجرين والأنصار غيركم أهل البيت وأوليائكم وأنصاركم !

فقلتُ : والله إنّ الذي قلتُ حقّاً سمعته من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

قال معاوية : يا حَسَن ويا حُسَيْن ويا بن عبّاس ! ما يقول ابن جعفر ؟!

فقال ابن عبّاس : إن لا تؤمن بالذي قال ، فأرسل إلى الذين سمّاهم فاسألهم عن ذلك !

فأرسل معاوية إلى عُمَر بن أبي سَلَمَة وأُسامة بن زَيد ، فسألهما فشهدا أنّ الذي قال ابن جعفر قد سمعناه من رسول الله صلّى الله عليه وآله كما سمعه !

فقال معاوية كالمنكِر والمستهزئ : يا ابن جعفر ! قد سمعناه في الحسن والحسين وأبيهما ، فما سمعت في أُمّهما ؟!

فقلتُ : سمعت رسول الله يقول : ليس في جنّة عَدْن منزل أشرف

ولا أفضل ولا أقرب إلى عرش ربّي من منزلي ، ومعي ثلاثة عشر من أهل بيتي : أخي عليّ ، وابنتي فاطمة ، وابناي الحسن والحسين ، وتسعة من ولد الحسين : الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً . هداة مهتدون . وأنا المبلّغ عن الله ، وهم المبلّغون عنّي . وهم حجج الله على خلقه ، وشهداؤه في أرضه ، وخزّانه على علمه ، ومعادن حكمه ؛ من أطاعهم ، أطاع الله . ومن عصاهم ، عصى الله .

لا تبقى الأرض طرفة عين إلّا ببقائهم ، ولا تصلح إلّا بهم يخبرون الأُمّة بأمر دينهم حلالهم وحرامهم ، يدلّونهم على رضا ربّهم ، وينهونهم عن سخطه بأمر واحد ونهي واحد . ليس فيهم اختلاف ولا فرقة ولا تنازع . يأخذ آخرهم عن أوّلهم . إملائي ، وخطّ أخي عليّ بيده ، يتوارثونه إلى يوم القيامة .

أهل الأرض كلّهم في غمرة ، وغفلة ، وتيهة ، وحيرة ، غيرهم وغير شيعتهم وأوليائهم . لا يحتاجون إلى أحد من الأُمّة في شيء من أمر دينهم ، والأُمّة تحتاج إليهم . هم الذين عنى الله في كتابه وقرن طاعتهم بطاعته ، وطاعة رسوله فقال : **أَطِيعُوا ٱللَهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ**.[1]

فأقبل معاوية على الحَسَن والحُسَين وابن عبّاس والفضل بن عبّاس وعُمَر بن أبي سَلَمة وَأُسَامة بن زيد ، فقال : كلّكم على ما قال ابن جعفر ؟ قالوا : نعم !

قال : يا بني عبد المُطَّلب ! إنّكم لتدّعون أمراً عظيماً ، وتحتجّون بحجج قويّة ، إن كانت حقّاً ! وإنّكم لتضمرون على أمر تسرّونه والناس عنه في غفلة عمياء . ولئن كان ما تقولون حقّاً ، لقد هلكت الأُمّة ، وارتدّت عن

١ـ الآية ٥٩ ، من السورة ٤ : النساء .

دينها ، وتركت عهد نبيّنا ، غيركم أهل البيت ، ومن قال بقولكم ، فأُولئك في الناس قليل .

فقلت : يا معاوية ! إنّ الله تبارك وتعالى يقول : **وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ**.[١]

ويقول : **وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**.[٢] ويقول : **إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ**.[٣] ويقول في نوح : **وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ**.[٤]

يا معاوية ! المؤمنون في الناس قليل .

ونقل عبد الله بن جعفر هنا قصّة موسى عليه السلام والسحرة ، وهارون عليه السلام والسامريّ ، إذ سار أكثر الناس خلف السامريّ وعجله ، تاركين هارون وحده . ثمّ قال :

ونبيّنا صلّى الله عليه وآله قد نصب لأُمّته أفضل الناس وأولاهم وخيرهم ، بغدير خمّ ، وفي غير موطن ، واحتجّ عليهم به وأمرهم بطاعته ، وأخبرهم أنّه منه بمنزلة هارون من موسى ، وأنّه وليّ كلّ مؤمن بعده ، وأنّه كلّ من كان وليّه ، فعليّ وليّه ، ومن كان أولى به من نفسه فعليّ أولى به ، وأنّه خليفته فيهم ووصيّه ، وأنّ من أطاعه ، أطاع الله ، ومن عصاه ، عصى الله ، ومن والاه ، والى الله ، ومن عاداه ، عادى الله : **فَأَنْكَرُوهُ وَجَهِلُوهُ وتَوَلَّوْا غَيْرَهُ** . إلى آخر ما احتجّ به عبد الله عند معاوية .[٥]

١ـ الآية ١٣ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

٢ـ الآية ١٠٣ ، من السورة ١٢ : يوسف .

٣ـ الآية ٢٤ ، من السورة ٣٨ : ص .

٤ـ الآية ٤٠ ، من السورة ١١ : هود .

٥ـ كتاب سُليم بن قيس ، ص ٢٣١ إلى ٢٣٨ .

الاحتجاج الثاني عشر : استشهاد **الأَصْبَغ بن نُبَاتَه** بحديث الغدير أو عند معاوية ، وكانت مناشدته مع **أبي هُرَيْرة** قد وقعت في ذلك المجلس سنة ٣٧ هـ . وكان **أبو هريرة** من الصحابة الذين باعوا دينهم بدنياهم . وأصبح من الدناة المتلقّين لمعاوية ، المقتاتين على فُتات موائده . وصار في عداد وعّاظ السلاطين المحسوبين على بلاطه من خلال وضع الأحاديث المفتراة .

ونحن نلفت نظر القرّاء الكرام إلى مطالعة كتابين من الكتب المهمّة فحسب ، ونرشدهم إليهما من أجل تنوير أذهانهم بالحقائق . وهذان الكتابان هما :

١ ـ «**أَبُو هُرَيْرَة**» تأليف العلّامة آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين تغمّده الله برضوانه .

٢ ـ «**أَبُو هُرَيْرَة شَيْخ المَضِيرَة**» تأليف العالم والفقيه المستبصر الشيخ **مَحْمُود أَبُو رَيَّة** . كتب أمير المؤمنين عليه السلام أيّام صفّين كتاباً إلى معاوية بن أبي سفيان وأرسله إليه بيد **الأصبغ بن نُباتَة** .

قال الأصبغ : دخلت على معاوية وهو جالس على نطع من الأُدم ، متّكئاً على وسادتين خضراوين و عن يمينه **عمرو بن العاص** ، **وحوشب** ، **وذو الكلاع** ، وعن شماله أخوه **عتبة بن أبي سفيان** ، **وابن عامر بن كريز** ، **والوليد بن عقبة** ، **وعبد الرحمن بن خالد** ، **وشر حبيل بن السمط** ، وبين يديه **أبو هريرة** ، **وأبو الدرداء** ، **والنعمان بن بشير** ، **وأبو أمامة الباهليّ** .

فدفعت إليه الكتاب ، لمّا قرأه ، قال : إنّ عليّاً لا يدفع إلينا قتلة عثمان !

قال الأصبغ : فقلتُ له : يا معاوية ! لا تعتلّ بدم عثمان ! فإنّك تطلب الملك والسلطان ! ولو كنت أردت نصره حيّاً ، لنصرته ! ولكنّك تربّصت به ، لتجعل ذلك سبباً إلى وصول الملك !

فغضب معاوية من كلامي . فأردت أن يزيد غضبه ، فقلتُ لأبي هريرة : يا صاحب رسول الله ! إنّي أُحلّفك بالذي لا إله إلّا هو عالم الغيب والشهادة ، وبحقّ حبيبه المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم إلاّ أخبرتني : أشهدت يوم غدير خمّ قال : بلى ! شهدته .

قلت : فما سمعت رسول الله يقول في عليّ ؟!

قال : سمعته يقول : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ! وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ! وَاخْذُل مَنْ خَذَلَهُ !**

فقلتُ له : فإذاً أنت يا أبا هريرة ! واليت عدوّه ، وعاديتَ وليّه ! فتنفّس أبو هريرة الصعداء ، وقال : **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ** .[1 و 2]

الاحتجاج الثالث عشر : استشهاد **دارميّة الحجونيّة** ، وهي من النساء العظيمات . ومن الشيعيّات المخلصات لأمير المؤمنين عليه السلام وكانت قد استشهدت بحديث الغدير أمام معاوية .

١ـ الآية ١٥٦ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢ـ «الغدير» ج ١ ، ص ٢٠٢ ؛ و «تذكرة الخواصّ» لسبط بن الجوزيّ ، ص ٤٨ و ٤٩ . وقال بعد استرجاع أبي هريرة . فتغيّر وجه معاوية وقال : ما هذا ؟ كفّ عن كلامك فلا تستطيع أن تخدع أهل الشام عن الطلب بدم عثمان ! فإنّه قتل مظلوماً ، في شهر حرام في حرم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عند صاحبك ! وهو الذي أغراهم به حتّى قتلوه، وهم اليوم عنده أعوانه وأنصاره ويده ورجله . فقال ذو الكلاع ، وحوشب ، ومعاوية بن خديج: لننصرنّك يامعاوية حتّى يحصل مرادك ، أو نقتل عن آخرنا ! فقام الأصبغ وهو يقول:

مُعَاويّ لِلّه من خَلْقِهِ ... عِبادٌ قُلوبُهُم قاسِيَة

وقلبك من شرّ تلك القلوب ... وليس المطيعة كالقاصية

دع ابن خديج ودَعْ حوشباً ... وذا كلع واقبل العافية

فصاح معاوية : أجئت رسولاً أم مُنَفِّراً ؟! ثمّ سار الأصبغ نحو العراق.

لمّا حجّ معاوية ، فطلب امرأة يقال لها دَارِميَّة الحَجونيّة[1] من شيعة عليّ . وكانت سوداء ضخمة .

فقال [لها معاوية] : كيف حالكِ يا بنت حام ؟!

فقالت [دارميّة] : بخير ، ولست بحام ! إنّما أنا امرأة من بني كنانة !

فقال : صدقتِ ! هل تعلمين لِمَ دعوتكِ ؟!

قالت : **سبحان الله** ، وإنّي لا أعلم الغيب !

قال : (دعوتكِ) لأسألكِ : لِمَ أحببتِ عليّاً وأبغضتني ؟! ووالیته وعاديتني ؟!

قالت : أَوَ تعفني ؟ قال (معاوية) : لا !

قالت : أمّا إذا أبيت ، **فَإِنِّي أَحْبَبْتُ عَلِيَّاً عَلَى عَدْلِهِ فِي الرَّعِيَّةِ ، وَقَسْمِهِ بِالسَّوِيَّةِ ، وَأَبْغَضْتُكَ عَلَى قِتَالِ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِالأَمْرِ مِنْكَ ، وَطَلَبِكَ مَا لَيْسَ لَكَ ، وَوَالَيْتُ عَلِيَّاً عَلَى مَا عَقَدَ لَهُ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الوَلَايَةِ يَوْمَ خُمٍّ بِمَشْهَدٍ مِنْكَ ، وَحُبِّهِ لِلمَسَاكِينِ ، وَإِعْظَامِهِ لِأَهْلِ الدِّينِ ، وَعَادَيْتُكَ عَلَى سَفْكِ الدِّماءِ ، وَشَقِّكَ العصَا ، وَجَوْرِكَ فِي القَضَاءِ ، وَحُكْمِكَ بِالهَوَى** ـ الحديث .[2]

الاحتجاج الرابع عشر : ويتمثّل في استدلال واستشهاد المأمون العبّاسيّ بحديث غدير خمّ أمام أربعين من العلماء والفقهاء وأرباب

١ـ الدارميّة نسبة إلى داروم ، وهي قلعة بعد غزّة للقاصد إلى مصر على ساحل البحر. نزل بها بنو حام وتوطّنوا فيها ، كما يظهر من قول معاوية : يا بنت حام والحَجون مكان ⇦ ⇦ معروف بمكّة المكرّمة كانت الدارميّة تنزل فيه فنسبت إليه.

٢ـ «الغدير» ، ج ١ ، ص ٢٠٨ و ٢٠٩ ، عن الزمخشريّ في «ربيع الأبرار» في الباب الحادي والأربعين. وقال في الهامش : يوجد هذا الاحتجاج بألفاظ أُخرى في «بلاغات النساء» ص ٧٢، و«العقد الفريد» ١ : ١٦٢ ، و «صبح الأعشى» ١ : ٢٥٩.

المناظرة وعلم الكلام ، وأهل المطالعة والوعي والدراية .

وقد نقل ابن عَبْد رَبِّه الأندلسيّ هذا الاحتجاج في «العقد الفريد» في باب **فضائل عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين** عليه السلام . ولمّا كانت كلمات المأمون في هذا المجلس على درجة من الأهمّيّة ، لذلك نذكرها هنا كلّها بلا تغيير مع الكيفيّة التي تشكلّ فيها المجلس .

يقول **إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حَمَّاد بن زَيْد**: بعث إلى **يحيى بن أكثم** وإلى عدّة من أصحابي ، وهو يومئذٍ قاضي القضاة (في أرجاء البلاد الإسلاميّة) فقال : إنّ أمير المؤمنين (المأمون) أمرني أن أحضر معي غداً مع الفجر أربعين رجلاً كلّهم فقيه يَفْقَه ما يقال له ، ويحسن الجواب ، فسمّوا من تظنّونه يصلح لما يطلب أمير المؤمنين ! فسمّينا له عدّة ، وذكر هو عِدّة ، حتّى تمّ العدد الذي أراد ، وكتب تسمية القوم ، وأمر بالبكور في السحر .

وبعث إلى من لم يحضر ، فأمره بذلك . فغدونا عليه قبل طلوع الفجر ، فوجدناه قد لبس ثيابه ، وهو جالس ينتظرنا .

فركب وركبنا معه حتّى صرنا إلى الباب ، فإذا خادم واقف ، فلمّا نظر إلينا ، قال : يا أبا محمَّد (يحيى بن أكثم) أمير المؤمنين ينتظرك !

فأدخلنا ، فأمرنا بالصلاة ، فأخذنا فيها ، فلم نستتم حتّى خرج الرسول فقال : ادخلوا ! فدخلنا فإذا أمير المؤمنين (المأمون) جالس على فراشه ، وعليه سواده وطيلسانه والطويلة[1] وعمامته .

١ـ السواد شعار العبّاسيّين ! والطَّيْلَسان بفتح الطاء وتثليث اللام كساء مدوّر أخضر ليس له ذيل، ويغطّي القسم الأعلى من الجسم فحسب . يلبسه الخواصّ من المشايخ والعلماء، وهو من لباس العجم. والطويلة لباس طويل يغطّي الجسم كلّه كالجبّة. والعمامة

فوقفنا وسلّمنا، فردّ السلام وأمرنا بالجلوس. فلمّا استقرّ بنا المجلس، انحدر عن فراشه، ونزع عمامته وطيلسانه، ووضع قلنسوته.

ثمّ أقبل علينا فقال: إنّما فعلت ما رأيتم، لتفعلوا مثل ذلك!

وأمّا الخُفّ فمنع من خلعه علّة. من قد عرفها منكم فقد عرفها. ومن لم يعرفها فسأعرّفه بها. ومدّ رجله، وقال: إنزعوا قلانسكم، وخفافكم، وطيالستكم!

قال إسحاق: فأمسكنا. فقال لنا يحيى: انتهوا إلى ما أمركم به أمير المؤمنين! فتنحّينا فنزعنا أخفافنا وطيالستنا وقلانسنا ورجعنا.

فلمّا استقرّ بنا المجلس، قال: إنّما بعثت إليكم معشر القوم في المناظرة. فمن كان به شيء من الأخبثين (البول والغائط) لم ينتفع بنفسه ولم يفقه ما يقول! فمن أراد منكم الخلاء فهناك، وأشار بيده، فدعونا له.

ثمّ ألقى مسألة من الفقه، فقال ليحيى بن أكثم: يا أبا محمّد! قل، وليقل القوم من بعدك مع ذكر الدليل.

فأجابه يحيى، ثمّ الذي يلي يحيى، ثمّ الذي يليه، حتّى أجاب آخرنا في العلّة، وعلّة العلّة، والمأمون مطرق لا يتكلّم. حتّى إذا انقطع الكلام، التفت إلى يحيى فقال: يا أبا محمّد! أصبت الجواب، وتركت الصواب في العلّة! ثمّ لم يزل يردّ على كلّ واحد منّا مقالته، ويخطّئ بعضنا، ويصوّب بعضنا، حتّى أتى على آخرنا.

ثمّ قال: إنّي لم أبعث فيكم لهذا، ولكنّني أحببت أن أُنبّئكم أنّ أمير المؤمنين (يريد نفسه) أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه،

قطعة من القماش تلفّ على الرأس بشكل دائريّ. والقلنسوة قبّعة توضع على الرأس، وهي أنواع، منها ما يوضع تحت العمامة.

والذي يدين الله به !

قلنا : فليفعل أمير المؤمنين وفّقه الله !

فقال المأمون : إنّ أمير المؤمنين يدين الله على أنّ **عليَّ بن أبي طالب** خير خليفة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وأولى الناس بالخلافة له .

قال إسحاق : فقلت : يا أمير المؤمنين ! إنّ فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين (المأمون) في عليّ . وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة !

فقال المأمون : يا إسحاق ! اختر ! إن شئتَ أن تسأل فقل ، وإن شئتَ سألتك !

قال إسحاق : فاغتنمتُها منه ، فقلت : بل أسألك يا أمير المؤمنين ! قال المأمون : سل !

قلتُ : من أين قال أمير المؤمنين : إنّ عليّ بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله ، وأحقّهم بالخلافة بعده ؟

قال المأمون : يا إسحاق ! خبّرني عن الناس : بم يتفاضلون حتّى يقال : فلان أفضل من فلان ؟! قلت : بالأعمال الصالحة ! قال : صدقتَ ! قال : فأخبرني عمّن فضّل صاحبه على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ثمّ إنّ المفضول عمل بعد وفاة رسول الله بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله ، أيُلحق به ؟! [1]

١ـ إنّ مثل إسحاق بن إبراهيم في عدم وعيه كمثل الأشخاص غير المطّلعين على السير والتواريخ، ومثل السذّج السطحيّين في عصرنا الراهن إذ يقولون : إنّ أبابكر، وعمر قدّما خدمات جليلة باهرة للإسلام كمحاربة المرتدّين في عصر أبي‌بكر، والفتوحات في عصر عمر، تلك الفتوحات التي اتّسعت فيها رقعة الإسلام برّاً وبحراً. فقد اعتبر إسحاق أعمال الشيخين بعد وفاة رسول‌الله أعمالاً جليلة مثيرة ، وجعلها معيار الفضيلة. أمّا المأمون

قال إسحاق : فأطرقت . فقال المأمون : يا إسحاق ! لا تقل : نعم ، يمكن أن يلحق به ! فإنّك إن قلت : نعم ، أوجدتُك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهاداً وحجّاً وصياماً وصلاة وصدقة .[1]

قال إسحاق : فقلت : أجل يا أمير المؤمنين ! لا يلحق المفضولُ على عهد رسول الله الفاضلَ أبداً !

قال المأمون : يا إسحاق ! فانظر ما رواه لك أصحابك ، ومن أخذت عنهم دينك ، وجعلتهم قدوتك ، من فضائل عليّ بن أبي طالب ! فقس عليها ما أتوك به من فضائل أبي بكر . فإن رأيت فضائل أبي بكر تشاكل فضائل عليّ ، فقل إنّه أفضل منه ! لا ، والله .

ولكن فقس إلى فضائله ما روى لك من فضائل أبي بكر وعمر ، فإن

فقد تصدّى لهذا الضرب من الاستدلال بحصر معيار الفضيلة في التضحية والإيثار إبّان عصر رسول‌الله، وقال: إنّ المعيار الوحيد هو النشاطات والممارسات التي تحقّقت في عصر النبيّ. وقد قام أمير‌المؤمنين عليه السلام بنشاطات هامّة وقطع أشواطاً بعيدة على طريق الإسلام أيّام رسول‌الله صلّى‌الله عليه وآله بحيث إنّ أعمال أبي بكر وعمر بل وأعمال العشرة المبشّرة مجتمعة لاتوزن بعمله. لأنّه لو كان قد تسلّم مقاليد الأُمور بعد رسول الله ⇦ ⇦ مباشرة، فأيّ عمل لا ينجزه مهما كبر و عظم ؟ هذا مع أنّ خدماته وسوابقه في عصر رسول‌الله كانت أسمى وأكثر تألّقاً. يضاف إلى ذلك أنّنا نجد أشخاصاً في عصر ما بعد رسول‌الله كانت أعمالهم المختلفة من حجّ ، وجهاد ، وصلاة ، وصوم ، وغيرها تملأ العين أكثر فأكثر، بينما نتّفق نحن ومخالفونا على أنّهم ليسوا أفضل من الأشخاص الذين عاشوا في عصر رسول‌الله. وعلى هذا ينحصر ميزان الفضيلة بالخلوص والإخلاص في العمل والإيثار والتضحية في الشدّة والعسر، والتقدّم والثبات في العمل والصمود عند فرار الناس وبقاء رسول‌الله وحده. وكان أمير‌المؤمنين في هذه المواصفات والأعمال كلّها الشخص المتميّز الذي يمثّل الدرجة الأُولى في الإسلام.

١ـ وممّا يؤيّد هذا الموضوع الآية ١٠ من السورة ٥٧ : الحديد : **لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُولَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا.**

وجدت لهما من الفضائل ما لعليّ وحده ، فقل : إنّهما أفضل منه ! لا والله !

ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، فإن وجدتها مثل فضائل عليّ ، فقل : إنّهم أفضل منه ! لا والله !

ولكن قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله بالجنّة ، فإن وجدتها تشاكل فضائل عليّ ، فقل : إنّهم أفضل منه .

ثمّ قال المأمون بعد ذلك : يا إسحاق ، أيّ الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله ؟! قلتُ : الإخلاص بالشهادة !

قال المأمون : أليس السبق إلى الإسلام ؟! قلتُ : نعم !

قال : اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول : **وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُولَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ**،[1] إنّما عنى من سبق إلى الإسلام .

فهل علمتَ أحداً سبق عليّاً إلى الإسلام ؟!

قال إسحاق : قلتُ : يا أمير المؤمنين ! إنّ عليّاً أسلم وهو حديث السنّ ، لا يجوز عليه الحكم ، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل ، يجوز عليه الحكم !

قال المأمون : أخبرني أيّهما أسلم قبل ، ثمّ أُناظرك من بعده في الحداثة والكمال ! قلت : عليّ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة .

فقال : نعم ! فأخبرني عن إسلام عليّ حين أسلم ، لا يخلو من أن يكون رسول الله دعاه إلى الإسلام ، أو يكون إلهاماً من الله ؟

قال إسحاق : فأطرقتُ . فقال لي المأمون : يا إسحاق ! لا تقل : إلهاماً فتقدّمه على رسول الله صلّى الله عليه وآله !

لأنّ رسول الله لم يعرف الإسلام حتّى أتاه جبريل عن الله تعالى .

١ـ الآيتان ١٠ و ١١ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

قلتُ : أجل ، بل دعاه رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الإسلام !

قال : يا إسحاق ! فهل يخلو رسول الله حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله ، أو تكلّف ذلك من نفسه ؟

قال إسحاق : فأطرقتُ ! فقال المأمون : يا إسحاق ! لا تنسب رسول الله إلى التكلّف ، فإنّ الله يقول : **وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ** .[1]

قلتُ : أجل يا أمير المؤمنين ، بل دعاه بأمر الله !

قال المأمون : فهل من صفة الجبّار جلّ ذكره أن يكلِّف رسله دعاءَ من لا يجوز عليه حكم ؟!

قلتُ : **أَعُوذُ بِالله** .

فقال : أفتراه في قياس قولك يا إسحاق أنّ عليّاً أسلم صبيّاً لا يجوز عليه الحكم ، قد كلّف رسول الله صلّى الله عليه وآله من دعاء الصبيان ما لا يطيقون ؟! فهو يدعوهم الساعة ويرتدّون بعد ساعة ، فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ، ولا يجوز عليهم حكم الرسول صلّى الله عليه وآله ؟!

أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى الله عزّ وجلّ ؟!

قلت : **أعُوذُ بِاللَهِ !**

قال المأمون : فأراك إنّما قصدت لفضيلة فضّل بها رسول الله عليّاً على هذا الخلق ، أبانه بها منهم ليعرف مكانه وفضله . ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليّاً ؟ قلتُ : بلى .

قال المأمون : فهل بلغك أنّ الرسول دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته ـ لئلّا تقول : إنّ عليّاً ابن عمّه ـ ؟

قلتُ : لا أعلم ، ولا أدرى فعل أو لم يفعل !

١ـ الآية ٨٦ ، من السورة ٣٨ : ص .

قال : يا إسحاق ! أرأيت ما لم تدره ولم تعلمه هل تُسأل عنه ؟! قلتُ : لا .

قال : فدع ما وضعه الله عنّا وعنك !

ثمّ قال المأمون : ثمّ أيّ الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الإسلام ؟! قلتُ : الجهاد في سبيل الله .

قال : صدقت ! فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ما تجد لعليّ بن أبي طالب في الجهاد ؟! قلتُ : في أيّ وقت ؟

قال : في أيّ الأوقات شئتَ ؟ قلتُ : غزوة بَدْر .

قال : لا أُريد غيرها ! فهل تجد لأحد إلّا دون ما تجد لعليّ يوم بدر ؟! أخبرني : كم قتلى بدر ؟

قلتُ : نيّف وستوّن رجلاً من المشركين .

قال : فكم قتل عليّ وحده ؟! قلتُ : لا أدري .

قال : ثلاثة وعشرين أو اثنين وعشرين ، والأربعون لسائر الناس .

قلتُ : يا أمير المؤمنين ! كان أبو بكر مع النبيّ في عريشه .[1]

قال : ماذا يصنع ؟ قلتُ : يدبّر أمر الحرب .

قال : **ويحك !** يدبّر دون رسول الله أو معه شريكاً ، أو افتقاراً من رسول الله إلى رأيه ؟ أيّ الثلاث أحَبّ إليك ؟! قلتُ : **أعُوذُ بِاللَهِ** أن يدبّر أبو بكر دون رسول الله ، أو يكون معه شريكاً ، أو أن يكون برسول الله افتقار إلى رأيه !

قال المأمون : فما الفضيلة بالعريش إذا كان الأمر كذلك ؟! أليس مَن ضرب بسيفه بين يدي رسول الله أفضل ممّن هو جالس ؟ قلتُ : كلّ

١ـ العريش حجرة يبنونها كالخيمة ، يستظلّ بها من الشمس .

الجيش كان مجاهداً .

قال : صدقت ، كلٌّ مجاهد ، ولكن الضارب بالسيف ، المحامي عن رسول الله ، وعن الجالس ، أفضل من الجالس . أما قرأت كتاب الله :

لَا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْـمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّـهُ ٱلْـمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا.[١]

قلتُ : وكان أبو بكر وعمر مجاهدين .

قال : فهل كان لأبي بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد ؟! قلت : نعم ! قال : فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر .

قلتُ : أجل ! قال : يا إسحاق ! هل تقرأ القرآن ؟!

قلتُ : نعم ! قال : اقرأ عَلَيّ : **هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْـرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا.**[٢] فقرأتُ منها حتّى بلغت : **يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا.**[٣] إلى قوله : **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا.**[٤]

قال : على رسلك ، فيمن أُنزلت هذه الآيات ؟

قلتُ : في عَلِيّ . قال : فهل بلغك أنّ عليّاً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير ، قال : **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ.**

١ـ الآية ٩٥ ، من السورة ٤ : النساء .

٢ـ الآية ١ ، من السورة ٧٦ : الدهر .

٣ـ الآية ٥ ، من السورة ٧٦ : الدهر .

٤ـ الآية ٨ ، من السورة ٧٦ : الدهر .

قلتُ : بلى !

قال : وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به عليّاً ؟!

قلتُ : لا . قال : صدقَتَ ! لأنّ الله جلّ ثناؤه عرف سيرته . يا إسحاق ! ألستَ تشهد أنّ العشرة المبّشرة [١] في الجنّة ؟!

قلتُ : بلى ! يا أمير المؤمنين !

قال : أرأيت لو أنّ رجلاً قال : والله ، ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا . ولا أدري إن كان رسول الله صلّى الله عليه وآله قاله أم لم يقله ؟ أكان عندك كافراً ؟! قلتُ : أعوذ بالله ، إن حسبته كافراً !

قال : أرأيت لو أنّه قال : ما أدري هذه السورة (سورة الدهر) من كتاب الله ، أم لا ، كان كافراً ؟! قلتُ : نعم !

قال : يا إسحاق ! أرى بينهما فرقاً ! [٢]

قال : أتروي الحديث ؟! قلتُ : نعم !

قال : فهل تعرف حديث الطَّيْر ؟! [٣] قلت : نعم .

١ـ يروي العامّة في كتبهم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بشّر عشرة من أصحابه بالجنّة فعرفوا بالعشرة المبشَّرة ، وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعليّ ، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعدبن أبي وقّاص، وعبدالرحمن بن عوف ، وسعيد بن زيد بن عمروبن نفيل، وعبدالله‌بن مسعود. بَيدَ أنّ إجماع الشيعة يردّ هذا الحديث ، إذ يرى الشيعة أنّه من الأحاديث الموضوعة. وجاء حديث العشرة المبشّرة في كتاب «أُسد الغابة» ج ٣، ص ٣٧٨.

٢ـ أراد المأمون أن يقول إنّ حديث العشرة المبشّرة بالجنّة موضوع، ومن أنكره لم يكفر، على عكس سورة الدهر التي نزلت في أهل البيت ، فهي قرآن، ومن أنكرها كفر.

٣ـ روى الفريقان هذا الحديث بسند متواتر ورواة موثّقين . وفيه أنّ أنس بن مالك (خادم النبيّ) أتى بطائر مشويّ ووضعه عند رسول الله ، فدعا رسول‌الله قائلاً: **اللَهُمَّ أدْخِلْ إلَيَّ أحَبَّ خَلْقِكَ إلَيْكَ يأكُل مَعي مِنْ هَذَا الطَّائر** . فجاء عليّ عليه السلام ودخل على

قال : فحدّثني به ! فحدّثته الحديث .

قال : إنّي كنتُ أكلّمك وأنا أظنّك غير معاند للحقّ ! فأمّا الآن فقد بان لي عنادك ! إنّك توقن أنّ هذا الحديث صحيح ؟! قلتُ : نعم . رواه من لا يمكنني ردّه .

قال : أفرأيت من أيقن أنّ هذا الحديث صحيح ، ثمّ زعم أنّ أحداً أفضل من عليّ ، لا يخلو من إحدى ثلاث :

من أن تكون دعوة رسول الله عنده مردودة عليه ، أو أن يقول : عرّف الله عزّ وجلّ الفاضل من خلقه وكان المفضول أحبّ إليه ، أو أن يقول : إنّ الله عزّ وجلّ لم يعرِّف الفاضل من المفضول ؟

قال إسحاق : فأطرقت أيضاً . فقال المأمون : يا إسحاق ! لا تقل من هذه الثلاثة شيئاً ! فإنّك إن قلت منها شيئاً استتبتك (بسبب الكفر الذي ينتج عن القول بإحدى الثلاث) . وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فَقُلْهُ !

قلتُ : لا أعلم ، وإنّ لأبي بكر فضلاً ! قال : أجل ، لولا أنّ له فضلاً ،

رسول‌الله وأكل معه. يقول أنس: لمّا دعا رسول الله بهذا الدعاء ، قلت في نفسي : اللهمّ اجعله رجلاً من الأنصار (لأنّ أنساً كان أنصاريّاً وأراد أن تكون هذه المفخرة في قومه). فقرع عَلِيّ الباب، وذهب أنس خلف الباب وقال لأمير المؤمنين عليه السلام : إنّ رسول‌الله مشغول في حاجة ، ولم يفتح الباب . فكرّر رسول الله دعاءه : **اللَهُمَّ أدْخِلْ إلَيَّ أَحَبَّ خَلْقِكَ إلَيْكَ يَأْكُل معي مِن هذا الطائر** . وقرع أمير المؤمنين الباب ولم يفتحه أنس. وثلّث ⇦ ⇦ رسول‌الله دعاءه، وعندما قرع أمير المؤمنين الباب ، قال رسول الله : لم لا تفتح الباب ؟! قال أنس: يارسول‌الله أحببت أن يكون رجلاً من الأنصار ، فقال النبيّ : **لَسْتَ بأوّلِ رَجُلٍ أحَبَّ قَوْمَهُ** . ففتحت الباب ودخل عليّ عليه السلام فقال له رسول الله : ما حبسك يا علىّ ؟ فقصّ أمير المؤمنين عليه القصّة من أنّه أتى مرّتين وقال له أنس : رسول‌الله مشغول. وتناول أمير المؤمنين من ذلك الطائر مع رسول‌الله.

لما قيل : إنّ عليّاً أفضل منه ، فما فضله الذي قصدتَ له الساعة ؟!

قلتُ : قول الله عزّ وجلّ : **ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا.**[1]

فنسب الله أبا بكر في هذه الآية إلى صحبته ، أي ، إلى صحبة رسول الله .

قال المأمون : يا إسحاق ! أما إنّي لا أحملك على الوعر من طريقك . إنّي وجدتُ الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه ورضي عنه كافراً ، وهو قوله : **قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا * لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا.**[2]

قال المأمون : تأبى الآن إلّا أن أخرج إلى أن تضطرني للإستقصاء عنك ! أخبرني عن حزن أبي بكر : أكان رضا أم سخطاً ؟!

قلتُ : إنّ أبا بكر إنّما حزن من أجل رسول الله صلّى الله عليه وآله خوفاً عليه وغمّاً أن يصل إلى رسول الله شيء من المكروه !

قال : ليس هذا سؤالي ! إنّما كان سؤالي أن تجيب : رضاً أم سخطاً ! قلتُ : بل كان رضا للّه .

قال : فكأنّ الله جلّ ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضا الله وعن طاعته ؟ قلتُ : **أعوذُ بِالله!**

١ـ الآية ٤٠ ، من السورة ٩ : التوبة .

٢ـ الآيتان ٣٧ و ٣٨ ، من السورة ١٨ : الكهف . نلاحظ في هذه الآية أنّ عنوان الصاحب قد أُطلق على ذلك المؤمن ، بَيدَ أنّه لمّا كان من العناوين الإضافيّة والنسبيّة، وأنّ من كان صاحباً لشخص آخر فإنّ هذا الشخص هو صاحب الشخص الأوّل أيضاً، لهذا استفاد المأمون من هذه الملازمة، وصحّ عند التعبير عن الكافر بالصاحب من خلال التعبير عن المؤمن به.

قال : أوَ ليس قد زعمت أنّ حزن أبي بكر رضاً للّه ؟ قلتُ : بلى !

قال : أوَ لم تجد أنّ القرآن يشهد أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : **لَا تَحْزَنْ** نهياً له عن الحزن ؟ قلتُ : **أعُوذُ بِالله**.

قال : يا إسحاق ! إنّ مذهبي الرفق بك ، لعلّ الله يردّك إلى الحقّ ويعدل بك عن الباطل ، لكثرة ما تستعيذ به !

وحدّثني عن قول الله : **فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَه ُ عَلَيْهِ** ، من عنى بذلك ، رسول الله أم أبا بكر ؟!

قلتُ : بل رسول الله . قال : صدقتَ ! حدّثني عن قول الله : **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ** ، إلى قوله : **ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ**.[1]

أتعلم مَن المؤمنون الذين أراد الله في هذا الموضوع ؟! قلتُ : لا أدرى يا أمير المؤمنين .

قال : الناس جميعاً انهزموا يوم حُنَيْن ، فلم يبق مع رسول الله صلّى الله عليه وآله إلّا سبعه نفر من بني هاشم : عليّ يضرب بسيفه بين يدي رسول الله . والعبّاس آخذ بلجام بغلة رسول الله ، والخمسة محدقون

---

١ ـ قسم من الآية ٢٥ والآية ٢٦ ، من السورة ٩ : التوبة . والدليل الساطع على مثلبة أبي بكر هو قوله تعالى : **فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ**. ونلحظ في الآية المشار إليها أعلاه أنّ الله أنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين في غزوة حُنَين . وأمّا في تلك الآية، فعلى الرغم من أنّ الكلام يحوم حول رسول الله وأبي بكر : **ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ** ، وأنّ النبيّ نهى أبابكر عن الحزن وقال: **إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا** ، وإذا ما نزلت السكينة عليهما معاً ، فلابدّ أن يقول: فأنزل الله سكينته عليهما ، ولكنّه أفرد نبيّه بالسكينة ، وكأنّه صرّح بعدم نزولها على أبي بكر. وعلى الرغم من أنّ هذا المفهوم هو مفهوم اللقب ، بيد أنّه ـ مع المواصفات التي ذكرناها ـ أقوى من مفهوم الشرط ونظائره ، ودلالته أدلّ على المطلوب.

به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيءٌ . حتّى أعطى الله رسوله الظفر . فالمؤمنون في هذا الموضع عليٌّ خاصّة ثمّ من حضره من بني هاشم . قال : فمن أفضل ؟ من كان مع رسول الله في ذلك الوقت ، أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعاً لينزلها عليه ؟!

قلتُ : بل من أُنزلت عليه السكينة .

قال : يا إسحاق ! من أفضل ؟! من كان معه في الغار ، أم من نام على فراشه ، ووقاه بنفسه ، حتّى تمّ لرسول الله ما أراد من الهجرة ؟!

إنّ الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر عليّاً بالنوم على فراشه ، وأن يقي رسول الله بنفسه . فأمره رسول الله صلّى الله عليه وآله بذلك . فبكى عليّ . فقال له رسول الله : ما يبكيك يا عليّ ؟! أجزعاً من الموت ؟! قال : لا ، والذي بعثك بالحقّ يا رسول الله ! ولكن خوفاً عليك ! أفتسلم يا رسول الله ؟!

قال : نعم ! قال عليّ : **سَمْعَاً وطَاعَةً وَطَيِّبَةً نَفْسِي بِالفِدَاء لَكَ يَا رَسُولَ اللَهِ**.

ثمّ أتى عليّ مضجع النبيّ واضطجع وتسجّى بثوبه . وجاء المشركون من قريش فحفّوا به ، لا يشكّون أنّه رسول الله ، وقد أجمعوا أن يضربه من كلّ بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف ، لئلّا يطلب الهاشميّون من البطون بطناً بدَمِه . وعليّ يسمع ما القوم فيه من إتلاف نفسه ، ولم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع صاحبه في الغار ، ولم يزل عليّ صابراً محتسباً ، فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركيّ قريش حتّى أصبح . فلمّا أصبح قام فنظر القوم إليه فقالوا : أين محمّد ؟!

قال : وما علمي بمحمّد أين هو ؟! قالوا : فلا نراك إلّا مغرّراً بنفسك

منذ ليلتنا !

فلم يزل عليّ أفضل ما بدأ به يزيد ، ولا ينقص حتّى قبضه الله إليه .

يا إسحاق ! هل تروي حديث الولاية (حديث الغدير) ؟!

قلتُ : نعم ! يا أمير المؤمنين . قال : اروه ، ففعلت .

قال : يا إسحاق ! أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر ، وعمر ما لم يوجب لهما عليه ؟!

قلتُ : إنّ الناس ذكروا أنّ الحديث إنّما كان بسبب زَيْد بن حَارِثَة لشيء جرى بينه وبين عليّ ، وأنكر ولاء عليّ ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .**

قال المأمون : في أيّ موضع قال هذا ؟ أليس بعد منصرفه من حجّة الوداع ؟!

قلتُ : أجل ! قال : فإنّ قَتْلَ زيد بن حارثة قبل الغدير . كيف رضيت لنفسك هذا ؟

أخبرني : لو رأيت ابناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول : **مَوْلَاي مَوْلَى ابْنِ عَمِّي** ، أيّها الناس فاعلموا ذلك : أكنتَ منكراً ذلك عليه ؟! قلتُ : اللهُمَّ نعم !

قال : يا إسحاق أفتنزّه ابنك عمّا لا تنزّه عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله !

وَيْحَكُمْ لَا تَجْعَلُوا فُقَهَاءَكُمْ أَرْبَابَكُمْ ! إنّ الله جلّ ذكره قال في كتابه : **ٱتَّخَذُوٓا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ .**[1]

١ـ الآية ٣١ ، من السورة ٩ : التوبة .

ولم يصلّوا لهم ، ولا صاموا ، ولا زعموا أنّهم أرباب ، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم .

يا إسحاق ! أتروي حديث **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ؟!**

قلتُ : نعم يا أمير المؤمنين ! قد سمعته ، وسمعت من صحّحه وجحده !

قال : فمن أوثق عندك ؟! من سمعت منه فصحّحه ، أو من جحده ؟!

قلتُ : من صحَّحه .

قال : فهل يمكن أن يكون رسول الله مزح بهذا القول ؟

قلت : **أعُوذُ بالله** . قال : فقال قولاً لا معنى له فلا يوقف عليه ؟

قلتُ : **أعوذُ بِالله** ! قال : أفما تعلم أنّ هارون كان أخا موسى لأبيه وأُمّه ؟!

قلتُ : بلى ! قال : فعليّ أخو رسول الله لأبيه وأُمّة ؟!

قلتُ : لا ! قال : أو ليس هارون كان نبيّاً وعليّ غير نبيّ ؟

قلتُ : بلى ! قال : فهذان الحالان معدومان في عليّ وقد كانا في هارون . فما معنى قوله : **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ؟!**

قلتُ : إنّما أراد أن يطيّب بذلك نفس عليّ لمّا قال المنافقون : إنّه خلّفه استثقالاً له .

قال : فأراد أن يطيّب بقول لا معنى له ؟

قال إسحاق : فأطرقتُ .

فقال المأمون : يا إسحاق ، له معنى في كتاب الله بيّن .

قلتُ : وما هو يا أمير المؤمنين ؟!

قال : قوله عزّ وجلّ حكاية عن موسى أنّه قال لأخيه هارون :

آخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ.[١]

قلتُ : يا أمير المؤمنين ! إنّ موسى خلّف هارون في قومه ، وهو حيّ ، ومضى إلى ربّه ، وإنّ رسول الله خلّف عليّاً كذلك حين خرج إلى غزاته . (أي : أنّ هذا الاستخلاف ليس مثل ذلك الاستخلاف ، إذ هو استخلاف على الأُمّة جميعها) .

قال : كلّا ، ليس كما قلت ؟ أخبرني : عن موسى حين خلّف هارون ، هل كان معه حين ذهب إلى ربّه أحد من أصحابه أو أحد من بنى إسرائيل ؟!

قلت : لا ! قال : أوَ ليس استخلفه على جماعتهم ؟!

قلتُ : نعم ! قال : فأخبرني : عن رسول الله صلّى الله عليه وآله حين خرج إلى غزاته هل ما خلَّف إلّا الضعفاء والنساء والصبيان ؟ فأنّى يكون مثل ذلك ؟ (المراد من قوله : **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى** ، خلافة عليّ للأُمّة جميعها ، كخلافة هارون للأُمّة جميعها ، وليس المراد منه الخلافة في الحرب ورعاية شؤون الضعفاء والنساء والصبيان) .

ثمّ قال المأمون : وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدلّ على استخلاف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب لا يقدر أحد أن يحتجّ فيه ، ولا أعلم أحداً احتجّ به وأرجو أن يكون توفيقاً من الله !

قلتُ : وما هو يا أمير المؤمنين ؟!

قال : قوله عزّ وجلّ حين حكى عن موسى قوله :

وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى * هَـٰرُونَ أَخِى * ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِى * وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى * كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا

١ـ الآية ١٤٢ ، من السورة ٧ : الأعراف .

بَصِيرًا.[1]

فأنت منّي يا عليّ بمنزلة هارون من موسى : وزيري من أهلي ، وأخي ، شدّ الله به أزري ، وأشركه في أمري ،كي نسبحّ الله كثيراً ، ونذكره كثيراً .

فهل يقدر أحد أن يدخل في هذا شيئاً غير هذا ؟ ولم يكن ليبطل قول النبيّ ، وأن يكون لا معنى له .

قال إسحاق : فطال المجلس ، وارتفع النهار ، فقال يحيى بن أكثم : يا أمير المؤمنين ! قد أوضحت الحقّ لمن أراد الله به الخير ، وأثبتّ ما لا يقدر أحد أن يدفعه .

قال إسحاق : فأقبل علينا المأمون ، وقال : ما تقولون ؟!

فقلنا : كلّنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزّه الله !

فقال : والله لولا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال :

اقْبَلُوا القَوْلَ مِنَ النَّاسِ ، ماكنت لأقبل منكم القول . اللهمّ ! قد نصحت لهم القول . اللهمّ ! إنّي قد أخرجت الأمر من عنقي . اللهمّ إنّي أدينك بالتقرّب إليك بحبّ عليّ وولايته .

وفي أعقاب هذا المجلس ،كتب المأمون إلى **عَبْدِ الجَبَّارِ بْنِ سَعِدٍ المَسَاحِقِيّ** عامله على المدينة أنِ اخطب الناس ، وادعهم إلى بيعة **عَلِيّ بنِ مُوسَى !**

فقام عبد الجبّار وقال : **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! هَذَا الأَمْرُ الَّذِي كُنتُمْ فِيهِ تَرْغَبُونَ ، وَالعَدْلُ الَّذِي كُنتُمْ تَنْظَرُونَ ، وَالخَيْرُ الَّذِي كُنْتُمْ تَرْجُونَ ، هَذَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرِ بْن مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي**

١ـ الآيات ٢٩ إلى ٣٥ ، من السورة ٢٠ : طه .

طَالِبٍ.

سِتَّةُ آبَاءٍ، هُمُ مَا هُمُ مِنْ خَيْرِ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الغَمَام[1]

واحتجّ المأمون أيضاً بحديث الغدير لإثبات أحقّيّة الأئمّة الطاهرين، وذلك في رسالة جوابيّة كتبها ردّاً على اعتراض العبّاسيّين عليه عندما فوّض الخلافة إلى الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام.

وقال صاحب «ينابيع المودّة» في الباب ٩٢ بعد نقله هذه الرسالة: روى ابن مسكويه صاحب التأريخ في كتابه: «نديم الفريد» أنّ المأمون كتب كتاباً إلى بني العبّاس. وهذا الكتاب مفصّل، وكلّه يدور حول أحقّيّة وأولويّة أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة. وننقل فيما يلي فقرات منه:

فَلَمَّا قُبِضَ[2] **حَكَمَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ القَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ إِلَى القَوْمِ الأَنْصَارِ، وَلَمْ يَقُمْ مَعَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَحَدٌ كَقِيَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنَّهُ وَقَاهُ بِنَفْسِهِ، وَنَامَ فِي مَضْجَعِهِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ بَعْدُ مُتَمَسِّكاً بِأَطْرَافِ الثُّغُورِ، يُنَازِلُ الأَبْطَالَ، وَلَا يَنْكُلُ عَنْ قِرْنٍ، وَلَا يُوَلِّي عَنْ جَيْشٍ، مَنِيعَ القَلْبِ، يُؤَمَّرُ عَلَى الجَمِيعِ، وَلَا يُؤَمَّرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ، أَشَدَّ النَّاسِ وَطْأَةً عَلَى المُشْرِكِينَ، وَأَعْظَمَهُمْ جِهَاداً فِي اللهِ، وَأَفْقَهَهُمْ فِي دِينِ اللهِ، وَأَقْرَأَهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، وَأَعْرَفَهُمْ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ، وَهُوَ صَاحِبُ الوَلَايَةِ فِي حَدِيثِ غَدِيرِ خُمٍّ وَصَاحِبُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي.**[3]

١ـ «العقد الفريد»، ج ٣، ص ٢٧٩، ٢٨٦. الطبعة الأُولى، مطبعة الجماليّة، سنة ١٣٣١ هـ.

٢ـ ١ـ أى لما قبض أبوطالب رضوان الله عليه.

٣ـ «ينابيع المودّة» ص ٤٨٤، الطبعة الأُولى، إسلامبول؛ و«الغدير» ج ١، ص ٢١٢ عن «ينابيع المودّة»؛ و«عقبات الأنوار» ج ١، ص ١٤٧.

قال أبو الحسن : عليّ بن الحسين المسعوديّ في آخر الجزء الثاني من «مروج الذهب» ، وفي آخر الفصل الذي خصّصه لترجمة أمير المؤمنين عليه السلام :

قال المسعوديّ : والأشياء التي استحقّ بها أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله الفضل هي : السبق إلى الإيمان ، والهجرة ، والنصرة لرسول الله صلّى الله عليه وآله ، والقربى منه ، والقناعة ، وبذل النفس له ، والعلم بالكتاب والتنزيل ، والجهاد في سبيل الله ، والورع ، والزهد ، والقضاء ، والحكم ، والعفّة ، والعلم .

وكلّ ذلك **كان لعليّ بن أبي طالب** عليه السلام منه النصيب الأوفر ، والحظّ الأكبر ، إلى ما ينفرد به من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله حين آخى بين أصحابه : **أَنْتَ أخي** . ونحن نعلم أنّ رسول الله لا ضدّ له ولا ندّ .

وأفرده أيضاً بقوله : **أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي** .

وقوله : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ** .

ثمّ دعاؤه وقد قدّم إليه أنس الطائر : **اللَهُمَّ أَدْخِلْ إِلَيَّ أَحَبَّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ يَأكُلْ مَعِي مِنْ هَذَا الطَّائِرِ** .

فدخل عليه **عليّ** عليه السلام ... إلى آخر الحديث .[1]

ينبغي أن نعلم أنّ هناك احتجاجات هامّة أُخرى ماعدا هذه الاحتجاجات الأربعة عشر التي ذكرناها ، وقد صدرت عن عَمَّار بن يَاسِر في معركة صفّين ، وقَيْس بن سَعْد بن عُبَادة مع معاوية ، والحاكم الأمويّ

١ـ «مروج الذهب» ج ٢ ، ص ٤٣٧ ، طبعة مطبعة السعادة ، سنة ١٣٦٧ هـ.

عُمَر بن عبد العزيز بن مروان ، وغيرهم من المشاهير . وقد اكتفينا بهذا المقدار حسب ما يتطلّبه المقام . ونختم هذا البحث النفيس بأبيات للصاحب بن عبّاد رضوان الله عليه في التوسّل بالنبيّ والأئمّة الأطهار :

بِمُحَمَّدٍ وَوَصِيِّهِ وَابْنَيْهِمَا الطَّاهِرَيْنِ وَسَيِّد العُبَّادِ
وَمُحَمَّدٍ وَبِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَسَمِيِّ مَبْعُوثٍ بِشَاطِى الوَادِ
وَعَلِيٍّ الطُّوسِيِّ ثُمَّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ المَسْمُومِ ثُمَّ الهَادِي
حَسَنٍ وَأَتْبَعُ بَعْدَهُ بِإمَامَةٍ لِلقَائِمِ المَبْعُوثِ بِالمِرْصَادِ[1]

ندعوك يا ربّنا أن تقبل منّا هذه البضاعة المُزْجاة ، وتجعلها ذخيرة ليوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم ، وتمنّ على أوليائك وأحبّائك بمحو جميع خطاياهم بولاية أمير المومنين وأبنائه الطاهرين ، وبعناية الإمام الحيّ خاتم الأوصياء ، وتجعل معرفة تلك الذوات المقدّسة معرفة نورانيّة تامّة وراقية ، من نصيبنا ، إنّك حميدٌ مجيدٌ !

١ـ «الغدير» ج ٤ ، ص ٦٦ .

الدرس الثاني والعشرون بعد المائة

إلى الثلاثين بعد المائة

شأن نزول الآيتين: سَأَلَ سَآئِلٌ، و: فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً

بِسْـم اللَهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيم
وصلَّى اللهُ على محمّد وآله الطَّاهرين
ولعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين
ولا حول ولا قوّة إلّا باللَه العليّ العظيم

قالَ ٱللَهُ الحكيم في كتابه الكريم :

سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ * مِّنَ ٱللَهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ .[1]

(وهو العذاب النازل على الحارث بن النعمان الفَهْريّ ، أو على جابر بن نَصْر بن الحارث بن كَلْدَة بحجارة رمتها السماء فأهلكته بها لاعتراضه على رسول الله صلّى الله عليه وآله عندما نصب عليّ بن أبي طالب عليه السلام خليفةً ووليّاً) .

أجل ، فإنّ منكر ولايته أمام رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ مع علمه ـ يستحقّ هذا النكال والنقمة ، لأنّه ينكر أصالة التشريع والتكوين وواقعيّتهما ، فحريّ به أن يفنى ولا تُرى له باقية .

قال أبو العُلَى حول نصّ رسول الله على خلافة عليّ بن أبي طالب : أنا لا أدّعي أنّه نبيّ مرسل ، ولكن له مقام الولاية الإلهيّة الكلّيّة بالنصّ الجلي ، ولا شكّ في ذلك ولاتردّد.

١ـ الآيات ١ إلى ٣ ، من السورة ٧٠ : المعارج .

عَـلِيٌّ إمَـامِيَ بَـعْدَ الرَّسُـولِ سَيَشْفَعُ فِي عَرْصَةِ الحَقِّ لي
وَلَا أَدَّعــي لِــعَلِيٍّ سِــوَى فَضَائِلَ فِي العَقْلِ لَمْ يُشْكَلِ
وَلَا أدَّعـــي أَنَّــهُ مُــرْسَلٌ وَلَكِــنْ إمَــامٌ بِـنَصٍّ جَـلِي
وَقَـوْلُ الرَّسُـولِ لَـهُ إذْ أتَـى لَهُ سِـيَّمَا الفَـاضِلِ المُـفْضَلِ
أَلَا إنَّ مَـنْ كُـنْتُ مَـوْلىً لَـهُ فَمَوْلَاهُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ عَـلِي[1]

وقال أبو الفرج حول نصب الولاية :

تَجَلَّى الهُدَى يَوْمَ الغَدِيرِ عَـلَى الشُّـبَه
وَبُـــرِّزَ إبْــرِيزُ البَــيَانِ عَــنِ الشِّــبَه
وَأَكْــمَل رَبُّ العَـرْشِ لِـلنَّاسِ دِيـنَهُمْ
كَـــمَا نَـــزَلَ القُــرْآنُ فِــيهِ وَأَعْــرَبَه
وَقَامَ رَسُولُ اللَـهِ فِـي الجَـمْعِ جَـاذِباً
بِـضَبْعِ عَـلِيٍّ ذِي التَّـعَالي مِـنَ الشَّـبَه
وَقَــالَ : أَلَا مَـنْ كُـنْتُ مَـوْلىً لِـنَفْسِهِ
فَــهَذَا لَــهُ مَــوْلىً فَــيَا لَكَ مَــنْقِبَه[2]

١ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١ ، ص ٥٣١ ، الطبعة الحجريّة . وجاءت هذه الأبيات في «الغدير» ج ٤ ، ص ١١٨ . ونقل عجز البيت الرابع هكذا : **لَـهُ شَـبَه الفـاضِل المـفضَلِ**. والشاعر هو أبوالعلاء السَّـرَويّ المـازندرانـيّ ، أحـد أعـلام القـرن الرابـع . وله مكـاتبات ومساجلات مع أبي الفضل بن العميد . وذكرت ترجمته وبعض أشعاره في «يتيمة الدهر»؛ و«محاسن إصفهان» ؛ و«نهاية الإرَب في فنون الأدب».

٢ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١ ، ص ٥٣١ . ونقل العلّامة الأمينيّ هذه الأبيات فـي «الغدير» ج ٤ ، ص ١٧٢ نقلاً عن «المناقب» ؛ و«الصراط المستقيم» للبياضيّ ، وقال: الشاعر هو أبوالفرج محمّدبن هندو الرازيّ. وآل هندو من أُسـر الإ مـاميّة النـاهضين بـنشر العـلم والأدب. وأبو الفرج هذا مؤسّس بيت آل هندو . وفيهم جمع قد تحلّى أفراده كلّهم بالمقامات العلميّة، ولهم شأنهم في الشعر والأدب.

وأنشد ابن الروميّ قائلاً:

يَا هِنْدُ لَمْ أعْشِقْ وَمِثْلِي لَا يَرَى ... عِشْقَ النِّسَاءِ دِيَانَةً وَتَحَرَّجَا
لَكِنَّ حُبِّي لِلْوَصِيِّ مُخَيَّمٌ ... فِي الصَّدْرِ يَسْرَحُ فِي الفُؤَادِ تَوَلَّجَا
فَهْوَ السِّرَاجُ المُسْتَنِيرُ وَمَنْ بِهِ ... سَبَبُ النَّجَاةِ مِنَ العَذَابِ لِمَنْ نَجَا
وَإِذَا تَرَكْتُ لَهُ المَحَبَّةَ لَمْ أجِدْ ... يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ ذُنُوبِي مَخْرَجَا
قُلْ لِي: أَأَتْرُكُ مُسْتَقِيمَ طَرِيقِهِ ... جَهْلاً وَأَتَّبِعُ الطَّرِيقَ الأَعْوَجَا
وَأَرَاهُ كَالتِّبْرِ المُصَفَّى جَوْهَراً ... وَأَرَى سِوَاهُ لِنَاقِدِيهِ مُبَهْرَجا
وَمَحَلُّهُ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بَيِّنٌ ... عَالٍ مَحَلَّ الشَّمْسِ أوْ بَدْرِ الدُّجَى
قَالَ النَّبِيُّ لَهُ مَقَالاً لَمْ يَكُنْ ... يَوْمَ الغَدِيرِ لِسَامِعِيهِ تَمَجْمُجَا
مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَذَا مَوْلىً لَهُ ... مِثْلِي وَأَصْبَحَ فِي الفِخَارِ مُتَوَّجَا
وَكَذَاكَ إذْ مَنَعَ البَتُولَ جَمَاعَةً ... خَطَبُوا وَأَكْرَمَهُ بِهَا إذْ زَوَّجَا[1]

١ـ «مناقب ابن شهرآشوب» ج ١، ص ٥٣١.

يقول السيّد ابن طاووس في كتاب «الإقبال» ص ٤٥٩: وبلغ أمر الحسد لمولانا عليّ عليه السلام على ذلك المقام والإنعام إلى بعضهم الهلاك والاصطلام. فروى الحاكم عبيدالله ابن عبدالله الحسكانيّ في كتاب «ادّعاء الهداة إلى أداء حقّ الموالاة» ـ وهو من أعيان رجال الجمهور ـ فقال: قرأت على أبي بكر محمّد بن محمّد الصيدلانيّ فأقرّ به. إلى أن يبلغ بالحديث إلى منصور بن ربعي الذي روى عن حذيفة بن اليمان أنّه قال: لمّا قال رسول الله: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ**، قام النعمان بن المنذر الفهريّ فقال: هذا شيء قلته من عندك أو شيء أمرك به ربّك؟ فقال النبيّ: بل أمرني به ربّي. قال: **اللَهُمَّ أنْزِل عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ**. فما بلغ رحله حتّى جاءه حجر فأدماه فخرّ ميّتاً، فأنزل الله، تعالى: سأل سآئل بعذابٍ وَاقِع.

أقول: وروى هذا الحديث الثعلبيّ في تفسيره للقرآن بأفضل وأكمل من هذه الرواية. وكذلك رواه صاحب كتاب «النشر والطيّ». ثمّ ذكر الحديث مفصّلاً وقال: فإذا كان الحال كما ذكرناه من الجاحدين الكارهين لما أنزل الله، ولما أمر به رسوله صلوات الله عليه وآله ⇦

وقال أبو إسحاق **الثعْلبيّ** النيسابوريّ في تفسير «**الكشف والبيان**»: إنّ سفيان بن عُيَيْنَة سئل عن قول الله عزّ وجلّ : **سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** فيمن نزلت ؟ فقال : سألتني عن مسألة ما سألني أحد قبلك :

حدّثني أبي عن جعفر بن محمّد ، عن آبائه صلوات الله عليهم قال : لمّا كان رسول الله بغدير خمّ ، نادى الناس ، فاجتمعوا ، فأخذ بِيَدِ عليّ ، فقال : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**. فشاع ذلك ، وطار في البلاد ، فبلغ **الحرث بن النعمان الفَهريّ** ، فأتى رسول الله صلّى الله عليه وآله على ناقة له ، حتّى أتى **الأبطح** ، فنزل عن ناقته ، فأناخها ، فقال : **يا مُحَمَّد!** أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّك رسول الله ! فقبلناه ! وأمرتنا أن نصلّي خمساً ، فقبلناه منك ! وأمرتنا بالزكاة ، فقبلناه ! وأمرتنا أن نصوم شهراً ، فقبلنا ! ثمّ لم ترض بهذا حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك ففضّلته علينا ، وقلت : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**.

فهذا شيء منك ، أم من الله عزّ وجلّ ؟!

فقال [النبيّ] : والذي لا إله إلّا هو إنّ هذا من الله !

فولّى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول : **اللهُمَّ إنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقّاً فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**.[1]

⇦ من ولاية عليّ بن أبي طالب على الإسلام والمسلمين . وكان ذلك في حياة النبيّ وهو يرجى ويخاف والوحي ينزل عليه، فكيف يستبعد ممّن كان بهذه الصفات في الحسد والعداوة أن يعزلوا الولاية عن مولانا عليّ عليه السلام بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله ويكتموا كثيراً من النصوص عليه؟

بَاعُوهُ بِالأَمَلِ الضَّعِيفِ سَفَاهَةً ... وَقْتَ الحياةِ فَكيفَ بعد وفاتِهِ

خَذَلُوهُ فِي وَقْتٍ يُخاف ويُرتجى ... أَيُرَادُ منهم أن يَفُوا لِمَمَاتِهِ؟

١ـ هذا الكلام استنباط من الآية ٣٢ ، من السورة ٨ : الأنفال : **وَإِذَا قَالُوا ٱللَّهُمَّ إِن** ⇦

فما وصل إليها حتّى رماه الله تعالى بحجر فسقط على هامته ، وخرج من دُبُره ، وقتله ؛ وأنزل الله عزّ وجلّ : **سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** ـ الآيآت .[1]

وروى سبط بن الجوزيّ هذا الحديث عن تفسير الثعلبيّ بنفس الكيفيّة . وذكر في جواب رسول الله للحرث بن النعمان قائلاً : **وَقَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدِ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ : وَاللَهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّهُ مِنَ اللَهِ وَلَيْسَ مِنِّي . قَالَهَا ثَلَاثَاً .**[2]

ونقل أبو الفتوح الرازيّ في تفسيره هذا الحديث مفصّلاً عن الثعلبيّ في تفسير «الكشف والبيان» . وقال أيضاً : لمّا جاء الحرث إلى رسول الله ، كان صلّى الله عليه وآله ، جالساً بين المهاجرين والأنصار ، ومضافاً إلى تلك الاعتراضات المشار إليها ، قال أيضاً : يا محمّد ! جئتنا ونهيتنا عن عبادة ثلاثمائة وستّين إلهاً ، وقلت لنا : الله واحد ! وقلنا معك ذلك ! وقلت لنا : جاهدوا ، فقبلنا منك !

وقال في آخر القصّة : رمى الله تعالى حجراً من السماء ، فوقع على هامته ، وقتله في مكانه ، وأنزل قوله : **سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٌ وَاقِعٌ * لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ** . أرسل الحقّ تعالى رحمته ، وهو أراد العذاب . قال : لمّا لم تنفعك الرحمة ، فلا أحد يدفع عنك العذاب . **لَيْسَ لَهُۥ مِنَ ٱللَهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ** . وقد أرسلتُ ولاية عقدت فيها كمال الدين وتمام النعمة **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** .

⇦ **كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٌ .**

١ـ «الغدير» ج ١ ، ص ٢٤٠ . وذكره في «مجالس المؤمنين» في المجلس الأوّل، عن الثعلبيّ بناءً على نقل «تفسير أبي الفتوح».

٢ـ «تذكرة خواصّ الأُمّة» ، ص ١٩ .

وكان صاحب هذا الكمال طفلاً بين الأطفال ، فربّيته حتّى بلغ حدّ الكمال في الإيمان .

وما ظنّك بالدين ، فقد كان طفلاً مثله ، ثمّ أكملته بولايته ؟ **اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، فَكَمُلَ بِهِ الدِّينُ طَرْداً وَعَكْساً** . وكان الدين كالطفل فبلغ بالتبليغ .

كَانَ طِفْلاً كَيَحْيَى وَعِيسَى ، فَصَارَ بِالإِسْلَامِ كَامِلاً قَبْلَ وَقْتِ الكَمَالِ ، بَالِغاً قَبْلَ وَقْتِ البُلُوغِ ، فَصَارَ الإِسْلَامُ بِوَلَايَتِهِ بَالِغاً حَدَّ الكَمَالِ ، لَابِساً بُرْدَةَ الجَمَالِ ، مُتَرَدِّياً بِرِدَاءِ الجَلَالِ ، لَمَّا نُصِبَ لَهُ مِنْبَرٌ مِنَ الرِّحَالِ ، وَرُفِعَ عَلَيْهِ خَيْرُ الرِّجَالِ ، نَصَبَ رَسُولُ اللَهِ أَرْحُلاً وَرَفَعَ عَلَيْهِ رَجُلاً ، وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ ، وَفَتَحَ فَاهُ بِنَشْرِ ذِكْرِهِ ، وَكَسَرَ سُوقَ أَعْدَائِهِ بِإِعْلَائِهِ ، وَأَخَذَهُ بِيَدِهِ ، وَوَقَفَهُ عِنْدَ خَدِّهُ ،[1] وَجَرَّ عَلَى أَعْدَائِهِ رَجَلاً بَلْ أَجَلاً ، وَجَزَمَهُمْ جَزْماً وَخَجَلاً ، وَجَرَّهُمْ جَرّاً . فَالمِنْبَرُ مَنْصُوبٌ وَصَاحِبُهُ مَرْفُوعٌ ، فَالمِنْبَرُ مَنْصُوبٌ صُورَةً وَمَعْنىً ، وَصَاحِبُهُ مَرْفُوعٌ حَقِيقَةً وَفَحْوىً ، وَهُوَ مَرْفُوعٌ وَعَدُوُّهُ مَنْصُوبٌ ، وَهُوَ رَافِعٌ ، وَعَدُوُّهُ نَاصِبٌ .

لَيْتَ شِعْرِي : عَدُوُّهُ نَاصِبٌ أَمْ مَنْصُوبٌ ؟! نَاصِبُ اللَّقَبِ ، مَنْصُوبُ المَذْهَبِ .

فَيَا عَجَباً مِنْ نَاصِبٍ هُوَ مَنْصُوبٌ . ولو تأمّل متأمّل في هذه الكلمات ، فإنّه يجد فيها حركات الإعراب والبناء .[2]

١ـ في طبعة (مظفّري» : عند خَدّه بالخاء المعجمة ، أي : أوقف عليّاً إلى جانب وجهة. وفي طبعة (إسلاميّة) بالحاء المهملة ، أي : أوقف عليّاً في حدود ما يستأهله ويستحقّه.

٢ـ «تفسير رَوْح الجَنَان ورُوح الجَنَان» ، ج ٢ ، ص ١٩٤و ١٩٥ ، طبعة مظفّري . وطبعة إسلاميّة ج ٤ ، ص ٢٨٢ و ٢٨٣ . وذكر أبو الفتوح في عباراته الأخيرة الجمل التي تحمل ⇦

ونقل ابن شهرآشوب في مناقبه قضيّة الحَرْث بن النعمان كما ذكرناها ، وذلك عن **أبي عُبَيْد ، والثَّعْلَبيّ ، والنقّاش ، وسفيان بن عُيَيْنَة ، والرازيّ ، والقزوينيّ ، والنيسابوريّ ، والطبرسيّ ، والطوسيّ** في تفاسيرهم ، وقال في ختام الموضوع : وفي «**شرح الأخبار**» أنّه نزل : **أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ**.[1] ورواه أبو نعيم الفَضْل بن دكين . وقال العونيّ :

يَقُولُ رَسُولُ اللَهِ هَذَا لِأُمَّتي
هُوَ اليَوْمَ مَوْلىً رَبِّ مَا قُلْتُ فَاسْمَعِ
فَقَامَ جَحُودٌ ذُو شِقَاقٍ مُنَافِقٌ
يُنَادِي رَسُولَ اللَهِ مِنْ قَلْبِ مُوجَعِ
أعَنْ رَبِّنا هَذَا أمْ أنْتَ اخْتَرَعْتَهُ
فَقَالَ : مَعَاذَ اللَهِ لَسْتُ بِمُبْدِعِ
فَقَالَ عَدُوُّ اللَهِ : لَا هُمَّ إنْ يَكُنْ
كَمَا قَالَ حَقّاً بِي عَذَاباً فَأوْقَعِ
فَعُوجِلَ مِنْ أُفُقِ السَّمَاءِ بِكُفْرِهِ
بِجَنْدَلَةٍ فَانْكَبَّ ثَاوٍ بِمَصْرَعِ[2]

وروى الحاكم الحسكانيّ هذه الواقعة عن خمسة طرق :

الأوّل : عن أبي عبد الله الشيرازيّ بسنده عن سفيان بن عُيَيْنة ، عن الإمام الصادق ، عن الإمام الباقر ، عن أمير المؤمنين عليه السلام . وذكر أنّ

⇦ مفاد خطبة رسول الله ودعائه في أمير المؤمنين بألفاظ الرفع ، والنصب، والكسر، والجزم، والجَرِّ، والفتح، والضمّ ، وهي حركات الإعراب والبناء التي يستعملها النحويّون في كتبهم.

١ـ الآية ٢٠٤ ، من السورة ٢٦ : الشعراء .

٢ـ «مناقب آل أبي طالب» ج ١ ، ص ٥٣٨ .

اسم ذلك المنافق المنكر هو النعمان بن الحَرْث الفَهريّ .

الثاني : عن جماعة ، عن أحمد بن محمّد بن نصر بن جعفر الضَّبعيّ بسنده عن سفيان بن عُيَيْنة ، عن الإمام الصادق ، عن الإمام الباقر ، عن الإمام زين العابدين عليهم السلام .[١]

الثالث : عن تفسير عتيق ، عن إبراهيم بن محمدّ الكوفيّ بسنده عن جابر الجُعْفيّ عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام .

الرابع : عن أبي الحسن الفارسيّ ، وعن أبي محمّد بن محمّد البغداديّ بسنديهما عن سفيان بن سعيد ، عن منصور ، عن ربعي ، عن حُذَيْفَة بن اليمان .[٢] وذكر أنّ اسم ذلك المنافق المنكر : النُّعمان بن المُنْذر الفهريّ . ورجال هذا الحديث كلّهم ثقات معتمدون .

الخامس : عن عثمان ، عن فرات بن إبراهيم الكوفيّ بسنده عن سعيد بن أبي سعيد المقري ، عن أبي هريرة .[٣]

وروى شيخ الإسلام الحَمّوئيّ عن الشيخ عماد الدين عبد الحافظ بن بدران بن شبل المقدسيّ بمدينة نابلس ، في ما أجاز لي أن أرويه عن القاضي جمال الدين أبي القاسم بن عبد الصمد بن محمّد الأنصاريّ، متّصلاً عن أبي إسحاق الثعلبيّ في تفسيره ، عن سفيان بن عُيينة ، عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق ،[٤] عن آبائه عليهم السلام . وجاء في هذه الرواية

١ـ «شواهد التنزيل» ج ٢ ، ص ٢٨٧ ، الحديث رقم ١٠٣١. وجاء الحديث في «الغدير» ج ١ ، ص ٢٤٠ عن الحاكم الحسكانيّ .

٢ـ «شواهد التنزيل» ج ٢ ، ص ٢٨٨ ، الحديث رقم ١٠٣٢ .

٣ـ «شواهد التنزيل» ج ٢ ، ص ٢٨٩ ، الحديث رقم ١٠٣٤. وجاء الحديث في «الغدير» ج ١ ، ص ٢٤١ عن الحاكم الحسكانيّ .

٤ـ يبدو أنّ هذه الجملة من نسخة «فرائد السمطين» صحيحة ، لأنّ سفيان بن عيينة ⇦

أنّ الحرث بن النعمان الفهريّ ركب ناقته ، ونزل على رسول الله في الأبطح ، وقال ما قال ، إلى آخر الرواية . وقال الحمّوئيّ في آخرها :

الأبطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى ، ومؤنّثه البطحاء ، وهي من الصفات التي طرحت موصوفاتها رأساً كالراكب ، والصاحب ، والأوْرَق ، والأطلس ، يقال : تَبْطَحُ السَّيْلُ أي : اتّسع في البطحاء .[١]

وذكر هذا الحديث في «غاية المرام» عن الحمّوئيّ إبراهيم بن محمّد بألفاظه نفسها .[٢]

وذكر الشيخ محمّد الزرنديّ الحنفيّ هذه القصّة مفصّلاً عن أبي إسحاق الثعلبيّ في تفسيره .[٣]

كما ذكرها ابن صبّاغ المالكيّ عن الثعلبيّ في تفسيره أيضاً .[٤]

ونقلت في كتاب «السيرة النبويّة» لبرهان الدين الحلبيّ الشافعيّ المتوفّى سنة ١٠٤٤ هـ .[٥]

⇦ يروي عن الإمام الصادق بلا واسطة أبيه ، ولهذا عندما جاء في بعض نسخ «الفرائد»، وبعض الكتب الأُخرى أنّ سفيان بن عُيَيْنَة يروي عن أبيه ، عن الصادق ، فهو تصحيف كما يبدو.

١ـ «فرائد السمطين» ج ١ ، ص ٨٢ و ٨٣ ، الحديث ٦٣ ، الباب الخامس عشر، ولكنّ العلّامة الأمينيّ نقلها في «الغدير» ، ج ١ ، ص ٢٤٢ عن الباب الثالث عشر من «الفرائد».

٢ـ «غاية المرام» القسم الثاني ، ص ٣٩٧ ، و ٣٩٨ ، بالباب ١١٧ ، الحديث الأوّل.

٣ـ «نظم درد السمطين» ص ٩٣ ؛ و «الغدير» ج ١ ، ص ٢٤٢ و ٢٤٣ عن الكتاب نفسه، وعن كتاب «معارج الوصول» للزرنديّ.

٤ـ «الفصول المهمّة» ص ٢٦ ، الطبعة الحجريّة ، وفي طبعة حديثة في النجف، ص ٢٤.

٥ـ «السيرة الحلبيّة» ج ٣ ، ص ٣٠٨ و ٣٠٩ ، عن طبعة مطبعة محمّد علي صبيح، مصر، سنة ١٣٥٣ هـ.

وقال أبو السعود في تفسيره ، في شأن نزول الآية الكريمة : سَأَلَ سَآئِلٌ : أي استدعاه وطلبه ، وهو النضر بن الحارث حيث قال إنكاراً واستهزاءً : **إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيم**.

وقيل : أبو جهل حيث قال : **أَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ ٱلسَّمَآءِ**.[1]

وقيل : الحَرْث بن النُّعمان الفهريّ . (وقصّته) أنّه لمّا بلغه قول رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم في عليّ رضي الله عنه : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**. قال : اللهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً ، فأمطر علينا حجارة من السماء !

فما لبث حتّى رماه الله تعالى بحجر ، فوقع على دماغه ، فخرج من أسفله ، فهلك من ساعته .[2]

وقال القرطبيّ في تفسيره ، في ذيل هذه الآية : إنّ السائل هو **النَّضْرُ بْنُ الحَارِث** الذي قال : **ٱللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِن عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيم**.

فنزل سؤاله ، وقُتل يوم بدر صبراً ، **هُو وعقبة بن أبي مُعَيْط** ، لم يقتل صبراً غيرهما . وهذا قول ابن عبّاس ، ومجاهد .

وقيل : إن السائل هو الحارث بن النعمان الفَهريّ ، وذلك أنّه لمّا بلغه

١ـ الآية ١٨٧ ، من السورة ٢٦ : الشعراء . **فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ**.

٢ـ تفسير «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» المشهور بـ«تفسير أبي السعود»، من إصدارات مكتبة الرياض الحديثة ، ج ٥ ، ص ٣٨٨ . وطبع أيضاً في هامش «تفسير الفخر الرازيّ»، ج ٨ ، ص ٢٩٢ . وأبو السعود قاضي القضاة، وهو نجل محمّد العماديّ الحنبليّ ، ولد سنة ٩٠٠ هـ، وتوفّى سنة ٩٨٢ هـ.

قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في عليّ [ابن أبي طالب] رضى الله عنه . **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**. ركب ناقته ، فجاء حتّى أناخ راحلته بالأبطح ، ثمّ قال : **يا محمّد!** إلى آخر اعتراض من الاعتراضات التي طرحها .[1]

وعندما نقل العلّامة الأمينيّ اسم المعترض على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام عن تفسير القرطبيّ ، فإنّه ذكر أنّه النضر بن الحارث . ثمّ قال في التعليقة : هذا النضر هو النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد مناف الكلدريّ . وفي الحديث تصحيف ، إذا النضر أُخِذَ أسيراً يوم بدر الكبرى ، وكان شديد العداوة لرسول الله صلّى الله عليه وآله فأمر بقتله ، فقتله أمير المؤمنين عليه السلام صبراً ، كما جاء في «سيرة ابن هشام» ج ٢ ، ص ٢٨٦ ، و «تاريخ الطبريّ» ج ٢ ، ص ٢٨٦ ، و «تاريخ اليعقوبيّ» ج ٢ ، ص ٣٤ ، وغيرها .[2]

ويبدو ممّا نقلناه عن تفسير القرطبيّ أنّ الحديث ليس فيه تصحيف ، لأنّ القرطبيّ قال : إنّ السائل هو النضر بن الحارث ، وقد قُتِل يوم بدر . ثمّ قال : وقيل : هو الحارث بن النعمان الفَهْريّ الذي اعترض على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام . فعلى هذا لا فرق بين كلام القرطبيّ ، وسائر المفسّرين .

فمضافاً إلى ما ذكرناه هنا عن أعيان العامّة حول نزول آية المعارج في منكر الولاية ، نقل العلّامة الأمينيّ عن كثير من أعيانهم الآخرين أيضاً

١ـ تفسير «الجامع لأحكام القرآن» ، لأبي عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ ج ١٨ ، ص ٢٧٨ ، طبعة دار الكتاب العربيّ . القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ.

٢ـ «الغدير» ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

كالحافظ أبي عبيد الهرويّ في «**تفسير غريب القرآن**» ، وأبي النقّاش الموصليّ في تفسير «**شفاء الصدور**» ، والحاكم الحسكانيّ في كتاب «**دعاة الهداة إلى حقّ الموالاة**» ، وشهاب الدين أحمد دولت آباديّ في كتاب «**هداية السعداء**» ، والسيّد نور الدين الحسنيّ السمهوديّ الشافعيّ في كتاب «**جواهر النقدين**» ، وشمس الدين الشربينيّ القادريّ الشافعيّ في تفسير «**السراج المنير**» ، والسيّد جمال الدين الشيرازيّ في كتاب «**الأربعين في مناقب أمير المؤمنين**» ، والسيّد ابن عيدروس الحسينيّ اليمنيّ في كتاب «**العقد النبويّ والسرّ المصطفويّ**» ، والشيخ أحمد بن باكثير المكّيّ الشافعيّ في كتاب «**وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل**» والشيخ عبد الرحمن الصفوريّ في كتاب «**النزهة**» ، والسيّد محمود بن محمّد القادريّ المدنيّ في كتاب «**الصراط السويّ في مناقب النبيّ**» ، وشمس الدين الحفنيّ الشافعيّ في «**شرح الجامع الصغير للسيوطيّ**» ، والشيخ محمّد صدر العالم في كتاب «**معارج العُلى في مناقب المرتضى**» ، والشيخ محمّد محبوب العالم في «**تفسير شاهي**» ، والشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظيّ الشافعيّ في «**ذخيرة المآل في شرح عقد جواهر اللآل**» ، والسيّد محمّد بن إسماعيل اليمانيّ في «**الروضة النديّة في شرح التحفة العلويّة**» ، والسيّد مؤمن الشبلنجيّ الشافعيّ في «**نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار**» ، والشيخ محمّد عبده المصريّ في «**تفسير المنار**» . بصورة عامّة ، نقل العلّامة الأمينيّ عن ثلاثين كتاباً .[1]

وروى السيّد هاشم البحرانيّ في «غاية المرام» حديثين عن طريق العامّة ، وستّة أحاديث عن طريق الخاصّة في شأن نزول الآية : سَأَلَ

١ـ «الغدير» ج ١ ، ص ٢٣٩ إلى ٢٤٦ .

سَآئِلٌ .[١]

وأورده العلّامة المجلسيّ في «بحار الأنوار» عن ثلاثة طرق : الأوّل : عن الحاكم الحسكانيّ في كتاب «**دعاة الهداة إلى حقّ الموالاة**» . الثاني : عن **الثعلبيّ في تفسيره** . الثالث : عن صاحب كتاب «**النَّشْر والطَّيّ**» .[٢]

لقد تحرّينا عن هذا الموضوع ، فلم نجد أحداً من علماء المسلمين أنكر القصّة التي نزلت فيها الآية : **سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** ، إلّا ابن تيميّة الحرّانيّ ، ذلك الرجل البغيض ، والفظّ ، والمنكر ، والسيّء الطبع ، والبذيء اللسان ، والأعمى بصيرة ، والكريه المتجهّم ، الذي تجنّد وتحزّم لإنكار كلّ مأثور في فضائل ومناقب سيّد الأولياء أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ودحضه وتضعيفه وعدّه شاذّاً . وإنّما ينكر الضياء في يوم مشمس مشرق ، ويكابر في إثبات عدم وجود الشمس ، وانغمار العالم في الحنادس المظلمة .

ينكر ابن تيميّة الأحاديث المسلّمة المستفيضة بوقاحة تامّة ، وبلا تحفّظ يذكر ، غير آبهٍ بعلماء الإسلام ، والمؤرّخين ، وأرباب الحديث ، والسير ، والتفسير . إذ إنّ تلك الأحاديث لا تلائم مذهبه . ويتقوّل ويتخرّص بصراحة ويسمّي الشيعة رافضة ، وملاحدة ، وزنادقة ، وكذّابين ، وفجرة ، وأهل باطل ، ومجوساً ، ويهوداً ، ويفتري عليهم في كلّ صفحةٍ من كتابه مرّات ومرّات ، ويتّهمهم بشتّى التهم ، ويأتي بآيات من القرآن أدلّة على ما يزعمه ويدّعيه .

ومَثَلُه كمثل الحجّاج بن يوسف الثقفيّ الذي كان حافظاً للقرآن ،

١ـ «غاية المرام» القسم الثاني ، الباب ١١٧ و ١١٨ ، ص ٣٩٧ و ٣٩٨.

٢ـ «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٢٠٦ ، طبعة الكمبانيّ .

وكان يستدلّ به ، ويفسّره وفقاً لهواه وهدفه ، ويُحضِرُ شيعة أمير المؤمنين عليه السلام من الأطراف والأكناف ، ويحاجّهم بالقرآن زاعماً أنّه هو وأمثاله أولو الأمر الذين عناهم القرآن بقوله : **أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ** وتسوّل له نفسه فيسفك دماء تلك النجوم المتألّقة وأُولئك الكرام البررة بسيفه البتّار الذي يقطر دماً ، ويصنع تلالاً من أشلاء شهداء الشيعة . وقيل : إنّه قتل سبعين ألفاً منهم أو أكثر من ذلك .

وكان ابن تيميّة معاصراً للعالم الجليل ، والفقيه النبيل ، أفضل المتقدّمين والمتأخّرين ، العالم ، والمتكلّم ، والحكيم ، والمفسّر ، والمحدّث ، والفقيه ، وحامي الدين ومذهب التشيّع ، العلّامة الحليّ : الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهّر الحلّيّ ، المولود لأحد عشر يوماً خلون أو بقين من شهر رمضان سنة ٦٤٨ هـ ،[1] والمتوفّى ليلة السبت وهي الليلة الحادية والعشرون من شهر محرّم الحرام سنة ٧٢٦ هـ .[2] أي : ولد بعد ولادة العلّامة بثلاث عشرة سنة ، ومات بعده بعامين .

كان ابن تيميّة مخالفاً للعلوم العقليّة كالفلسفة والحكمة ، وكذلك كان مناوئاً لأرباب الشهود والوجدان والعرفان والحقيقة . وهاجم هاتين الطائفتين في مواضع متكرّرة من كتابه .

أي : أنّه امرؤ ليس له حظّ من العلوم العقليّة وجولان الفكر ، كما ليس له خلاق من العلوم الباطنيّة والسرّيّة والقلبيّة . فلهذا تشبّث بظواهر من

١ـ جاء في «روضات الجنّات» نقلاً عن خطّ العلّامة نفسه أنّ ولادته كانت في التاسع والعشرين من شهر رمضان.

٢ـ كانت وفاة العلّامة بمدينة الحلّة ، وقد نقل نعشه إلى النجف الأشرف، ودفن إلى جوار أمير المؤمنين. «روضات الجنّات» ج ٢ ، ص ٢٨٢ ، الطبعة الحديثة.

الكتاب والسنّة واقتنع بها من غير أن يدرك محتواها . وهو كالخوارج المتعنّتين الفارغين ، جعل نظرته إلى العالم ، والخلق ، والدنيا ، والآخرة ، والخالق ، والشيطان ، والسعادة ، والشقاء على أساس فكره الخياليّ المزيّف ، وأجرى حكمه وفقاً لذلك .

إنّه ألّف كتابه «**مِنْهَاج السُّنَّة في نَقْضِ كَلَام الشِّيعَةِ وَالقَدَريّة**» ردّاً على كتاب العلّامة الحلّيّ «**مِنْهَاج الكَرَامَة فِي مَعْرِفَةِ الإمَامَة**».

وألّف العلّامة كتابه «منهاج الكرامة» للسلطان محمّد خدابنده (الجاتيو) في الاستدلال على إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأفضليّته على جميع الخلائق بعد رسول الله . وذكر فيه مطالب من آيات القرآن والأحاديث الثابتة عند أهل السنّة التي لا مجال للارتياب فيها .

وعلم السلطان المذكور أنّ الحقّ مع الشيعة ، وأنّ المذهب المستقيم الصحيح في مدرسة التشيّع ، وذلك في أعقاب مناظرة العلّامة الحلّيّ مع فقهاء كبار من المذاهب الأربعة (الحنفيّ والحنبليّ ، والشافعيّ ، والمالكيّ) سنة ٧٠٧ هـ . وقد أدانهم العلّامة وأفحمهم ، فترك السلطان مذهبه القديم ، وتشيّع وكتب إلى جميع الحواضر والأمصار بحذف أسماء الخلفاء الثلاثة من الخطب ، وذِكْرِ **عليّ بن أبي طالب** والأئمّة الأحد عشر مكانهم ،[1] ونَقْش

١ـ قال في «مجالس المؤمنين» ، المجلس الثامن في معرض ترجمة السلطان خدابنده، ص ٤٠٣: ومضى الحكم بأن يخطب الخطباء في جميع مناطق إيران، ويحذفوا أسماء الصحابة الثلاثة، ويقتصروا على أمير المؤمنين عليّ ، والحسن، والحسين عليهم السلام. وغيّروا السكّة سنة ٧٠٩ هـ، واختصروا أسماء الصحابة باسم أميرالمؤمنين عليّ ، وأظهروا **حيّ على خير العمل** في الأذان ، وذاع هذا الأمر وانتشر في كافّة المناطق الخاضعة لحكم السلطان الجاتيو إلّا قزوين . وازدهر المذهب الشيعيّ المهجور وانتشر في كافّة الأرجاء.

أسماء أُولئك العظام ـ وهم الأئمّة الأبرار وفقهاء أهل البيت ـ في المساجد والتكايا ، والإعلان عن رسميّة المذهب الشيعيّ . وتمّ تطبيق هذا الحكم ، فكتبت النقوش ، وأُلقيت الخطب ، ونقشت أسماء الأئمّة على السكك تلبية لأوامر السلطان المشار إليه . فلهذا ضربت الدراهم والدنانير التي يتداولها الناس بأسماء أُولئك الولاة العظام .[١]

ونقشت أسماء الأئمّة الاثني عشر حتّى في المسجد الجامع بإصفهان في قسم من زاوية الرواق المعروف برواق محمّد خدابنده ، في ثلاثة مواضع من المسجد أحدها المحراب . وتمّ هذا النقش بأحسن خطّ ، وأجمل تزويق ، وأمتن تجصيص ، بحيث إنّه لا زال ماثلاً إلى اليوم بعد مضي سبعة قرون عليه . وقد لفت أنظار الأخصّائيّين ، وذوي الألباب ، والباحثين عن الحقّ والحقيقة .[٢]

كان العلّامة الحلّيّ من نوادر الدهر المرموقة ، وقدكتب اسمه على صفحة التحقيق والتدقيق إلى الأبد . وهو محيط من العلم ، وبحر لا حدّ له من المعرفة والتحقيق حتّى أنّ فقهاء الشيعة منذ ذلك الزمان إلى يومنا هذا محتاجون إلى كتبه الفقهيّة مثل «**التذكرة**» ، و «**التحرير**» ، و «**المختلف**» ،

١ـ وقال في ص ٤٠٢ : وتزيّنت الخطب والسكك بأسماء أئمّة الهدى عليهم السلام. كما نقشوا على وجه الدينار الكلمة الطيّبة : **لَا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله ، عليّ وليّ الله** في ثلاثة أسطر متوازية وكتبوا أسماء الأئمّة الاثني عشر صلوات الله عليهم على الترتيب الواقع حول دائرة مخمّسة الأضلاع.

٢ـ وكذا في معبد پير مكران لِنجان ، ومعبد الشيخ نور الدين النطنزيّ من العرفاء وكذا على منارة دار السيادة التي تمّمها السلطان محمّد خدابنده من بعد ما أحدثها أخوه غازان. فقد نقشت الأسماء المقدّسة للأئمّة الطاهرين على هذه كلّها. «روضات الجنّات» ج ٢ ، ص ٢٨٠ و ٢٨١ ، الطبعة الحديثة.

و «**المنتهى**» ، و «**القواعد**» ، و «**التبصرة**» .

وألّف في العلوم العقليّة والكلام كتباً هي : «**كَشْفُ المُرادِ في شَرْحِ تَجْرِيدِ الاعْتِقادِ**» ، و «**أنْوَارُ المَلَكُوتِ في شَرْحِ فَصِّ اليَاقُوتِ**» في الكلام ، و «**نِهَايَةُ المَرَامِ في عِلْمِ الكَلَامِ**» ، و «**القَوَاعِدُ وَالمقاصِدُ**» في المَنْطِقِ وَالطبيعيّ وَالإلَهيّ ، و «**الأَسْرَارُ الحَقِّيَّة في العُلُومِ العَقْلِيَّة**» ، و «**الدُّرُّ المَكْنُونُ في عِلْمِ القَانُونِ**» في المنطق ، و «**المُبَاحِثَاتُ السَّنِيَّةُ وَالمُعَارِضَاتُ النَّصيريَّةُ**» ، و «**المُقاوِمَات**» الذي ناقش فيه الحكماء السابقين ، و «**حَلُّ المُشْكِلَاتِ مِنْ كِتَابِ التَّلْوِيحاتِ**» ، و «**إيضَاحُ التَّلْبيس في كَلَامِ الرئيس**» ، الذي ناقش فيه ابن سينا ، و «**القَواعِدُ الجَلِيَّةُ في شَرْحِ الرِّسالَةِ الشَّمْسِيَّة**» ، و «**الجَوْهَرُ النَّضِيدُ في شَرحِ التَّجْرِيد**» في علم المنطق ، و «**إيضَاحُ المَقاصِدِ مِنْ حِكْمَةِ عَيْنِ القَوَاعِدِ**» ، و «**نَهْجُ العِرْفَانِ في عِلْمِ المِيزانِ**» ، و «**كَشْفُ الخِفَاء مِنْ كِتَابِ الشِّفَاء**» في الحِكْمَةِ ، و «**تَسْلِيكُ النَّفْسِ إلَى حَظيرَةِ القُدْسِ**» في عِلْمِ الكَلَامِ ، و «**مَرَاصِدُ التدقِيقِ وَمَقَاصِدُ التَّحْقِيق**» في المَنْطِقِ وَالطَّبِيعِيّ وَالإلَهيّ ، و «**المُحاكِمَاتُ بَيْنَ شُرَّاحِ الإشَارَاتِ**» ، و «**مِنْهَاجُ الهِدَايَةِ وَمِعْرَاجُ الدِّرَايَةِ**» في علم الكلام ، و «**اسْتِقْصَاءُ النَّظَر في القَضَاءِ وَالقَدَر**» .

وألّف العلّامة في أُصول المذهب ـ مضافاً إلى كتاب «منهاج الكرامة» ـ كتباً أُخرى مثل : «**مَنَاهِجِ اليقين**» ، و «**نهج الحقّ**» الذي ردّ عليه فَضْل بن رُوزبَهان ، و «**نهج المسترشدين**» ، و «**رسالة واجب الاعتقاد**» ، و «**كشف الحقّ ونهج الصدق**» ، الذي يدور حول مناظرة العلّامة مع علماء المذاهب الأربعة بحضور السلطان خدابنده . وأشار القاضي السيّد نور الله الشوشتريّ في بداية كتابه : «**إحقاق الحقّ**» إلى قسم من هذه المناظرة وذكر سبب تغلّب العلّامة على فقهاء المخالفين بالأدلّة الباهرة والبراهين

الساطعة ، إذ أدانهم عند السلطان حتّى أقرّوا بعجزهم وخُذلوا جميعاً .

وفي كتاب «**مجالس المؤمنين**» للشهيد القاضي نور الله أعلى الله تعالى مقامه نقلاً عن تاريخ **حَافِظ أبْرو** السنيّ المتعصِّب ، وغيره أنّ السلطان الجاتيو محمّد المغوليّ الملقّب بشاه خدابنده لمّا ذكر في خاطره حقّانيّة مذهب الإماميّة على الإجمال ، أمر بإحضار علمائهم ، وكان ممّن حضر لديه العلّامة الحلّيّ في جماعة من علماء الشيعة ، فصدر الأمر الأقدس بقيام **الشيخ نظام الدين عبد الملك المراغيّ** الذي كان هو أفضل علماء الشافعيّة بالمناظرة مع العلّامة الحلّيّ في أمر الإمامة .

فاتّفق أن غلب العلّامة عليه بإقامة البراهين القاطعة على إثبات خلافة عليّ بن أبي طالب ، وفساد دعوى الخلفاء الثلاثة ، بحيث لم يبق لأحد من الحاضرين شبهة فيه .[1] ولمّا رأى الشيخ نظام الدين المراغيّ بهتان نفسه

١ـ قال القاضي نور الله الشوشتريّ في كتاب «مجالس المؤمنين» ، في المجلس الخامس، ص ٢٤٦ بعد نقل هذه القصّة وقصّة السيّد الموصليّ الذياعترض على العلّامة فيما يخصّ الصلوات على آل محمّد، وبهته العلّامة بجوابه البِكر والبديع بداهةً: قال المؤلّف: إنّ من بدائع الاتّفاق أنّي ناظرت يوماً أحد السادة السيفيّين القزوينيّن في مبحث الإمامة. وبعد أن ثبتت حجّتي عليه ، عجز وقال : لو كان مذهب الإماميّة على حقٍّ في موضوع الإمامة ، فلماذا لم يناظر كثير من علمائه علماءَ أهل السُّنّة في هذه المدّة؟ ولم يُحقّوهم بحقيقة مذهبهم؟ ولم يصرفوهم عن مذهب السلف؟ فقلتُ: إنّ أهل السنّة هم السواد الأعظم دائماً، وإنّ السلاطين كانوا يرون مصلحتهم في الاقتداء بمذهبهم، وكانوا يجهدون في إطفاء نور التشيّع . ولا جرم أنّ هذه الطائفة لم تستطع أن تظهر مذهبها. وعلى الرغم من هذا، فإنّ أفرادها متى حصلوا على أقلّ دعمٍ ومددٍ من سلاطين عصرهم، فإنّهم يفتحون باب المناظرة، وقد طووا في هذا الباب طريق إلزام الخصوم وإفحامهم. كما حدث ذلك في عصر البويهيّين إذ ناظر الشيخ المفيد والشريف المرتضى علم الهدى وغيرهما من علماء الإماميّة معاصريهم من علماء السنّة ، وألزموهم وهزموهم. وناظر الشيخ ⇦

وخجلها وانكسارها ، أخذ في الثناء على العلّامة ، وبيان محاسنه ومحامده ، وقال :

قوّة أدلّة هذا الشيخ (العلّامة) في غاية الظهور ، إلّا أنّ السلف منّا سلكوا طريقاً ، وسكت الخلف عن زلل أقدامهم لإلجام العوامّ ، ودفع شقّ عصا أهل الإسلام . فحريّ أن لا تهتك أسرارهم ، ولا يُتَظاهَر في اللعن عليهم .

قال **حافظ أبْرُو** بعد هذا الكلام : جرت بعد ذلك مناظرات كثيرة بين العلّامة الحلّيّ والشيخ نظام الدين المراغيّ ، وكان نظام يلتزم باحترامه العلّامة فيها جميعاً ، ويسعى في تعظيم حرمته كثيراً [١] ـ انتهى .

وهذه منقبة للعلّامة يقيناً إذ له منّة على مذهب التشيّع ، وأنّها عناية عظيمة للشيعة وأهل الحقّ . ولا ينكر ذلك أحد من المخالفين والمؤالفين حتّى أنّي رأيت في بعض تواريخ العامّة أنّ أصحابها سردوا القصّة بالنحو

⇦ جمال الدين علماء السنّة في عهد السلطان محمّد خدابنده ، وألزمهم بحجّته إلزاماً تامّاً. ولمّا كان ذلك القزوينيّ المعاند يزعم أنّه سيّد ، وكان من حزب السنّة كالسيّد الموصليّ ، لذا رأيتُ من المناسب نقل المناظرة المذكورة التي جرت بين الشيخ والسيّد الموصليّ. ولمّا بلغت قولي إنّ الشيخ خاطب السيّد الموصليّ قائلاً: أيّ مصيبة أسوأ من انتساب ولد مثلك إليهم، وكنتُ أُشير بأنملتي في أثناء التقرير إلى ذلك القزوينيّ غير السيّد. وأعتبر مناظرته معي كمناظرة السيّد الموصليّ مع الشيخ جمال الدين ، وذلك من ملاحظة تلك الإشارة، واشتراكه مع السيّد الموصليّ في دعوى السيادة وإظهار مذهب أهل السنّة، وخجل ووضع يده على صدره، وقال: الحقّ أنّك آذيتنا بظرافة وبراعة.

علماً أنّه بسبق أن نقلنا قصّة السيّد الموصليّ مع العلّامة في الجزء الثالث من كتابنا هذا، في الدرس التاسع والثلاثين.

١ـ «مجالس المؤمنين»ص ٢٤٥ و ٢٤٦ ، المجلس الخامس في ترجمة العلّامة الحلّيّ .

الآتي :

من الوقائع المرّة سنة ٧٠٧ هـ إظهار خدا بنده التشيّع بإضلال **ابن المُطَهَّر الحلّيّ**.

ومن الواضح أنّ هذا الكلام نابع من قلب محروق لا مجال عنده لإنكاره .[١]

وأخذ العلّامة بعد ذلك بتشييد أساس الحق ، وترويج المذهب على حسب ما يريد بمعونة هذا السلطان الواعي والمستبصر الرؤوف المحبّ للعلم . وكتب باسمه كتاب «**مِنْهَاج الكَرَامة**» في الإمامة ، وكتاب «**اليقين**» المتقدّم . وبلغ من المنزلة والقرب لدى السلطان بما لا مزيد عليه . وفاق في ذلك سائر علماء حضرة السلطان مثل : **القاضيّ ناصر الدين البيضاويّ ، والقاضي عضد الدين الإيجيّ ، ومحمّد بن محمود الآمليّ** صاحب كتاب «**نفائس الفنون**» و «**شرح المختصر**» وغيرهما ، و «**الشيخ نظام الدين عبد اللمك المراغيّ ، المولى بدر الدين الشوشتريّ ، والمولى عزّ الدين الإيجيّ ، والسيّد برهان الدين العبريّ** ، وغيرهم . وجميعهم كانوا خاضعين

١ـ وردت القصّة المفصّلة لتشيّع السلطان محمّد خدابنده على يد العلّامة الحلّيّ أعلى الله مقامه في الجزء الثالث من «مستدرك الوسائل» ص ٤٦٠ ، وفي الجزء الثاني من «سفية البحار» ص ٧٣٤ في مادّة شَيَع . ونحن ذكرناها أيضاً بحمدالله ومنّه في الجزء الثالث من كتابنا هذا، في الدرس الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين. وذكر الشيخ محمّد نبي التويسركانيّ في أواخر كتاب «لئالئ الأخبار» من ص ٦٥١ إلى ص ٦٥٦ مطالب حول تشيّع خدابنده، وبطلان المذاهب الأربعة والفتاوى الخاطئة والموحشة لرؤساء المذاهب الأربعة، والفسق والفجور الشائعين في العامّة وجاء هذا الموضوع في موضعين من كتاب «مجالس المؤمنين»: الأوّل: في المجلس الخامس عند ترجمة العلّامة من ص ٢٤٥ إلى ٢٤٨. والثاني: في المجلس الثامن عند ترجمة السلطان محمّد خدابنده ، من ص ٤٠٢ إلى ٤٠٥ .

لهيمنة العلّامة ونظره .

وكان العلّامة في القرب والمنزلة عند السلطان بحيث كان لا يرضى أن يفارقه في حضر ولا سفر ، وذلك حرصاً منه على حفظ أفكاره في الاستقامة على طريق الحقّ ، وعدم تشويش ذهنه بالوساوس الشيطانيّة للمخالفين والمنحرفين . وأنّى ظهرت وسوسة من ملحد ، فإنّه يجيب بعلمه وحكمته . لذلك أمر السلطان لجنابه بترتيب مدرسة سيّارة ذات حجرات للطلّاب ، ومدارس من الخيام الكرباسيّة للتدريس . وأينما كان يذهب خدابنده مع جيشه أو بدونه ،كانت هذه المدرسة السيّارة للعلّامة ترافقه . وإذا ما وقف السلطان في مكان ، ونزل في منزل ، فإنّ هذه المدرسة الكرباسيّة تنصب فوراً ، ويشرع الطلّاب والمدرّسون في المطالعة والتأليف والتصنيف مع ذلك العالم الجليل .

ونقل أنّه وجدت في أواخر بعض الكتب للعلّامة هذه الجملة : وقع الفراغ من هذا الكتاب في المدرسة السيّارة السلطانيّة في كرمانشاهان .

وإنّ تأسيس هذه المدرسة المهمّة من قبل خدابنده غير بعيد ، إذ جاء في كتب التأريخ أنّه كان يحبّ العلم ، ويحبّ العلماء حبّاً شديداً ، ويعتني بالعلماء والصلحاء ، فلهذا حصل للعلم والفضل في زمانه ازدهار تامّ ، ورواج كثير . ومن العجيب أنّ وفاة العلّامة اتّفقت في سنة وفاة السلطان المذكور .[1]

درس العلّامة علم الكلام والفقه والأُصول والعربيّة وسائر العلوم الشرعيّة عند خاله المحقّق نجم الدين أبي القاسم صاحب الشرائع ، وعند أبيه الشيخ سديد الدين يوسف ، ودرس المطالب العقليّة والفلسفة

١ـ إنّ ما ذكرناه عن العلّامة الحلّيّ هنا مقتطف من مطالب «روضات الجنّات» ج ٢ ، ص ٢٦٩ إلى ٢٨٦ ، الطبعة الحديثة.

والحكمة عند أُستاذ البشر والعقل الثاني عشر : الخواجة نصير الدين الطوسيّ ، والشيخ عمر الكاتبيّ القزوينيّ ، وغير هؤلاء سواء كانوا من الخاصّة أو العامّة . واستفاد علميّاً من الأخوين العظيمين عليّ بن طاووس ، وأحمد بن طاووس أيضاً .[١]

أجل ، لمّا شاع ذكر العلّامة وعلومه ومقامه وتقدّم مدرسته العلميّة والمذهبيّة في الآفاق ، افتضح المخالفون في الأطراف والأكناف وخذلوا ، وكانوا يستنسخون كتبه في نسخ متعدّدة ، ويدرّسونها الناس في المجالس والمحافل ، ومن هذه الكتب : «منهاج الكرامة» الذي وقع بيد ابن تيميّة وعلى الرغم ممّا يكنّه هذا الرجل من حقد وحسد في قلبه بسبب بغض الخلفاء وفقدان منزلتهم في قلوب الناس . وبسبب علوّ شأن أهل البيت والأئمّة الطاهرين ورفع أسمائهم . فإنّه ألّف كتاب «منهاج السُّنَّة» في ردّ مذهب أهل البيت . ومعلوم أنّ كتاباً يكتب في دحض مذهب الحقّ ، كيف يكون ، وما هو الطابع الذي يتّسم به . **فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ فَأَنَّىٰ**

١ـ جاء في حاشية «روضات الجنّات» ج ٢ ، ص ٢٨٧ عن القاضي ناصرالدين البيضاويّ أنّه كتب إلى العلّامة رسالة صدّرها بقوله : يا مولانا جمال‌الدين أدام‌الله فواضلك أنت إمام المجتهدين في علم الأُصول ...إلخ. ونقل أحد سادتنا الأعزّاء عن فضيلة الشيخ محمّدتقي القمّيّ عضو دار التقريب، أنّه قال : أعطيت أحد العلماء من الطراز الأوّل في الجامع الأزهر كتابين أحدهما: «التذكرة» للعلّامة الحلّيّ ؛ والآخر: «الخلاف» للشيخ الطوسيّ : إذ كان يرغب في الاطّلاع على أقوال الشيعة وفتاواهم ، ومواطن خلافهم مع السنّة. ولمّا طالعهما، أولع بهما، وراقه تمكّن هذين العالمين العظيمين ، وتفوّق آرائهما على آراء العامّة في كلّ مسألة، حتّى قال : أستطيع أن أجد أقوال علماء العامّة كمالك، والشافعيّ، وأبي حنيفة، وأحمدبن حنبل، وسفيان الثوريّ ، وغيرهم في هذين الكتابين أفضل ممّا أجده في كتبنا، لذلك أشعر منذ أن طالعتهما أنّي كلّما أردت أن أقع على مسألة توافق قول أحد علمائنا، فإنّي أرجع إليهما، وأصدف عن مراجعة كتبنا.

تُصْرَفُونَ * كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوَا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.[١]

إنّه يعتبر الشيعة في كتابه من أتباع اليهود.[٢] وخصّص الصفحات الثلاث الأُولى من كتابه تقريباً لقياس عقائد الشيعة بعقائد اليهود. ولم يتورّع عن ذلك، ولم يتوان لحظة واحدة عن الافتراء عليهم وإلصاق التهم بهم، ولم يرعوِ عن السبّ والشتم والتفوّه بالكلمات البذيئة.

ثمّ يذكر العلّامة باسم الرافضيّ. وينقل عباراته وجمله من «منهاج الكرامة» واحدة تلو الأُخرى، ويدحضها قائلاً: كذب. وبلغت به وقاحتة حدّاً أنّه ينكر بيعة الغدير بصراحة ويقول: اختلقها الروافض. وهنا ينبغي أن نقول له أيّها الحَسُودُ العَنُود!

ايــن جــهان پــر آفتاب و نــور و مــاه
تــو بــخفته ســر فــرو بــرده بــه چــاه
كــه اگــر حــقّ است پس كــو روشــنى
ســر بــر آر از چــاه و بــنگر أى دَنِــىّ[٣]

١ـ الآيتان ٣٢ و ٣٣، من السورة ١٠: يونس.

٢ـ عن كتاب «التذكرة» للشيخ نور الدين عليّ بن عراق المصريّ أنّ تَقيّ الدين بن تيميّة الذي كان من جملة علماء السنّة معاصراً للشيخ جمال الدين العلّامة الحلّيّ، ومنكراً عليه في الخفاء كثيراً، كتب إليه العلّامة هذين البيتين:

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ كُلَّ مَا عَلِمَ الوَرَى طُرَّاً لَصِرْتَ صَدِيقَ كُلِّ العَالَمِ
لَكِنْ جَهِلْتَ فَقُلْتَ: إنَّ جَمِيعَ مَنْ يَهْوَى خِلَافَ هَوَاكَ لَيْسَ بِعَالِمِ

(«روضات الجنّات» ج ٢، ص ٢٨٦).

٣ـ تعريبهما: «هذا العالم مليء بضياء الشمس ونور القمر وأنت في سباتٍ قد قبعت في الحفرة.

وتقول إذا كانت الشمس والقمر حقّاً فأين الضياء؟ أخرج رأسك من الحفرة وانظر أيّها الدنيء».

جمله عالم شرق وغير آن نور يافت

تا تو در چاهى نخواهد بر تو تافت[1]

ويستشهد بالقرآن وأحاديثه التى لا سند لها ولا دلالة على مراده ، ويكتفي بقوله : لمّا كان السلف الصالح : الخلفاء الثلاثة مع رسول الله ، وأعطوا من أموالهم ، فلا يحقّ لنا أن نعترض عليهم أبداً . وهم كلّهم صلحاء وعدول ، وهم سادة هذه الأُمّة .

إنّ نتيجة تكذيب الحقّ والحقيقة ، والدوس على المسلّمات والضروريّات على أساس التعصّب الجاهليّ والحميّة الجاهليّة ، تكذيب للّه ولرسوله وولايته . وهنا تدّل الآيات المباركة الآتية على معناها جيّداً :

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا * ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَٱتَّخَذُوٓا ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا.[2]

إنّ عقائد الوهّابيّة الذين يتمسّكون بالمذهب الحنبليّ مأخوذة من ابن تيميّة ، وإنّ جميع البدع التي تشاهدونها هذا اليوم من جمود وتعنّت ، وقسوة ، وعدم مروءة ، وعدم امتلاك العقل الصحيح ، والمنطق التامّ ، كلّها من مدرسة ابن تيميّة .

إنّكم لا تستطيعون أن تناقشوا وهّابيّاً ! لأنّه لا يدع مجالاً للنقاش . وما إن يتفوّه بشيء إلّا ويكفّر ويلصق تهمة الشرك بمن هو بريء منها ،

١ـ تعريبه : «لقد وجد العالم شرقه وغربه ذلك النور ، وأنت في الحفرة فلن يشعّ عليك».

٢ـ الآيات ١٠٣ إلى ١٠٦ ، من السورة ١٨ : الكهف .

ويقول : أنتم لستم مسلمين أساساً ! أسلموا ، حتّى نناقشكم ، وبهذا الأُسلوب حجبوا أذهان عوامّهم وألجموهم . يقولون : الإسلام هو الوهّابيّة فحسب . كونوا وهّابيّن ، ثمّ نناقشكم ! انظروا وتأمّلوا !كيف يصادرون الحقائق ، ويعتبرون الدَّوْرَ الذي حو من المستحيلات ممكناً . أي : أنّ المنطق والنقاش والبحث ،كلّ ذلك خطأ . ولا وجود إلّا للسوط . أُفٍّ لَكم !!

يقولون : لماذا تسجدون على التربة ؟ لماذا تقنتون في صلاتكم ؟! لماذا تقولون : **حيّ على خير العمل** في صلاتكم ؟! ونحن نقول : لماذا لا تسجدون أنتم على التربة ؟ ولماذا لا تقنتون ؟! ولماذا لا تقولون : **حيّ على خير العمل** ؟!

هذه مسائل فقهيَّة ، وكلّ شخص تابع لكلّيّات مذهبه وأُصوله ، فلماذا تجعلون النزاع بيننا في هذه الأُمور ؟ والخلاف قائم بين الفقهاء في المسائل الفقهيّة دائماً . وهو موجود بكثرة بين المذاهب السنّيّة الأربعة أيضاً . ونحن لا نقاش لنا في هذه الأُمور مبدئيّاً . وبعد ثبوت المذهب ،كلّ امرئٍ يتبع الفقيه المتخّصص في مذهبه . وينبغي له طبيعيّاً أن ينتهج خطّه على أساس المبادئ المسلّمة الثابتة لذلك المذهب نفسه .

إنّ إشكالنا عليكم في الأُصول ! وفي أصل الولاية بالذات ! وفي غصب الخلفاء الثلاثة حقّ الخلافة من صاحبها الشرعيّ . ومخالفتهم نصَّ القرآن ، وإيذائهم رسولَ الله ، وإنكار الحقّ بعد عرفانه .

يقول الشيعة : نحن لا نستطيع أن نتغاضى عن النّص الصريح للقرآن ، ونهمل الأخبار الصحيحة المستفيضة التي ذكرها أهل السنّة أنفسهم في كتبهم . وهذا القرآن ، وهذه سنّة الرسول الأكرم يأمرانا أن نتبرّأ من أبي بكر ، وعمر ، وعثمان . وجعلهم القرآن هدفاً للعنة الله وعذابه المهين . فكيف نخالف القرآن ؟!

يقول الشيعة : إنّ علماءكم الكبار كالبخاريّ ، ومسلم ، وغيرهما رووا أنّ رسول الله لمّا مات ، أرسلت فاطمة إلى أبي بكر ، وطلبت إرثها ممّا ترك أبوها من فدك ، وما بقي من خمس خيبر ، فأبى أبو بكر أن يدفع إليها شيئاً **فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَجْداً شَدِيداً وَهَجَرَتْهُ وَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى مَاتَتْ وَهِيَ وَاجِدَةٌ عَلَيهِ.**[1]

١ـ «صحيح البخاريّ» ، طبعة المطبعة الأميريّة ، بولاق سنة ١٣١٢ هـ. روى بإسناده عن عروة بن الزبير، عن عائشة: **إنّ عائشة أخبرته أنّ فاطمة عليها السلام ابنَة رسول الله صلّى الله عليه وآله سألت أبا بكر الصِّدِّيق بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يُقْسم لها ميراثاً ممّا ترك رسول الله صلّى الله عليه وآله ممّا أفاء الله عليه . فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: لا نُورِّث ما تركناه صَدَقَة . فغضبت فاطمةُ بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله فهجرت أبا بكر. فلم تزل مهاجرة حتّى توفّيت.** ج ٤، ص ٧٩، باب فرض الخمس. وذكر البخاريّ أيضاً في هذه الطبعة ج ٥، ص ١٣٩، باب غزوة خيبر أنّ فاطمة طلبت إرثها **فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فَوَجَدَتْ فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلّمه حتّى توفّيت. وعاشت بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله ستّة أشهر. فلمّا توفّيت ، دفنها زوجها عليّ عليه السلام ولم يؤذِن بها أبا بكرٍ وصلّى عليها.**

ونقل البخاريّ أيضاً في هذه الطبعة ج ٧ ، ص ٣٧ في باب ذبّ الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: **فاطمة بَضْعَةٌ مِنّي يُريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها**. وقال ابن قتيبة الدينوريّ المتوفّى سنة ٢٧٠ هـ في كتاب «الإمامة والسياسة» ص ١٤ و ١٥، طبعة مطبعة الأُمّة بدرب شغلان ، سنة ١٣٢٨ هـ: **فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فإنّا قد آغضبناها! فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه، فأدخَلَهما عليها ، فلمّا قعدا عندها، حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها فلم تردّ عليهما السلام. فتكلّم أبو بكر.** وبعد اعتذاره عن عدم إرجاع فدكاً إلى فاطمة. فقالت: **أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به ؟! قالا: نعم! فقالت: أنشدكما الله، ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي. فمن أحبّ فاطمة ابنتي ، فقد أحبّني. ومن أرضى فاطمة، فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة، فقد أسخَطَني ؟! فقالا: نعم سمعناه من** ⇦

ومن جهة أُخرى ، فإنّ أئمّتكم في الحديث وأكابركم كالحميديّ صاحب «**الجمع بين الصحيحين**»و غيره ، يروون أنّ رسول الله قال : **فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذيني مَنْ آذاهَا.**

يأخذ الشيعة هذين الحديثين ، ويجعلونهما صغرى وكبرى الشكل الأوّل في القياس البرهانيّ ، ويقولون :

أَبُو بَكْرٍ آذَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَمَنْ آذَى فَاطِمَةَ آذَىَ رَسُولَ اللَهِ.

وَيُسْتَنْتَج منه أنّ أبا بكر آذى رسول الله .

ولمّا ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا.**[1]

فعلى هذا يكون مفاد الآية القرآنيّة كبرى قياس آخر قد استُنتِج صغراه كالآتي : **أَبُو بَكْرٍ آذَى رَسُولَ اللَهِ، وَمَنْ آذَى رَسُولَ اللَهِ لَعَنَهُ اللَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً مُهِيناً.**

على ضوء ذلك ، فإنّ أبا بكر مطرود من الرحمة ، مشمول بلعنة الله حسب ما نصّ عليه القرآن صريحاً .

ماذا يمكن للسنّة أن يقولوا في مقابل هذا البرهان ؟! إذ هو برهان . وليس خطابة أو شعراً أو مغالطة ، أو حتّى جدلاً . ومقدّماته من المسلّمات

⇦ **رسول الله صلّى الله عليه وآله قالت: فإنّي أُشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني. ولئن لقيت النَّبِيَّ لأشكونّكما إليه.** ونلحظ في هذا الحديث تصريحاً بأنّ أبابكر وعمر كليهما آذيا فاطمة وفاطمة تبرّأت منهما، ولم ترد عليهما السلام . أي: أنّها رأتهما خارجين عن الإسلام، إذ إنّ جواب سلام المسلم واجب شرعاً. وقالت لهما بصراحة: أنتما أسخطتماني. وأنا غيرراضية عنكما. ولئن رحلت عن هذه الدنيا، لأشكونّكما إلى رسول الله.

١ـ الآية ٥٧ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب .

واليقينيّات .

هل يتسنّى للسنّة أن يقولوا : لا نقبل القرآن الذي هو كبرى المسألة ! أو لا نقبل الصغرى الواردة في كتب معظمهم كالصحيحين ؟ إنّهم يقولون فقط : القرآن مسلَّم ثابت ، والأحاديث الصحيحة مسلَّمة ثابتة ، وهذه الأحاديث صحيحة أيضاً ، ولكن اتركوا انتقاء الصغرى ، ووضع الكبرى ، والاستنتاج ! هذا القياس والمنطق لا ينفعانكم شيئاً . والسَّلَف الصالح كلّهم عدول . ولا ينبغي مؤاخذتهم حفظاً للإسلام ! هذا هو منطق المناوئين ! وهذا هو منطق ابن تيميّة . إذ يقول هو وأمثاله : ينبغي أن ندوس على الفهم ، ونمحق العقل ، ونتّبع حكّام الجور اتّباعاً أعمى .

حسناً ! نحن نقول أيضاً : لا علاقة لنا بأعمالهم ، صالحة كانت أم سيئة ، فهي من شأنهم ، لقد جاؤوا وذهبوا ، ولكلّ واحد منهم كتاب عمله مستقلاً ، وعلى الله حسابهم ، فماذا يخصّنا نحن حتّى نكرّس أوقاتنا وأعمارنا فنكشف الستار عن إضبارة شخص كان يعيش قبل أربعة عشر قرناً ؟! هذا لو كانوا أشخاصاً عاديّين، أمّا لو وُجب أن نتّخذ أعمال أُولئك وسلوكهم ، وخطبهم ، وقوانينهم ، وتعليماتهم أُسوة لنا ، وعملنا بها ، وتصرّفنا تبعاً لسنّتهم ،فلا يمكن القول هنا : ما هي الضرورة للتحقيق والتفحّص ؟ وهل التجسّس إلّا متلفة للعمر ؟ بل ينبغي أن نصرف ليس عمراً واحداً فحسب ، بل أعماراً كثيرة لنكشف النقاب عن زلّتهم فضلاً عن زلّاتهم ، وأخطائهم ، وخياناتهم ، وجرائمهم ، ونعلن بصراحة أنّ هؤلاء الجهّال المتنسّكين لا يستحقّون الإمامة والخلافة . وليس لهم أن يكونوا قدوة الناس في أعمالهم وأخلاقهم وعقائدهم .

إنّ **ابن تَيْمِيَّة** لمّا رأى أن لا شكّ ولا تردّد في هذه الروايات الكثيرة الواردة في الكتب المعتبرة عند العامّة مثل «تفسير الثعلبيّ» ، و «تفسير أبي

السُّعُود» وغيرهما ، وهي مرويّة عن الصحابيّ الجليل حُذَيفة بن اليمان ، وعن سُفيان بن عُيَيْنَةَ الذي لا تردّد في إمامته في الحديث والتفسير والوثاقة لدى العامّة ، جاء وقال ما قال في شأن نزول الآية : سأَلَ سَآئِلٌ ، ولو قُدِّر أن يقرّ بسبب نزولها ، فإنّها تضعضع أساس خلافة أبي بكر ، وعمر ، إذ إنّ ما جاء في الروايات هو أنّ ذلك المنكر السائل جادل النبيّ ، وقال : ألم يكفك أنّك أمرتنا بكلّ هذه الفروض ، حتّى رفعت ضَبْعَي ابن عمّك وأمّرته علينا ؟! فهل هذا منك أم من الله ؟!

تدّل هذه الروايات بصراحة أنّ المراد من المولى في الحديث : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ** هو الإمارة والإمامة والخلافة وتدبير الشؤون العامّة . ولا يفسّر السنّة الولاية بهذا المعنى ، لذلك يحجمون عن الاعتراف بمفاد حديث الغدير ومعناه الحقيقيّ مع تسليمهم بوجوده . إنّهم يقولون : إنّ عمر وأبا بكر سمعا حديث الغدير أيضاً . وهنّئا عليّ بن أبي طالب بقولهما : بَخٍّ بَخٍّ ، بَيدَ أنّه لو كان معنى الولاية هو الإمامة ، لما خالفا ، فلا يعني المولى ـ إذاً ـ أنّه الإمام . بل هو الناصر ، ابن العمّ ، والمحبّ ، ونظائر ذلك .

ولكنّ اعتراض الحارث بن النعمان الفهريّ علي رسول‌الله في الآية : سَأَلَ سَآئِلٌ كان على أساس فهمه أنّ المراد هو الإمامة والخلافة ، لأنّه فهم الإمامة من قوله : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ** . فلهذا نجد أنّ ابن تيميّة المتعصّب لابدّ له أن ينكر ذلك كيفما كان ، وإلّا فإنّ أُسس مذهبه سوف تنهار .

وللّه الحمد فقد انهارت ولم تبق لمذهبه ومذهب أصحابه كرامة واعتبار من خلال بحوث العلماء الأبرار حماة التشيّع .

إنّ ابن تيميّة يسجّل على هذا الحديث عدداً من الإشكالات : **الأوّل** : أنّ أصل هذه النسبة كذب وافتراء ، وأنّ إجماع العلماء على أنّ الآية نزلت

في شأن عليّ بن أبي طالب كذب أكبر وافتراء أعظم ، لأنّه لم يرو هذا الحديث أحد من العلماء الذين يفهمون مايقولون .

الجواب : إنّ نسبة الكذب إلى هذا الحديث كذب محض وافتراء ، وقوله إنّ أحداً من العلماء الذين يفهمون ما يقولون لم يروه ، كذب أكبر وافتراء أعظم .

هل أمثال **أبي عُبيدة الهرويّ ، والثعلبيّ ، وأبي بكر النقّاش ، وسفيان بن عُيينة ، والقزوينيّ ، والقرطبيّ ، والحاكم الحسكانيّ ، والسَّمْهُودِيّ ، وابن الصبّاغ المالكيّ** ، حتّى يصل النصاب إلى ثلاثين شخصاً من كبار العامّة وأعلامهم الذين نقلوا هذا الحديث في كتب التفسير والحديث والتأريخ التي ألّفوها ، كانوا على درجة من الغباء بحيث لم يفهموا ما يقولون ؟ وهل كان نقلهم هذا الحديث في كتبهم من باب نقل الهذيان والهذر ؟! أو من باب نقل الروايات والقصص والأساطير ؟!

وعندما يعترف ابن تيميّة نفسه بهؤلاء الأعلام أرباباً للعلم والحديث ، فإنّ نسبة الجهل وعدم الفهم إليهم تعني نسبتهما إليه ذاته . وأنّه اعتراف بالحسد ، والحقد ، والبغض .

الإشكال الثاني : جاء في الأثر أنّ هذا الحديث لمّا شاع وانتشر في الآفاق ، ركب الحَرْث بن النعمان ناقته ، وجاء إلى **الأبطح** ، وبينما كان رسول الله في **الأبطح** ، نزل وجاء إليه وقال له ما قال . علماً أنّ **الأبطح** كان في مكّة وليس في المدينة . وأنّ رسول الله لم يرجع إلى مكّة بعد واقعة الغدير التي كانت في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة بإجماع الشيعة والسنّة ، إلى أن وافاه الأجل بعد شهري محرّم وصفر .

الجواب : هذا المسكين كان جاهلاً أو متجاهلاً أنّ الأبطح ليس عَلَماً لموضع خاصّ في مكّة ، بل إنّ **الأبطح والبطحاء** اسم جنس لكلّ مكان

واسع تجمّع فيه دقاق الحصى بواسطة السيل أو هبوب الرياح ، وأرضه غير صالحة للزراعة لعدم وجود التراب فيها . ومثل هذه الأرض موجود في مكّة ، والمدينة ، والعراق ، وفي كثير من النقاط الأُخرى التي تنشر الرياح دقاق الرمل والحصى في أرضها ، أو أنّ تلك الرمال تترسّب فيها بعد مَغاض الماء الذي استوعب الوادي كلّه ، فتصبح أرضاً رمليّة على درجة عالية من الرخاوة .

قال في «تاج العروس» : **وَالبَطِح** على وزن **كَتِف** رمل في بطحاء . وذكر الجوهريّ وغيره أنّ **(البَطيحة ، والبَطْحَاء ، والأبْطَح)** مسيل واسع فيه دقاق الحصى . ومن **الأباطح** أبطح مكّة الوارد في الحديث أنّ رسول الله صلّى بالأبطح . يعني أبطح مكّة ، وهو مسيل واديها . وعن أبي حنيفة : **الأبطح** لا ينبت شيئاً ، إنّما هو بطن المسيل . وعن النَضْر : **البطحاء** بطن التلعة والوادي ، وهو التراب السهل في بطونها ممّا قد جرّته السيول . ويقال : أتينا **أبطح الوادي** فنمنا عليه ، أو أتينا **بطحاء الوادي** فنمنا عليها . أي : على ترابها وحصاها السهل الليّن .

إلى أن قال : **وبطحاء مكّة وأبطحها** معروفة لانبطاحها . وأرض **منى** من الأبطح . و**قريش البطاح** الذين ينزلون أباطح مكّة وبطحاءها . و**قريش الظواهر** الذين ينزلون ما حول مكّة .

وفي «تهذيب اللغة» عن ابن الأعرابيّ **قريش البطاح** هم الذين ينزلون الشِّعْب بين أخشبي مكّة . و**قريش الظواهر** الذين ينزلون خارج الشعب . وأكرمهما قريش البطاح . **وأخشبا مكّة** جبلاها **أبو قبيس** والذي يقابله .

وجاء في عبارة أرباب الأنساب : **قريش الأباطح وقريش البطاح** ، صبابة قريش وصميمها الذين اختطّوا بطحاء مكّة ونزلوها . ويقابلهم

قريش الظواهر الذين لم تسعهم الأباطح ، فنزلوا في خارجها مضطرّين .[١]

وقال في «لسان العرب» : **البطحاء** مسيل فيه دُقاق الحصى . وقال ابن سيدة : **بطحاء الوادي** تراب ليّن ممّا جرّته السيول . والجمع : **بطحاوات وبِطاح**. ويقال : **بِطَاح وبُطَّح** ،كما يقال : **أعوام عُوَّم**. فإنِ اتّسع وعَرُضَ فهو **الأبطح** ، والجمع **الأبَاطِح**.

وفي حديث عمر : **إنّه أوّلُ مَن بَطَّحَ المسجد**. والمراد من الوادي المبارك وادي العقيق الذي نام فيه رسول الله .

وقال ابن شُمَيِّل : **بطحاء الوادي وأبطحه** حصاه السهل اللين في بطن المسيل .

وبعد أن نقل كثيراً ممّا نقلناه عن «تاج العروس» ، قال : **والبطيحة** ما بين واسط . والبصرة ، وهو ماء مستنقِع لا يرى طرفاه من سعته . وهو مَغيض ماء دجلة والفرات . وكذلك مغايض ما بين البصرة والأهواز . **والطَّفّ** ساحل البطيحة ، وهي **البطائح**.[٢]

وقال في «المصباح المنير» : **والبطيحة والأبطح كلّ مكان مُتَّسِع ، والأبطح** بمكّة هو **المحصّب**.[٣]

وقال في «صحاح اللغة» : **بطحه ، أي : ألقاه على وجهه فانبطح. والأبطح** مسيل واسع فيه دقاق الرمل والحصى ، وجمعه : **أباطح وبِطاح**.[٤]

وقال في «النهاية» : وجاء في حديث عمر : **إنّه أوّل من بطّح المسجد ،**

١ـ «تاج العروس» للزبيديّ ، ج ٢ ، ص ١٢٤ و ١٢٥.

٢ـ «لسان العرب» لابن منظور ، ج ٢ ، ص ٤١٢ إلى ٤١٤.

٣ـ «المصباح المنير» ، لشهاب الدين الفيّوميّ ، مادّة بَطَحَ.

٤ـ «صحاح اللغة» ، لأبي الوفاء الهوريني ، ج ١ ، ص ١٧٠.

إلى أن قال : وجاء في حديث الصداق : **لو كنتم تعرفون مِن بطحان ما زدتم. وبطحان** بفتح الباء اسم وادي المدينة . **والبطحانيّون** منسوبون إليه ، وأكثرهم يضمّون الباء ، ولعله الأصحّ .[١]

وقال في «أقرب الموارد» : **بَطَّح المسجد** : ألقى الحصى فيه ووثّره . وفي الحديث : **فَأَهَابَ بالنَّاسَ إلَى بَطْحِهِ**. أي : تسويته . **وتَبَطَّحَ السَّيْلُ** : اتّسع في البطحاء ، وسال سيلاً عريضاً . **والبطيحة** مسيل واسع فيه دقاق الحصى . وجمعها **بطائح**. والبطيحة والبطائح أيضاً مغيض ماء دجلة والفرات ، **والبطحاء** في معنى البطيحة ، والجمع **بِطاح وبطحاوات. والأبطح** مثل **البطيحة والبطحاء** ، وجمع **أباطح**.[٢]

وقال في «معجم البلدان» : **البطحاء** في اللغة المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . وجمعها : **أباطح**. إلى أن قال : قال أبو الحسن محمّد بن عليّ بن نصر الكاتب : سمعتُ عوّادة تغنّي في أبيات طريح بن إسماعيل الثقفيّ في الوليد ن يزيد بن عبد الملك ، وكان من أخواله :

أنْتَ ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطَاحِ، وَلَمْ تَطْرُقْ عَلَيْكَ الحُنِيُّ وَالوُلُجُ[٣]

أي : أنتَ من البطحاء المعروفة والمشهورة ! ولست من أهل الأرض المنخفضة والمناطق الأُخرى فيخفى نَسَبُك ، ويستتر جذرك وأصالتك .

قال بعض الحاضرين : ليس المراد **بالبطاح** في هذا البيت غير **بطحاء**

١ـ «النهاية في غريب الحديث والأثر»، ابن الأثير الجزريّ ، ج ١ ، ص ١٣٤ و ١٣٥.

٢ـ «أقرب الموارد في فُصْح العَرَبيّ والشَّوارد»، سعيد الخوريّ الشرتونيّ ، ج ٢ ، ص ٤٧.

٣ـ قال في «لسان العرب» في مادّة سَلْطَحَ : **الإسْلِنْطَاح** : الطول والعرض. والسلنطح الفضاء الواسع. واسْلَنْطَحَ الوادي : اتّسع ، واسْلَنْطَحَ الشَّيءُ : طَالَ وَعَرُضَ.
والحُنِيّ ما انخفض من الأرض. والوُلُج جمع وِلاج بالكسرة ما اتّسع من الأودية.

مكّة ، فما معنى هذا الجمع ؟

فثار علويّ بطحاويّ كان حاضراً وقال : المراد من **البطحاء** الأُخرى **بطحاء** المدينة ، وهي أجلّ من بطحاء مكّة ، وجدّي منها . وأنشد لها قائلاً :

وَبَطْحاءُ المَدِينةِ لي مَنْزِلٌ فَيَا حَبَّذا ذَاكَ مِنْ مَنْزِلِ

فقال بعض الحاضرين : فهذان بطحاوان ، فما معنى الجمع ؟!

قلنا : العرب تتوسّع في كلامها وشعرها فتجعل الاثنين جمعاً . وقد قال بعض الناس : إنّ أقلّ الجمع اثنان ، لا ثلاث .

إلى أن قال : هذا كلّه تعسّف . وإذا صحّ بإجماع أهل اللغة أنّ البطحاء الأرض ذات الحصى . فكلّ قطعة من تلك الأرض بطحاء . وقد سمّيت قريش البطاح وقريش الظواهر في صدر الجاهليّة ، ولم يكن بالمدينة منهم أحد .[1]

وقال في «مراصد الاطّلاع» : أصل **البطحاء** المسيل الواسع فيه دقاق الحصى . وقول عمر : **ابْطَحُوا المَسْجِدَ!** وهو موضع بعينه قريب من ذي قَار . **وبطحاء مكّة** ممدود . **وبطحاء ذي الحُلَيْفَةَ ، وبطحاء ابنِ أزْهَر** قريب من المدينة وفيه مسجد لرسول الله صلّى الله عليه وآله .

وبطحاء أيضاً مدينة بالمغرب قرب تلمسان ، بينهما ثلاثة أيّام أو أربعة .[2] وقال في كتاب «البلدان» : من واسط إلى البصرة في **البطائح** ، لأنَّه تجتمع فيها عدّة مياه ، ثمّ يصير من البطائح في دجلة في الأقسام التي لا ينبت فيها شيء ، ثمّ يصير إلى البصرة ، فيرسي في شطّ نهر ابن عمر[3] .

١ـ «معجم البلدان» لياقوت الحَمَويّ ، ج ٢ ، ص ٢١٣ و ٢١٤ ، طبعة سنة ١٣٢٤ هـ.

٢ـ «مراصد الاطّلاع» لابن عبد الحقّ البغداديّ ، ج ١ ، ص ٢٠٤.

٣ـ كتاب «البلدان» لليعقوبيّ ، ص ٨٤.

ومضافاً إلى إجماع أهل اللغة على أنّ **الأبطح** ليس عَلَماً خاصّاً لمكّة، بل هو اسم جنس، ويطلق أيضاً على أبطح المدينة وهو ذو الحُلَيْفَة، فإنّ شواهد كثيرة وردت في أشعار بلغاء العرب وفصحائهم، وكذلك في عبارات الأحاديث، وهي تدلّ على هذا المعنى. منها بيتان منسوبان إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخاطب فيهما **الوَليد بن المُغيرة**:

يُـهَدِّدُني بِـالعَظْيم الوَليـدْ فَقُلْتُ: أنَا ابْنُ أبـي طَـالِبِ
أنَا ابْنُ المُبَجَّلِ بِـالأَبْطَحَيْن وَبِالبَيْتِ مِنْ سَـلَفي غَـالِبِ

وقال المَيْبُدِيّ في شرح هذين البيتين: المراد من الأبْطَحين في كلام الإمام: **أبطح مكّة، وأبطح المَدِينَة**.[1]

وروى البُخاريّ، ومُسْلِم عن عبد الله بن عمر أنّه قال: **إنّ رَسُولَ اللَهِ أنَاخَ بِالبَطْحَاء بِذي الحُلَيْفَةِ فَصَلَّى بِهَا**.[2]

وجاء في حديث الغدير أيضاً عن طريق حُذَيفة بن أُسَيد، وعامر بن ليلى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا رجع من حجّة الوَدَاع ـ ولم يحجّ غيرها من المدينة ـ جاء وبلغ **الجُـحْفَة**، ونـهى فـي **البـطحاء** أن تـتقارب المنازل تحت تلك الأشجار، ثمّ خطب هناك.[3]

وقال السيّد الحميريّ في قصيدته العـينيّة التـي أنشـدها فـي وصـف كوثر أمير المؤمنين يوم القيامة:

بَـطْحَاؤُهُ مِسْكٌ وَحَـافَاتُهُ يَهْتَزُّ مِـنْهَا مُـونِقٌ مُـونِعُ[4]

١ـ «شرح ديوان المَيْبُديّ».

٢ـ «صحيح البخاريّ» ج ١، ص ١٨١؛ و«صحيح مسلم» ج ١، ص ٣٨٢.

٣ـ «سُنَن الترمذيّ» ج ٢، ص ٢٩٨، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الطُّفَيل، عن حُذَيفة أبي سريحة.

٤ـ ذكرنا قصيدة السيّد الحِمْيَريّ مفصّلاً في الجزء التاسع من كتابنا «معاد شناسي» ⇦

وقال ابن صيفي شهاب الدين الشاعر المعروف بحَيْص وبَـيْص فـي مرثيّته التي أنشدها في أهل البيت عليهم السلام على لسانهم إذ يـخاطبون أعداءَهم وقاتِلهم :

مَـــلَكْنَا فَكَـــانَ العَـــفْوُ مِـــنَّا سَـــجِيَّةً
فَـــلَمَّا مَـــلَكْتُمْ سَـــالَ بِـــالدَّمِ أبْـــطَحُ
وَحَـــلَّلْتُمُ قَـــتْلَ الأُسَـــارَى وَطَـــالَما
غَدَونَا عَلَى الأَسْـرى فَـنَعْفُو وَنَـصْفَحُ
فَـــحَسْبُكُمْ هَـــذَا التَّـــفَاوُتُ بَـــيْنَنَا
وَكُـــلُّ إنَـــاءٍ بِـــالَّذِي فِـــيهِ يَـــرْشَحُ[1]

ومعلوم أنّ سيّد الشهداء عليه السلام قد قتل في كربلاء . والمراد مـن **الأبطح** هنا **أبطح العراق** والأراضي الرمليّة الممتدّة من الكوفة إلى البصرة .

⇦ (=معرفة المعاد) من دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة، في المجلس السادس والستّين، وبحثنا فيها بحثاً تامّاً بحول الله وقوّته.

١ـ أورد المحدّث القمّيّ في «منتهى الآمال» ج ١ ، ص ١١٠ القطع الرحليّ في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ما نصّه : نقل جمع كثير من علماء السنّة في كتبهم أنّ أحد ثقات أهل السنّة قال : رأيتُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في المنام ، وقلت له : يا أمير المؤمنين ! عندما فتحت مكّة وأمّنت دار أبي سفيان ، وقلت : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ؟ إنّك أحسنتَ إلى أبي سفيان بهذا النحو! لكنّ حفيده لم يُجازِ ولدك الحسين عليه السلام بالإحسان عوضاً عن ذلك، بل قتله في كربلاء وفعل ما فعل! فقال الإمام: ألم تسمع أشعار ابن الصيفيّ في هذا الباب؟ قلت: لا ، لم أسمعها ! فقال: اسمع جوابك منه! قال: لمّا أفَقْتُ من نومي ، بادرت إلى بيت ابن الصيفيّ المعروف بحَيْص وبَيص ، ونقلتُ له رؤياي . وما إن سمعها، شهق وبكى بشدّة وقال : وأيْمُ اللهِ ، إنّ هذه الأشعار التي قالها أمير المؤمنين عليه السلام نظمتها في تلك الليلة . ولم أُحدّث بها شخصاً بَعْدُ . ولم أكتبها لأحدٍ ، فأنشد لي تلك الأبيات : * **مَلَكْنَا فَكَانَ العَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً** * إلى آخر الأبيات.

وإذا قال أحد : إنّ الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب قتل بمكّة .

نجيب قائلين : هو لم يقتل في **أبطح مكّة** لأنّ **أبطحها** يقع في شرقها ، ويقال له وادي المُحَصَّب ، وهو قريب من مِنَى . وإنّما قُتل الشخص المذكور مع جميع أُسرته ومرافقيه في وادي **فَخّ** . قتلهم **الهاديّ العبّاسيّ** (حفيد المنصور الدوانيقيّ) . فلهذا يقال له : **شهيد فخّ** .

ووادي فخّ التنعيم ومكّة ، على فرسخ من شمال مكّة .

كما سمّي سيّد الشهداء الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب : **شهيد الطَّفِّ** .

ولو تغاضينا عن ذلك كلّه ، فإنّ لفظ الأبطح لم يرد فيما ذكره الحَلَبيّ في سيرته ، والشيخ محمّد صدر العالم في «معارج العلى» ، وسبط بن الجوزيّ في تذكرته ، بل قال هؤلاء : جاء سائل عند رسول الله في المسجد . والمراد من المسجد مسجد المدينة . ونصّ الحلبيّ على أنّه كان في المدينة . وعلى هذا **إنَّ الإشْكَالَ يَرْتَفِعُ بِحَذَافيرِهِ** .

الإشكال الثالث: أنّ سورة المعارج : **سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** من السور المكّيّة .إذاً نزلت في مكّة قبل الهجرة باتّفاق أهل العلم . إذَن ، نزلت قبل واقعة غدير خمّ بعشر سنين ، أو أكثر . فكيف يمكن أن تكون قد نزلت بعد الواقعة ؟!

الجواب من عدّة جهات : الأُولى : لو كانت آيات هذه السورة كلّها مكّيّة باتّفاق جميع العلماء ، فينبغي أن نحمل الرواية على تكرار النزول ، أو نقول : إنّ جبرائيل ، أو الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله نفسه قد تلا ذلك مراراً بمناسبة الواقعة .

والآيات التي نزلت على النبيّ الأكرم مرّتين كثيرة . وقد تكرّر

نزولها لسبب من الأسباب المهمّة كالتذكير والموعظة ، والاهتمام بمفاد الآية وموقعها ، أو أنّ الموقف تطلّب نزولها في حالتين .

واتّفق علماء الشيعة والسنّة تقريباً على أنّ سورة **فَاتِحَة الكِتَاب** قد نزلت مرّتَين ، الأُولى في مكّة عندما فرضت الصلاة . والأُخرى في المدينة حينما تحوّلت القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام . ولذلك سمّيت : **سورة المَثَانِي** .[1] مثلها في ذلك مثل البسملة : **بِسْمِ ٱللَهِ ٱلرَّحمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ** الواردة في بداية كلّ سورة ، وهي جزء من كلّ سورة بإجماع الأُمّة . وكذلك مثل آيات أُخرى كبداية سورة الروم ،[2] وآية الاستغفار : **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِّلْمُشْرِكِينَ** .[3] والآية : **أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَى ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ**،[4] والآية : **أَلَيْسَ ٱللَهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**،[5] وغيرها من الآيات التي نصّ علماء الخاصّة والعامّة في تفاسيرها على تكرّر نزولها ، وخصّص السيوطيّ الباب الحادي عشر من «الإتقان» للآيات المتكرّرة .

الثانية : يرجع اتّفاق العلماء جميعهم إلى أنّه جاء في بعض الروايات عن ابن عبّاس ، وعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَير أنّ سورة المعارج مكّيّة . وهذه الروايات من خبر الواحد ، والاتّفاق المستند إلى خبر الواحد في حكم

١ـ «الإتقان» للسيوطيّ ، ج ١ ، ص ٤٤ ، الباب ١١ ، أقدم طبعة في المطبعة الموسويّة بمصر ، سنة ١٢٧٨ هـ. قال: ذَكَرَ قَوْمٌ مِنْهُ الفاتحة.

٢ـ «الإتقان» نقل عن ابن الحصار أنّ آخر سورة النحل، وأوّل سورة الروم قد تكرّر نزولهما.

٣ـ «الإتقان» ، نقله عن الزركشيّ في «البرهان» . وهي الآية ١١٣ ، من السورة ٩: التوبة.

٤ـ «الإتقان» نقله عن الزركشيّ في «البرهان» . وهي الآية ١١٤ ، من السورة ١١: هود.

٥ـ الآية ٣٦ ، من السورة ٣٩: الزمر.

اعتبار خبر الواحد . وهذه الرواية المنقولة عن الثعلبيّ ، عن سُفيان بن عُيَيْنَة في شأن نزول الآية : سأل سآئل ، في واقعة الغدير ، وغيرهما ممّا نقل عن غير الثعلبيّ ، وسفيان ، هي من أخبار الآحاد أيضاً ، وحينئذٍ بأيّ مُرَجِّحٍ يمكن أن نقول : إنّ تلك الروايات مرجَّحه على هذه الروايات ؟!

الثالثة : لو سلّمنا أنّ سورة المعارج مكّيّة ، فبأيّ دليل نعتبر آياتها الأُولى مكّيّة ؟! إذ ما أكثر الآيات التي نزلت في المدينة ، وأمر رسول الله بوضعها في السور المكّيّة ، وما أكثر الآيات التي نزلت في مكّة ، ووضعوها في السور المدنيّة .

هذه كلّها كانت بتعيين رسول الله ، بل عيّن رسول الله مكان تلك الآيات أيضاً . مثلاً يكون بين الآية الفلانيّة والآية الفلانيّة الأُخرى .

قال السيوطيّ في الفصل الأوّل من «الإتقان» : قال البيهقيّ في «دلائل النبوّة» : في بعض السور التي نزلت بمكّة آيات نزلت بالمدينة ، فأُلحقت بها . وكذا قال ابن الحصّار : وكلّ نوع من المكّيّ والمدنيّ منه آيات مستثناة (نزلت في غير محلّ نزولها ، أي : المكّيّة في المدينة ، والمدنيّة في المكّة) .

[ثمّ] قال : إلّا أنّ من الناس من اعتمد في الاستثناء على الاجتهاد دون النقل . وقال ابن حجر العَسْقلانيّ في «شرح صحيح البخاريّ» : قد اعتنى بعض أئمّة أهل العلم ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكّيّة . وأمّا عكس ذلك ، وهو نزول شيء من سورةٍ بمكّة ، تأخّر نزول تلك السورة إلى المدينة ، فلم أره إلّا نادراً .

وقال السيوطيّ بعد هذا النقل : وها أنا أذكر ما وقفت على استثنائه من النوعين . أي : بيان الآيات المدنيّة في السور المكّيّة ، والآيات المكّيّة في

السور المدنيّة ، مستوعباً ما رأيته من ذلك .[١]

فعلى هذا نقول : إذا كانت سورة المعارج مكّيّة ، فإنّ آياتها الأُولى مدنيّة .

وإذا قال أحد : إنّ القدر المتيقّن من أنّ السورة مكّيّة أو مدنيّة هو بدايتها فيما إذا بدايتها مكّيّة أو مدنيّة . أو إنّ الآية المأخوذ منها اسم السورة مكّيّة أو مدنيّة .

والجواب هو أنّ هذا الترتيب الذي عليه القرآن فعلاً هو على أساس التوقيف ، لا على أساس نزول الآيات . ولا يُسْتَبْعَدُ أن تكون هذه الآيات قد نزلت أخيراً ، ثمّ أُلحقت بالآيات النازلة قبلها على أساس التوقيف ، وأُخذ اسم السورة منها أيضاً ، وإن كنّا نجهل المصلحة والحكمة من هذا التوقيف ،كما نجهل أكثر موارد الترتيب في القرآن الكريم .

الإشكال الرابع : الآية الشريفة : **وَإِذْ قَالُوا ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَآءِ** في سورة الأنفال . واتّفق المفسّرون على أنّها نزلت بعد معركة بدر ، وقبل واقعة الغدير بسنين ، وأجمع المفسّرون على أنّها نزلت قبل الهجرة بسبب كلام المشركين كأبي جهل وأمثاله مع النبيّ صلّى الله عليه وآله . وأراد الله منها أن يذكّر رسوله بكلامهم السابق . أي : اذكر كلامهم إذ قالوا :كَيْتَ وكَيْتَ كقوله تعالى : **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ**،[٢] وقوله تعالى : **وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ**.[٣]

ويستفاد من هذا التذكير أنّ زمان كلام المشركين سبق نزول هذه

١ـ «الإتقان» للسيوطيّ ،ج ١، ص ١٧ و ١٨، طبعة سنة ١٢٧٨ هـ.

٢ـ الآية ٣٠، من السورة ٢: البقرة.

٣ـ الآية ١٢١، من السورة ٣: آل عمران .

الآية : **وَإِذْ قَالُوا ٱللَّهُمَّ**.

الجواب : لقد ظنّ ابن تيميّة المسكين[1] أو تظنّن أنّ هذه الروايات تبيّن أنّ **الحَارِثَ بن النُّعْمَان** أو **جَابر بن النَضْر بن الحارث** قد دعا بهذا الدعاء وطلب نزول الحجر من السماء أو العذاب الأليم ، فنزلت الآية : **وَإِذْ قَالُوا ٱللَّهُمَّ** في ذلك اليوم . ونحن لا نجد هذا المطلب في أيّ رواية من هذه الروايات .

هَبْ أنّ هذه الآيات كانت قد نزلت بعد معركة بدر ، وأنّها تتعلّق بالمشركين قبل الهجرة ، فما هو الإشكال أن يكون هذا الرجل المنكر للولاية الذي جاء ذلك اليوم عند رسول الله قد صبّها في قالب الدعاء ، وهو نفسه أراد من الله عين تلك العبارات والآية النازلة ؟

وهل كان الدعاء وفقاً للآية النازلة ، أو وفقاً للدعاء الوارد في القرآن الكريم ، ذو محظور طبيعيّ من حيث تكوينه وإمكان التنطّق به ؟ وعلى هذا ، فإنّ ذلك الرجل المنكر الولاية قد أظهر كفره بهذه الكلمات ، كما أظهر المشركون في مكّة كلمات الإلحاد والكفر قبل الهجرة .

وبقطع النظر عن ذلك كلّه ، فما هو الإشكال من أن تكون هذه الآية

١ـ قال ابن حجر في كتابه «**الفتاوى الحديثة**» ، ص ٨٦: ابن تيميّة عبد خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذلّه. وبذلك صرّح الأئمّة الذين بيّنوا فساد أحواله، وكذب أقواله. ومن أراد ذلك، فعليه مطالعة كلام الإمام المجتهد المتّفَق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكيّ ، وولده التاج، والشيخ الإمام العزّ بن جماعة، وأهل عصرهم، وغيرهم من الشافعيّة، والمالكيّة، والحنفيّة، ولم يقصر اعتراضه على متأخّري الصوفيّة، بل اعترض على مثل عمر بن الخطّاب، وعليّ بن أبي طالب. والحاصل أن لا يقام لكلامه وزن بل يُرمى في كلّ وعرٍ وحزن. ويُعْتَقَد فيه أنّه مبتدع ضالّ مضلّ غال، عامله الله بعدله، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله.

الموجودة في سورة الأنفال ، النازلة في الأيّام الأخيرة من عمر النبيّ،قد وضعت عند تأليفالقرآن في زمرة الآيات النازلة قبل ذلك .بعدةسنين قبل سورة المائده .كما في آيات الربا ،[1] والآية **وَٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَهِ**.[2] وهي آخر الآيات التي نزلت على النبيّ ، قد جعلت في سورة البقرة . وسورة البقرة نزلت في أوائل الهجرة ، وبينها وبين الفترة الأخيرة من عمر النبيّ عدّة سنين .

ولو تغاضينا عن هذا أيضاً ، فإنّ قوله : **وَإِذَ قَالُوا ٱللَهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ** الذي هو تذكير وحكاية لكلام المشركين قبل الهجرة ، كلام بلا دليل ، وبيان بلا حجّة ، إن لم يقم الدليل والحجّة على خلافه . ذلك أنّ الشخص العارف بأُسلوب الكلام لا يرتاب أنّ هذا القول : **ٱللَهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيم**. ليس كلام مشرك وثنيّ يهزأ بالله ويضحك على الحقّ . لأنّه يقول : **ٱللَهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ** ، وهذا الكلام الذي ذكر فيه اسم الإشارة ثمّ أكّده بالضمير المنفصل ، وبعد ذلك نطق بكلمة الحقّ محلاة بالألف واللام ، ثمّ جاء بضمير الخطاب (من عندك) ، ليس كلام إنسان مشرك أبداً ، بل هوكلام من أذعن بمقام الربوبيّة ، بَيدَ أنّه توقّف وشكّ في كلام من ذكر مطلباً ، وقال : إنّه حقّ فحسب ، ومنسوب إلى الله وكفى ، ولم يستطع أن يتحمّله ، وتبرّأ منه ، ودعا على نفسه بالموت والثبور ، وسئم من الحياة ويفرّ منها .

١ـ الآيات ٢٧٥ إلى ٢٧٨ : **ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِينَ يَتَخَبَّطَهُ ٱلشَّيْطَانُ مِنَ ٱلْمَسِّ** ـإلى قوله: **وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** .

٢ـ الآية ٢٨١ ، من السورة ٢ : البقرة.

من الحياة و فرّ منها.الإشكال الخامس: لمّا طلب كفّار قريش العذاب من الله من خلال ما جاء على لسانهم : **وَإِذْ قَالُوا ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.**

قال الله في الآية التي تلتها مباشرةً :

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ.[1]

ويتّفق الجميع على أنّ أهل مكّة لمّا طلبوا العذاب ، لم ينزل عليهم ، ولم تُمْطَر عليهم حجارة من السماء . ولو كان من آية أو عذاب نازل في قضيّة الحرث بن النعمان الفهريّ ، فإنّها كآية أصحاب الفيل إذ إنّ البواعث على نقلها كثيرة . فلماذا لم تنقلها جميع كتب السير والتفسير والتأريخ ، ولم تشتهر وتعرف كآية أصحاب الفيل ؟

الجواب : حسناً ؛ كان عليه أن يذكر الآية التي تليها أيضاً حتّى يستبين جوابه منها . والآية هي :

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.[2]

وتوضيح هذا المطلب هو أنّ ما قلناه لا يعني أنّ الله يرفع العذاب عن أهل مكّة أو المدينة في كلّ حالة وكيفيّة ، وفي كلّ الظروف ، مع وجود النبيّ بين ظهرانيهم . وإنّما رفع العذاب العامّ عنهم عندما كان رسول الله فيهم ، ولم يخرج منهم بعد ، أو لم يُخرجوه ، وحينئذٍ فإنّ من بركات نفسه النفيسة وآثارها رفع العذاب ، أو أنّ الله يرفع العذاب ببركة توجّه واستغفار

١ـ الآية ٣٣ ، من السورة ٨: الأنفال.

٢ـ الآية ٣٤ ، من السورة ٨: الأنفال.

ثلّة من المؤمنين الذين يعيشون بينهم .

ولكن عندما أخرجوا النبيّ من مكّـة ، واسـتغرق ذلك عـدد سـنين ، حتّى هاجر المؤمنون الباقون في مكّة إلى المدينة تدريجيّاً وخلت مكّة من المستغفرين ، أذن الله لنـبيّه بـفتحها بـالسيف . ومـا غـزوات رسـول اللـه وحروبه الدامية كلّها إلّا عذاب ونقمة ونكبة وذلّة نزلت على المشركين .

بل هُدّدوا وأُوعدوا بصاعقة كصاعقة عاد وثمود عـند تـماديهم فـي جهالتهم وضلالتهم وإعراضهم عن آيات الله ، وعدم إقرارهم برسول الله ، وأنّ الصاعقة والريح الصرصر ستجعلانهم طعمة للحريق والهلاك كقوم عاد الذين كذّبوا نبيّهم **هوداً** ، وقوم **ثمود** الذين كذّبوا نبيّهم **صالحاً** .

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَـادٍ وَثَـمُودَ ۞ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ۞ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۞ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۞ وَأَمَّا ثَمُودُ فَـهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْـتَحَبُّوا۟ ٱلْـعَمَىٰ عَـلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۞ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ .[1]

نلاحظ في هذه الآيات أنّ الله قد أنذر أمّة خاتم النبيّين بالعذاب كما عذّب أُمم الأنبياء الماضين ، بحيث إنّه يخرج نـبيّه مـن أُمّ القُـرَى ، ويـذر أهلها طـعمة للـصاعقة ، أو تـنتهشهم السـيوف والأسـنّة بـعد هـجرته هـو

١ـ الآيات ١٣ إلى ١٨ ، من السورة ٤١ : فصّلت.

وأصحابه إلى المدينة . إذاً ، هذا الإعلام والإنذار ، بنزول العذاب سيشمل الجميع من منظار العذاب العامّ .

وأمّا من منظار العذاب الخاصّ كالعمى ، والشلل ، والرعشة ، والوقوع طعمة للافتراس ، والقتل صبراً ،[1] وما شابهها ، فهي من الموارد المذكورة عن رسول الله في التأريخ والسير .

عندما أسر المسلمون المشركين في غزوة بدر ،[2] فإنّهم أخذوا منهم

١ـ **قُتِلَ صَبراً : أي : حُبِسَ عَلَى القَتْلِ حَتّى يُقْتَل.**

٢ـ روى في «دلائل البيهقيّ» ج ٢ ، ص ٩٥ بسنده عن عبد الله بن مسعود: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله استقبل البيت فدعا على سبعة نفر من قريش سبعة فيهم أبو جَهل، وأُميّة بن خَلْف، وعُتْبة بن ربيعة، وشَيْبَة بن ربيعة، وعَقَبة بن أبي مَعَيط. قال عبدالله [بن مسعود]: أُقسم بالله لقد رأيتهم كلّهم صرعى على بدر، وقد غيّرتهم الشمس وكان يوماً حارّاً. وأخرج ابن كثير الدمشقيّ في «البداية والنهاية» ج ٣، ص ١٠٥ عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس في شرح الآية: **إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ**: المستهزئون بالنبيّ هم الوليد بن المُغيرة، والأسود بن عبد يَغُوث الزهريّ، والأسود بن المطّلب أبو زمْعة، والحارث بن عَيْطل، والعاص بن وائل السهميّ. فأتى جبرائيل عند رسول الله فشكاهم إليه. فأراه الوليد، فأشار جبرائيل إلى أُنمله وقال: كفيته. ثمّ أراه الأسود بن المطّلب فأومأ إلى عنقه وقال: كفيته. ثمّ أراه الأسود بن عبد يغوث فأومأ إلى رأسه وقال: كفيته. ثمّ أراه الحارث بن عيطل فأومأ إلى بطنه وقال: كفيته. ومرّ به العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه وقال: كفيته. فأمّا الوليد فمرّ برجل من خزاعة وهو يريّش نبلاً له فأصاب أُنمله فقطعها. وأمّا الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها. وأمّا الأسود بن المطّلب فعمي. وكان سبب ذلك أنّه نزل تحت شجرة السمرة فجعل يقول: يا بَنيَّ ألا تدفعون عنّي قد قتلت ؟! فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً. وجعل يقول: يا بَنيّ ألا تمنعون عنّي ؟! قد هلكت. ها هو ذا الطعن بالشوك في عينيّ ! فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً. فلم يزل كذلك حتّى عميت، عيناه. وأمّا الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصغر في بطنه حتّى خرج خرؤه من فيه فمات منها. وأمّا العاص بن وائل فبينما هو كذلك إذ دخل يوماً في رأسه شِبْرِقَة حتّى امتلات منها فمات منها. ورواه ⇦ البيهقيّ بنحو من هذا السياق.

فدية ، ثمّ أطلقوهم إلّا ثلاثة منهم : **النَّضْر بن الحارث بن كَلْدَة ، وعَقَبة بن أبي مُعيط ، ومُطْعم بن عَدِيّ**. وكان النضر بن الحارث هو الذي يقول : **إِنْ هَـٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ** ، يقصد بذلك أحاديث القرآن التي كان يقرأها النبيّ عليهم .

وقال رسول الله : يا عَلِيُّ ! عَلَيَّ بالنَّضْر . فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام بشعره . فجاء به إلى النبيّ . وكان النَّضْر رجلاً جميلاً له شعر .

قال النَّضْر : يا محمّد ! أسألك بالرحم بيني وبينك إلّا أجريتني كرجل من قريش ! إن قتلتهم قتلتني ، وإن فاديتهم فاديتني !

قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : **لَا رَحِمَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ! قَطَعَ اللَّهُ الرَّحِمَ بِالإِسْلَامِ**. قدّمه يا عليّ ! فاضرب عنقه ! فضرب عنقه .

ثمّ قال : يا عَلِيّ ! عَلَيَّ **بِعَقبة** ! فأحضر . فقال : **يا محمّد ! أَلَمْ تَقُلْ لَا تُصْبَرُ قُرَيش** ؟ فقال النبيّ : **وَأَنْتَ مِنْ قُرَيْشٍ ؟ إِنَّمَا أَنْتَ عِلْجٌ مِنْ أَهْلِ صَفُورِيَّةُ وَاللَهِ لَأَنْتَ فِي المِيلَادِ أَكْبَرُ مِنْ أَبِيكَ الَّذِي تَدَّعِي لَهُ !**

قال عَقَبة : **فَمَنْ لِلصَّبِيَّةِ ؟!**

قال رسول الله : **النَّارُ**.

ثمّ قال : **حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا**.[1]

وكان القائل : **ٱللَهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**. هو النضر بن الحارث الذي قُتِلَ

١ـ قال الميدانيّ في «مجمع الأمثال» طبعة المكتبة المحمّديّة سنة ١٣٧٦: من أمثال العرب: **حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا**: القِدْح: أحد قِداح المَيْسر، وإذا كان أحد القداح من غير جوهر إخوته، ثمّ أجاله المفِيض، خرج له صوت يخالف أصواتها، فيعرف به أنّه ليس من جملة القِداح. يضرب للرجل يفتخر بقبيلة ليس هو منها، أو هو يتمدّح بما لا يوجد فيه.

صَبْراً في معركة بدر وفقاً لدعائه .[١]

ونزلت سورة اللهب : **تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ * وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ**. في **أبـي لهب** عـمّ النـبيّ وزوجـته أُمّ جـميل أُخت أبـي سُـفيان صَخْر بن حَرْب اللذين لم يتركا نوعاً من أنواع الأذى إلّا فعلاه ضدّ النبيّ .[٢]

قال طارق المُحاربيّ : بَيْنا أنا بسوق **ذي المجاز** ، إذا أنا بشابّ يقول : قُولُوا : **لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَهُ تُفْلِحُوا**.

وإذا رجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ، ويـقول : يـا أيّـها الناس ! إنّه كذّاب فلا تصدّقوه !

قلتُ : من هذا الشابّ ؟ فقالوا : هو محمّد يزعم أنّه نبيّ ، وهذا عمّه **أبو لهب** يزعم أنّه كذّاب .[٣]

وكانت بنتا النبيّ الأكرم زوجتين لابنيّ أبي لَـهَب : إحـداهـما **رُقَـيَّة** وكانت زوجة **عتبة بن أبي لَهَب**، والأُخرى : **أُم كُلْثُوم**، وكانت زوجة **عُتَيبَة** أخيه . ولمّا نزلت الآية : **تَبَّتْ يَدَا أَبِـى لَـهَبٍ**، قـال أبـو لهب وأُمّ جـميل لابنيهما : فارقا ابنتي محمَّد ! ففارقاهما . فتزوّج عثمان بن عفّان رُقَيَّة بمكّة وهاجرت معه إلى أرض الحبشة ، وولدت له هناك ابناً سـمّاه : عـبد اللـه ، ولمّا بلغ هذا الغلام ستّ سنين ، نَقَرَ عينَه ديكٌ ، فتورّم وجـهه ، ومـرض ، ومات .

وكانت رُقَيَّة قد أُصيبتَ بمرض الحصبة في غزوة بَدْر . ولم يشترك عثمان في الغزوة المذكورة بأمر رسول الله ، وذلك مـن أجـل تـمريضها .

١ـ تفسير «مجمع البيان» ج ٢ ، ص ٥٣٨ و ٥٣٩ ، طبعة صيدا.

٢ـ السورة ١١١ : اللهب.

٣ـ تفسير «مجمع البيان» ج ٥ ، ص ٥٥٩ ، طبعة صيدا.

وتوفّيت يوم وقعة بدر ، ودُفنت يوم جاء زيد بن حارثة بشيراً بما فتح الله عليهم ببدر .[١]

ولمّا كان عُتَيْبَةُ بن أبي لَهَب قد طلّق أُمَّ كُلْثُوم ، ولم يدخل بها ، فقد تزوّجها عثمان بعد وفاة رقيّة ، وكان ذلك في السنة الثالثة من الهجرة . وتوفّيت في السنة التاسعة من الهجرة ، وصلّى عليها رسول الله ، وغسّلتها أسماء بنت عُمَيْس ، وصَفِيّة بنت عبد المُطَّلِب .[٢]

ولمّا توفّيت أُمّ كلثوم ، جلس رسول الله على قبرها ، وعيناه تدمعان ، فقال : **هَلْ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ ؟ وَلَا يَدْخُلِ القَبْرَ رَجُلٌ قَارَفَ أَهْلَهُ . فَلَمْ يَدْخُلْ عُثْمَانُ .**[٣]

ويتّضح أنّ عثمان دخل بزوجته الأُخرى أُمّ كلثوم في نفس الليلة التي توفّيت فيها بعد ما مرضها بسبب ضربة إيّاها كما ورد في الروايات ، ولم يكترث بوفاة بنت النبيّ الكريم قطّ .

وقال ابن الأثير : أخرج البيهقيّ عن قَتادَة : إنّ **عُتْبَة بن أبي لَهَب** تسلّط على رسول الله ، وآذاه وشقّ قميصه . فقال له رسول الله : **أَمَا إِنِّي أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِ كَلْبَهُ .**

فخرج **عتبة** في نفر من قريش إلى الشام ، ونزلوا في مكان يقال له : **الزَّرْقَاء** ليلاً ، فأطاف بهم الأسد ، فعدا عليه الأسد من بين القوم ، وأخذ برأسه فَضَغَمُه ضغمةً فذبحه .[٤]

١ـ «الاستيعاب» ج ٤ ، تلخيص ص ١٨٣٩ إلى ١٨٤١ ، ترجمة رقيّة بنت رسول الله.

٢ـ «الاستيعاب» ج ٤ ، ص ١٩٥٢ ، ترجمة أُمّ كلثوم بنت رسول الله.

٣ـ «الاستيعاب» ج ٤ ، ص ١٨٤١ و ١٨٤٢ .

٤ـ «دلائل النبوّة» للبيهقيّ ، ج ١ ، ص ٩٦ : الطبعة الأُولى : فلمّا أنزل الله عزّ وجلّ : **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ** . قال أبو لَهَب لابنَيْه : عُتَيْبَة وعُتْبَة ، رأسي ورؤوسكما حرام إن لم تُطَلِّقا ⇦

وأخرج البيهقيّ عن عروة، عن أبيه أنّ الأسد لمّا طاف بهم تلك الليلة انصرف عنهم فناموا. [ولمّا أحسّوا الخطر، قاموا] وجعلوا عتبة في وسطهم. فأقبل الأسد يتخطّاهم حتّى أخذ برأس عُتْبة، فَفَدَغَه (شدخه وكسره).[1]

وروى ابن عَبْد البرّ **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ إِذَا مَشَى يَتَكَفَّأُ وَكَانَ الحَكَمُ بْنُ أَبِي العَاصِ يَحكيهِ، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَاً فَرَآهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ. فَقَالَ: فَكَذَلِكَ فَلْتَكُنْ. فَكَانَ الحَكَمُ مُخْتَلِجَاً يَرْتَعِشُ مِنْ يَوْمِئِذٍ.**[2]

ونقل ابن الأثير أنّ النبيّ خاطب ربّه قائلاً: **اللَهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ مِثْلَ سِنِي يُوسُفُ. فَجِهُدُوا حَتَّى أَكَلُوا العِلْهِزَ.**[3] (يخلطون الدم بأوبار

⇦ ابنتيّ محمّدٍ! وَسَأَلَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله عُتْبَة طَلَاقُ رُقَيَّة وسألته رقيّة ذلك، وقالت له أُمُّ جميل: بنتُ حَرْبِ بن أُميّة، وهي حمّالة الحطب: طلّقها يا بُنَيَّ فإنَّها قَدْ صَبَتْ فَطَلَّقَها وَطَلَّقَ عُتْيْبَةُ أُمَّ كُلْثُوم وجاءَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله حين فارق أُمَّ كلثوم، فقال: كفرت بدينك وفارقت ابنتك لاتُحِبُّني ولا أُحِبّك، ثمّ تسلَّط على رسول الله فشقَّ قميصه فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أما إنّي أسأل الله أن يسلّط عليه كلبه. فخرج نفر من قريش حتّى نزلوا في مكانٍ من الشام يقال له: الزرقاء ليلاً فأطاف بهم الأسد تلك الليلة فجعل عُتَبْة يقول: يا ويل أُمّي هو والله آكلي كما دعا محمّد عَلَيَّ. قتلني ابن أبي كَبْشَة، وهو بمكّة وأنا بالشام. فَعَوَى عليه الأسدُ من بين القوم وأخذ برأسه فضغمة ضَغْمةً فذبحه. وذكر ابن الأثير ذلك في «النهاية» ج ٣، ص ٤٢٠ في مادّة فَدَغَ.

١ـ «دلائل النبوّة» للبيهقيّ، ج ٢، ص ٩٧.

٢ـ «الاستيعاب» ج ١، ص ٣٩٥ و ٣٦٠. وعيّرة عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت بذلك. وهجاه، وقال في عبدالرحمن بن الحكم:

إنَّ اللَّعينَ أبوك فَارْمِ عِظَامَهُ ... إنْ تَرْمِ تَرْمِ مُخَلَّجَاً مَجْنُونا

يُمْسِي خَميصَ البَطْنِ مِن عَمل التُّقَى ... وَيَظَلُّ مِن عَمَلِ الخَبِيثِ بَطِينا

٣ـ «النهاية في غريب الحديث والأثر» ج ٣، ص ٢٩٣، مادّة علهز.

الإبل ثمّ يشوونه بالنار ويأكلونه) .

أجل ، فإنّ الحالات التي نزل فيها العذاب على أثر دعاء النبيّ صلّى الله عليه وآله سواء كانت عامّة أم خاصّة ، مذكورة في التواريخ والسِيَر . وعلى هذا فما هو المانع من نزول الحجر من السماء على رأس **الحَارِث الفَهريّ** أو **جابر بن النضر** استجابة لدعائه ، وهو الذي كان معانداً للإسلام ، مستهيناً بالولاية ، متجرّئاً على رسول الله ، مؤاخذاً إيّاه منذّداً به ؟ فلا ضير أن ينزل الحجر على رأسه ويهلكه في مكانه .

وأمّا ما قاله ابن تيميّة أنّه لو تحقّق ذلك ، لعُرِفَ كقصّة أصحاب الفيل .

والجواب هو أنّ قياس هذه القصّة بقصّة أصحاب الفيل هو مَعَ الفارق ، إذ إنّ هذه القضيّة حادثة فرديّة كانت أغراض المخالفين والمنافقين مؤثّرة في بالسلدسل الستار عليها ماكان ذلك ميسوراً ، كما في أصل قضيّة الغدير إذ أسدلوا الستار عليها ، وأظهروها على شكل أمر عاديّ ، أو أنّهم قطّعوا حديث الغدير ، وبيّنوا كلّ قطعة منه في باب من الأبواب ، لا يجتمع صدره وذيله في مكان واحد ، أو أنّهم حاولوا أن يقلبوا معنى الولاية عن تلك الحقيقة الساطعة ، أو ينكروا أصل القضيّة ، ولم يقصّروا في ذلك ، ما أمكنهم ، ولكنّ الله ـ مع ذلك ـ أبقى تلك القضيّة وهّاجة حيّة ، وأرغم الصديق والعدوّ على الاعتراف والانصياع أمام عظمة هذه القصّة .

وأمّا قصّة أصحاب الفيل التي هي في عداد معجزات وكرامات بيت الله وبيت النبوّة ، وقد أذعنت بها قريش كلّها ، بل العرب جميعها ، والأُمم الأُخرى ، وهي شاهد صادق ، على أعلى المقدّسات ، وهو بيت الله الحرام المنسوب إلى الذات الأحديّة ، ذلك البيت الذي هو مطاف جميع الأُمم ، ومقصد الحجّاج والمعتمرين والعاكفين ، ذلك البيت الذي ينتظر منه

الناس جميعهم بشتّى طبقاتهم الخيرات والبركات ، فهي قصّة أُخرى لا تماثل قضيّة الحارث الذي جاء إلى رسول الله وحده ، وتحدّث معه ، ومُني بالعقوبة .

قيل :كانت مواكب العزاء والمناحة تخرج يوم عاشوراء في النجف الأشرف أيّام آية الله الشيخ مرتضى الأنصاريّ أعلى الله تعالى مقامه الشريف ، وتجوب أحياء المدينة وأزقّتها باستمرار ، وكان الشيخ الأنصاريّ يسير إلى جانب المواكب المذكورة . فدنا منه أحد **الأفنديّة** الذي كان قائمقام النجف من قِبَلِ الحكومة العثمانيّة آنذاك ، وسلّم على الشيخ وقال له : عندي سؤال ، وهو : أنّه لا شكّ أنّ الإمام الحسين قد قتل مظلوماً ، وقتله عمل قبيح ارتكبه يزيد بن معاوية . ولكن ما هو الداعي إلى تشكيل هذه المواكب وتجديد العزاء والمناحة وقراءة قصائد الرثاء والبكاء في كلّ سنة ؟ وما هو الداعي إلى اللطم والضرب بالزنجيل ؟!

قال الشيخ : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أخذ بِيَدِ عليّ ورفعها بحضور عشرة آلاف من الحجّاج في غدير خمّ ، حتّى رآه جميع الناس وقال : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**. وأنكرتم ذلك وقلتم : قضيّة شخصيّة خاصّة جاءت على أثر النزاع مع زَيد بن حَارِثَة ، أو في أعقاب شكوى بريدة . فأراد النبيّ أن يقول :

من أحبّني ، فليحبّ عليّاً ! ومن كنتُ ابنَ عمّه ، فعليٌّ ابنُ عمّه أيضاً !

إنّنا نجدّد العزاء في كلّ عام ، وتضع نساؤنا ، وأطفالنا ، ورجالنا ، وصغارنا ، وكبارنا الطين على رؤوسهم ، ونطلق في الأسواق والأزقّة ، ونبكي لتجديد ذكر الحسين وعظمته ،كي لا يتسنّى لكم أن تنكروا ذلك أيضاً ، وتقولوا :كانت قضيّة الحسين شخصيّة . ولقد نهض الحسين ضدّ أمير المؤمنين يزيد من أجل الحكم ، وقتل في هذا السبيل !

قيل : بُهت الأفَندي من بداهة الشيخ في جوابه ، ولم يحر جواباً **فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ**.[١]

أجل ، إنّ ما ادّعاه ابن تيميّة من إهمال طبقات المصنّفين هذه القضيّة كذب محض آخر أيضاً .

ألم نقرأ في هذا البحث أسماء العلماء العظام وكتبهم المعتبرة الموثوقة ، إذ نسبوا هذه الرواية بأسنادهم إلى الصحابيّ العظيم **حُذَيْفَةَ بن اليَمَان ، وسُفْيَان بن عُيَيْنَة** المعروف جلاله في العلم والتفسير والحديث ، وثقته في الرواية عند أهل السنّة ، ولا شكّ عندهم في ذلك ؟

شب پره گر وصل آفتاب نخواهد رونق بازار آفتاب نكاهد[٢]

كان أحد الأصدقاء يقول : ذهبت ذات ليلة إلى حرم السيّدة زينب عليهاالسلام في مصر ، ورأيت هناك ضجيجاً عجيباً ، إذ كانت الليلة ليلة الجمعة ، وتقاطر سُنَّة القاهرة من كلّ حدب وصوب لزيارة ابنة عليّ ، وأقاموا مراسيم العزاء والبكاء والمأتم إلى درجة أنّي اندهشتُ كثيراً ، إذ كيف يرثي السنّة زينب عليها السلام وكيف يعظّمون حرمها ، ويطوفون حول ضريحها ، ويقبّلونه ، ويمسحون عيونهم بالتراب الموجود داخل حلقات الضريح .

ومرّت ساعة ، ثمّ ارتقى المنبر خطيب فصيح وبليغ جدّاً ، وتحدّث عن الروايات المأثورة في أهل البيت مفصّلاً ، ثمّ ختم حديثه بالدعاء ، وكان الناس الحاضرون كلّهم يقولون : آمين . وكان من فقرات دعائه : **اللَهُمَّ الْعَنِ الوَهَّابِيَّةَ** . فقال الناس جميعهم : آمين .

١ـ الآية ٢٥٨ ، من السورة ٢ : البقرة.

٢ـ يقول : «إن لم يرغب الخفّاش في بلوغ الشمس ، فلا يقلّل ذلك من رونقها وبهائها» .

وهذا دليل على أنّ كافّة طوائف العامّة وأهل السُّنَّة يخالفون الوهّابيّة ، ويعتبرون رئيسَيْهَا : **ابن تيميّة ، ومحمّد بن عبد الوهّاب** منحرفَينِ ، فاسِدَي العقيدة ، وقد ذكرنا ذلك سابقاً .

الإشكال السادس : أنّ الوارد في هذا الحديث هو أنّ قائل هذا الكلام قد أُمر بأركان الإسلام الخمسة . ولمّا كان قد أقرّ بها ، فقد كان مسلماً ، ونحن نعلم أنّ أحداً من المسلمين لم يصبه عذاب في زمن النبيّ صلّى الله عليه وآله .

الجواب : أنّ هذا الحديث كما أثبت إسلام الحارث ، فكذلك أثبت كفره وارتداده وإعراضه . إذ شكّ في نبوّة رسول الله بعد سماعه حديث الغدير ؛ وشملته تلك العقوبة في حال غيظه وعصبيّته من حكم الله في نصب أمير المؤمنين عليه السلام في مقام الولاية . وكانت العقوبة بناءً على طلبه أيضاً .

يضاف إلى ذلك ، أنّنا نقرأ في كتب التأريخ والحديث بعض الموارد من هذا القبيل . منها أنّ في المسلمين من شملته العقوبة ومني بالبلاء نتيجة لكفر النعمة ، والتجرّؤ على حرمة رسول الله ، كالرجل الأعرابيّ الذي مرض ، ودخل عليه النبيّ يعوده . ولمّا قال له : **لَا بَأْسَ طَهُورٌ** .

قال الأعرابيّ : **قُلْتَ : طَهُورٌ ، كَلَّا ! بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ**[1] **عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورُ !**

فقال النبيّ : **فَنَعَمْ إذاً ! فَما أمْسَى مِنَ الغَدِ إلَّا مَيِّتَاً .**[2]

١ـ أو تَثُور ـ خ ل .

٢ـ «صحيح البخاريّ» ج ٤ ، ص ٢٠٢ الطبعة الأميريّة ، بولاق ، في كتاب المناقب ؛ وفي «الأشعثيّات» ص ٢٠٠ ، كتاب الجنائز ، باب عيادة المرضى ، روى الإمام الصادق عن

الإشكال السابع: أنّ الحارث بن النعمان غير معروف في الصحابة . وإنّما اسمه من قبيل الأسماء التي ذكرها المشعوذون وأصحاب الأباطيل والترّهات . وقصّتة من نوع أساطير وقصص **عَنْتَرة ودَلْهَمة** . وقد صُنّفت الكتب في بيان أسماء الصحابة الذين أُثِرَ عنهم شيء في الحديث ، حتّى لو كانت أحاديثهم ضعيفة . ومن هذه الكتب : كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البرّ ، وكتاب ابن مُندة ، وأبي نُعَيم الإصفهانيّ ، والحافظ أبي موسى ، ونحو ذلك . ولم يذكر أحد من هؤلاء اسمه ، ومن هنا يُفْهَم أنّه لم يرد له ذكر في الروايات .

ذلك أنّ هؤلاء الكبار من المصنّفين يذكرون ما روي عن أهل العلم ، ولا يذكرون الأحاديث الخاصّة بتسطير الأساطير والخرافات ، كما في «تَنَقُّلَات الأَنْوَار» للبكريّ الكذّاب ، وغيره .[1]

الجواب : من المستحسن أن نكتفى في جواب هذا الإشكال بما أورده **شَيْخُ الإسْلَام إمَامُ الحُفَّاظِ أحمَد بنُ عَلِيّ بْن مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّد بن عَليّ الكنانيّ العَسْقَلانيّ الشَّافعيّ** المعروف **بابن حَجَر** المولود سنة ٧٧٣ هـ ، والمتوفّى سنة ٨٥٢ هـ في مقدّمة كتاب «**الإصَابة في تَمْيِيزِ الصَّحَابَة**» .

كما أنّ العلّامة الأمينيّ نقل كلام ابن حَجَر نفسه في جواب هذا الإشكال .[2]

آبائه واحداً بعد الآخر حتّى أميرالمؤمنين عليه السلام. وأضاف العبارة الآتية في ختام حديثه: فمات ذلك الرجل، ولم يُصَلّ رسول‌الله على جنازته.

١ـ «منهاج السُّنَّة» لابن تيميّة ج ٤ ، ص ٩ إلى ١٤ .

٢ـ «الغدير» ج ١ ، ص ٢٦٤ إلى ٢٦٦ .

إنّ معاجم الصحابة جميعها غير كافية لاستيفاء أسمائهم ، فكلّ مؤلّف من أربابها جمع ما وسعته حيطته وأحاط به اطّلاعه ، ثمّ جاء المتأخّر عنه فاستدرك على من قبله ، ومع ذلك لم يُذْكَر في هذه المعاجم عُشْرٌ من أعشار أسماء الصحابة ، وهو غير قابل للذكر أيضاً .

ذلك أنّ الصحابيّ في اصطلاح العامّة ،كما قال ابن حَجَر هو **مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مؤمناً به وَمَاتَ عَلَى الإسلامِ**،[1] وإن ارتدّ بين لقائه النبيّ وموته ،كالأشعث بن قيس الذي ارتدّ بعد الإيمان ، ثمّ عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر .[2]

وعلى هذا ، فإنّ الأشخاص الذين رأوا النبيّ وهم على الإيمان ، وعاشوا بين الجبال والفلوات ، أو سكنوا في المدن والقرى والقصبات كثيرون إلى درجة أنّهم لا يحصون ، بل إنّ إحصاءهم وبيان أسمائهم جميعاً ممتنع . وأمّا ما ذكره **ابن حَجَر العَسْقَلانيّ** في كتاب «**الإصابة**» بعد الحمد والصلاة هو قوله : **أمَّا بَعْدُ** : فإنّ من أشرف العلوم الدينيّة علم الحديث النبويّ ، ومن أجلّ معارفه تمييز أصحاب رسول الله ممّن خلف بعده .

وقد جمع في ذلك [الموضوع] جمع من الحفّاظ تصانيف بحسب ما وصل إليه اطّلاع كلّ منهم . فأوّل من عرفته صنّف في ذلك **أبو عَبْدِ اللَهِ البخاريّ** . أفرد في ذلك تصنيفاً فنقل منه **أبو القاسم البَغَويّ** وغيره .

وجمع أسماء الصحابة مضمومةً إلى من بعدهم جماعة من طبقة مشايخه **كخليفة بن خَياط ، ومحمّد بن سعد** . ومن قرنائه **كيَعقوب بن سُفيان ، وأبي بكر بن أبي خَيْثَمَة** .

١ـ «الإصابة» ج ١ ، ص ١٠ .

٢ـ «الإصابة» ج ١ ، ص ١٢ .

وصنّف في ذلك جمع بعدهم **كأبي القاسم البَغَويّ ، وأبي بَكْر بن أبي داوُد ، وعَبْدَان** . ومن قبلهم بقليل **كمَطين** . ثمّ **كأبي عَليّ بن السَّكَن ، وأبي حَفْص بن شاهين ، وأبي مَنْصُور المَاوَرْدِيّ ، وأبي حَاتَم بن حَبّان ، وكالطَبَرانيّ** ضمن معجمه الكبير . ثمّ **كأبي عَبْدِ الله بن مُنْدَة ، وأبي نُعَيْم** . ثمّ **كَعُمَر بن عَبْدِ البِرّ** ، وسمّى كتابه : «**الاستيعاب**» ، لظنّه أنّه استوعب ما في كتب من قبله .

ومع ذلك فقد فاته الكثير من أسماء الصحابة ، فذيّل عليه **أبو بكر ابن فَتْحون** ذيلاً ذكر فيه أسماء فاتت ابن عبد البرّ . وذيّل عليه جماعة في تصانيف لطيفة . وذيّل **أبومُوسى المَدينيّ** على **ابن مندة** ذيلاً كبيراً .

وفي أعصار هؤلاء المصنّفين خلائق يتعسّر حصرهم ممّن صنّف في ذلك أيضاً . إلى أن كان في أوائل القرن السابع فجمع **عزّ الدين بن الأثير** كتاباً حافلاً سمّاه : «**أُسد الغابة**» ، جمع فيه كثيراً من التصانيف المتقدّمة ، إلّا أنّه تبع مَن قبله ، فخلط غير الصحابيّ بالصحابيّ ، وأغفل عن التنبيه على الأخطار والأوهام الواقعة في كتبهم .

وكذلك فعل **الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ** في كتابه، حيث أخذ من «أُسد الغابة» أسماء الصحابة وأضاف إليها أسماء أُخرى ، وذكر من شكّ بصحبتهم للرسول ، ولكنّه مع كلّ ذلك لم يستوعب كلّ الأسماء فحسب بل لم يقاربها .

وقد وقع لي بالتتبّع كثير من الأسماء التي ليست في كتاب الذهبيّ ولا أصله على الشروط التي ذكرها الذهبيّ ، وابن الأثير في صحّة الصحبة .

لذلك ، جمعت كتاباً كبيراً في ذلك ميّزت فيه الصحابة من غيرهم . ومع ذلك لم يحصل لنا منه الوقوف على العُشر من أسماء الصحابة بالنسبة إلى ما جاء عن **أبي زرعَة الرازيّ** ، لأنّ **أبا زرْعة** قال :

توفّي رسول الله صلّى الله عليه وآله ومن رآه وسمع منه زيادة على

مائة ألف إنسان من رجل وامرأة ،كلّهم قد روى عنه سماعاً أو رؤيةً .[١]

قال **ابن فتحون** في ذيل «الاستيعاب» : أجاب **أبو زرعه** بهذا سؤال من سأله عن الرواة خاصّة ، فكيف بغيرهم .

ومع هذا ، فجميع من في «الاستيعاب» ، باسم ، أوكُنية ، أو بهما ثلاثة آلاف وخمسمائة . وذكر ابن فتحون أنّه استدرك على ابن عبد البرّ على شرطه قريباً ممّن ذكر ، أي : ثلاثة آلاف وخمسمائه .

وأنا أقول : رأيتُ بخطّ **الحافظ الذهبيّ** من ظهر كتابه : «**التجريد**» قوله : لعلّ الجميع ثمانية آلاف إن لم يزيدوا ولم ينقصوا .

ثمّ رأيتُ بخطّه : أنّ جميع مَن في «أُسد الغابة» سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون نفساً .

وممّا يؤيّد قول أبي زرْعة ما ثبت في الصحيحين عن كعب بن مالك في قصّة تبوك . والناس كثير لا يحصيهم ديوان .

وثبت عن **الثوريّ** فيما أخرجه الخطيب بسنده الصحيح إليه ، قال : من قدّم عليّاً على عثمان ، فقد أزرى على اثني عشر ألفاً ، مات رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ . وقال **النوويّ** : وذلك بعد النبيّ باثني عشر عاماً ، بعد أن مات في خلافة أبي بكر في الردّة والفتوح الكثير ممّن لم يضبط أسماءهم . ثمّ مات في خلافة عمر في الفتوح ، وفي الطاعون العامّ ، وطاعون عَمْواس ،[٢] وغير ذلك ما لا يحصى كثرة ، وسبب إخفاء

١ـ سماعاً: أي: سمع النبيّ بلا واسطة. رؤية: رأى النبيّ لكنّه روى عنه الحديث ⇦ ⇦ بواسطة شخص آخر.

٢ـ عمواس كورة على ستّة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس منها. كان ابتداء الطاعون في سنة ١٨ هـ ثمّ فشا في أرض الشام، فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة.

أسمائهم أنّ أكثرهم حضروا حجّة الوداع . والله أعلم .[١]

وذكرنا في تضاعيف بحث الغدير أنّ الحضور في حجّة الوداع مع رسول الله كانوا مائة ألف أو يزيدون . وأنّ إحصاء أسماء هؤلاء الأشخاص متعذّر طبعاً وطبيعةً . فأنّى لهذه الكتب استيفاء ذلك العدد الجمّ ؟ إذ إنّ أكثر العرب كانوا مبثوثين في البراري والفلوات ، ولا يختلفون إلى الحواضر إلّا لغايات وقتيّة وأغراض خاصّة كانوا يزورون النبيّ خلالها ، ولم ينقلوا عنه حديثاً غالباً .

وذكر المصنّفون أسماء الأشخاص الذين كانوا مشهورين ومعروفين ، وكثر تداولهم في الرواية .

واستبان ممّا قلناه أنّ إشكال هذا الرجل الناقد واهٍ لا أساس له ، وخارج عن ميزان الإنصاف ، على أنّ من المحتمل أنّ عدم ذكره في عِداد الصحابة بسبب ردّته الأخيرة .

وفي «تفسير المنار» إذ جمع السيّد محمّد رشيد رضا مطالب الشيخ محمّد عَبْدُه ، فإنّه في الوقت الذي يقرّ بحديث الغدير ويرويه ، وإن اقتضى طريقة المخالفين في معنى الولاية ، وامتنع عن بيان الحقّ ، فهو أيضاً أخذ هذه الإشكالات عن ابن تيميّة في آية : سأل سآئل ، وتحدّث عنها .[٢]

وأجابه أُستاذنا المعظّم العلّامة الطباطبائيّ رضوان الله عليه في «الميزان» جواباً وافياً إجمالاً .[٣]

وكم يُسْتَقبَح حقّاً من شخص مثل الشيخ محمّد عبده الذي يدّعى

١ـ «الإصابة» ج ١ ، ص ٣ إلى ٦ .

٢ـ «تفسير المنار» ج ٦ ، ص ٤٦٤ .

٣ـ «الميزان في تفسير القرآن» ج ٦ ، ص ٥٦ إلى ٥٩ .

الحرّيّة الفكريّة أن يكون أسيراً لتلك الآراء والأفكار التي يحملها العامّة، إذ أنّى دار الحديث عن التشيّع والولاية، فإنّه يمرّ عليه بمكابرة تامّة، ولا يتنازل من أجل الحقّ، وخلاصة الكلام أنّه لا يستطيع أن يسحق ذاته، ويُسَلّم لعظمة الحقّ.

ونستخلص من هنا أنّنا لا يمكن أن نتوقّع الفهم والإدراك و الثورة والتحرّك نحو الواقع وعالم الحقيقة من هؤلاء المثقّفين الذين هم أسرى النفوس الأمّارة ويحملون نفسيّات مستكبرة تلهث وراء الصيت والسمعة.

وقال ابن طباطبا الإصفهانيّ المتوفّى سنة ٣٢٢، وهو من كبار السادة الحسنيّين:

يَا مَنْ يُسِرُّ لِيَ العَدَاوَةَ أبْدِهَا وَاعْمَدْ لِمَكْروهي بِجُهْدِكَ أوْ ذَرِ
لِلّهِ عِنْدِي عَادَةٌ مَشْكُورَةٌ فيمَنْ يُعادِيني فَلَا تَتَحَيَّرِ
أنَا وَاثِقٌ بِدُعَاءِ جَدِّي المُصْطَفَى لِأَبِي غَدَاةَ غَدِيرِ خُمٍّ فَاحْذَرِ
وَاللّهِ أسْعَدَنَا بِإرْثِ دُعَائِهِ فِيمَنْ يُعَادِي أوْ يُوَالِي فَاصْبِرِ[1]

وخاطب بهذه الأبيات أبا عليّ الرستميّ كما جاء ذلك في «ثمار القلوب» للثعلبيّ، ص ٥١١.

وذكر شيخ الإسلام الحمّوئيّ عن طريق أبي الحسن الواحديّ بإسناده

١ـ «الغدير» ج ٣، ص ٣٤٠. وقال: هو أبو الحسن محمّد بن أحمدبن إبراهيم طباطبابن إ سماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الإمام السبط الحسن بن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام الشهير بابن طباطبا. مع أنّ محمّد بن إبراهيم كان يعرف بابن الخزاعيّة، وكان يقال له محمّد الأصغر، ولم تكن كنيته: أباالحسن. وشاعرنا محمّدبن أحمد المعروف بابن طَباطبا كان بعده بنسلين، وكنيته أبوالحسن، وكان يعيش بعده بقرن. وهكذا فهو أبوالحسن محمّدبن أحمدبن محمّد الأصغر المعروف بابن الخزاعيّة بن أحمدبن إبراهيم طَباطبا.

عن عبد الله بن فضل الرافعيّ في البصرة قال : سمعت ربيع بن سَلْمان يقول : قلتُ للشافعيّ : هنا جماعة لا يطيقون سماع فضيلة لأهل البيت . وإذا ما أراد أن يذكر أحد فضيلة لهم ، فإنّهم يقولون : هذا رافضيّ : فأنشد الشافعيّ هذه الأبيات :

إذَا فِي مَجْلِسٍ ذَكَرُوا عَلِيَّاً وَسِبْطَيْهِ وَفَاطِمَةَ الزَّكِيَّة
فَأَجْرَى بَعْضُهُمْ ذِكْرَى سِوَاهُمْ فَأَيْقِنْ أَنَّهُ [ابْنُ] سَلْقَلِقِيَّة
إذَا ذَكَرُوا عَلِيَّاً أو بَنِيهِ تَشَاغَلَ بِالرِّوَايَاتِ العَلِيَّة[1]
وَقَالَ: تَجَاوَزُوا يَا قَوْمِ هَذَا فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ الرافِضِيَّة
بَرِئْتُ إلَى المُهَيْمِنِ مِنْ أُنَاسٍ يَرَونَ الرَّفْضَ حُبَّ الفَاطِمِيَّة
عَلَى آلِ الرَّسُولِ صَلَاةُ رَبِّي وَلَعْنَتُهُ لِتِلْكَ الجَاهِلِيَّةِ[2]

السلام عليك يا أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وقائد الغُرِّ المحجّلين وإمام الموحّدين ورحمة الله وبركاته . إنّانشكو إليک ونلوذبک ونواليك ومن أعدائك نتبرَّأ .

ای روی ماه منتظر تو نو بهار حسن
خال و خط تو مرکز حسن و مدار حسن
در چشم پر خمار تو پنهان فسون سحر
در زلف بی قرار تو پیدا قرار حسن[3]

١ـ جاء في النسخة البدل: بالروايات الدنيّة.

٢ـ «فرائد السمطين» ج ١ ، الباب ٢٢ ، ص ١٣٥ ؛ و «نظم درر السمطين» للزرنديّ ص ١١١.

٣ـ يقول: «يا من وجهه كالقمر، أنت ربيع الحُسن، وإنّ خالك وخطّك مركز الحسن ومداره.
تكمن في عيونك الناعسة فتنة السحر، وفي ضفائرك المتموّجه يستقرّ الحسن».

ماهی نتافت، همچو تو از برج نیکوئی
سروی نخاست چون قدت از جویبار حسن
خرّم شد از ملاحت تو عهد دلبری
فرّخ شد از لطافت تو روزگار حسن
از دام زلف و دانهٔ خال تو در جهان
یک مرغ دل نماند نگشته شکار حسن
دایم به لطف دایهٔ طبع از میان جان
می پرورد به ناز ترا در کنار حسن
گر دلبت بنفشه از آن تازه و ترست
کآب حیات می‌خورد از جویبار حسن
حافظ طمع برید که بیند نظیر تو
دیّار نیست جز رخت اندر دیار حسن[1]

١ـ يقول : «لم يطلع القمر مثل طلعتك من برج الجمال، ولم تبسق شجرة السرو من نهر الحسن كقامتك قد سعد عصرنا الجميل من ملاحتك، وأصبح ميموناً من لطافتك».».

لم يبق قلب في العالم لم يأسره حسن ضفيرتك وخالك.

إنّ حجر الطبيعة دائم اللطف إذ يحتضنك من الأعماق بالغنج والدلال إلى جانب الحسن.

إنّ الأُرجوان الذي يعلو شفتك غضّ طريّ إذ يرتشف ماء الحياة من نهر الحسن لقد يئس حافظ أن يرى مثلك. وليس في ديار الحسن أحد غيرمحيّاك».

الدرس الحادي والثلاثون بعد المائة

إلى الرابع والثلاثين بعد المائة

عيد الغدير، عيد الإسلام الكبير ويوم التهنئة

بِسْـم اللَهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيم
وصلَّى اللهُ على محمّد وآله الطَّاهرين
ولعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين
ولا حول ولا قوّة إلّا باللَه العليّ العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَهُّمَ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ * قَالَ ٱللَهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىَ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ.[1]

مـا ثَـمَر را بـه حـقيقت ز شَـجَر يـافتهايـم
مــى نــبرّيم شَــجَر را كــه ثَـمَر يـافتهايـم
هــمه جــا نـاظر حـقّيم در أطـوار وجـود
شكر گوئيم و از اين شُكْر شِكَر يافتهايـم[2]

١ـ الآيتان ١١٤ و ١١٥ ، من السورة ٥ : المائدة.

٢ـ يقول: «نحن ظفرنا بالثمر من شجرة حقيقة ، فلا نقطع شجراً استمتعنا بثمره. إنّنا نرى الله تعالى في جميع أرجاء الوجود ، وقد حصلنا على الشكر».

از دَرِ کـــعبه درآ در حـــرم کـــعبهٔ مـا
آنـچه دریـافتهایـم از رِه[1] دَرْیـافتهایـم
تا جگر خـون نشـوی ره بـه دَرِ دل نـبری
ما ره دل به دو صد خـون جگـر یـافتهایـم
هر کرا عیب نشـد یـافته از بـی‌هنری است
عیب ما یافت از آن شد که هـنر یـافتهایـم
شیخ و زاهد همه زَر یافته در حکمت دین
مـا در ایـن فـلسفه إکسـیر نـظر یـافتهایـم
سفر از خلق به حق کـن ز ره فکـر کـه مـا
گـــنج دریـــافتگان را ز ســـفر یـــافتهایـــم
تا شوی با خبر از خود خبر از خلق مجوی
ما در این بی‌خبری اصـل خـبر یـافتهایـم[2]

١ـ إشارة إلى الحديث النبويّ المتواتر عن الشيعة والعامّة: **أَنَا مَدِينَةُ العِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا وَمَنْ أَرَادَ المَدِينَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا.**

٢ـ يقول: «ادخل في حرم كعبتنا من باب الكعبة ، فما ظفرنا به نحن إنّما ظفرنا به من الباب».

وإنّك لن تستطيع أن تصل باب القلب ما لم تكابد وتعاني ، فإنّنا عانينا وكابدنا كثيراً حتّى بلغنا ذلك.

من لا يدرك عيبه فهو دليل على حرمانه للفنون ، وقد وصلنا إلى عيوبنا جرّاء تمتّعنا بالمواهب. إنّ الشيخ والزاهد ومن ماثلهما وجدا الذَّهَب في حكمة الدين أمّا نحن فقد وجدنا إكسير النظر في فلسفة الدين.

سافر من الخلق إلى الحقّ عن طريق فكرك ، فإنّنا وجدنا كنز الواصلين بواسطة السفر.

تسأل أحداً من الخلق حتّى تخبر عن نفسك ، فإنّنا عرفنا أصل الخبر في عدم معرفة الخلق».

أی پسر پند نیوش از پدر پیر که ما
دولت عافیت از پند پدر یافته‌ایم
بر نداریم سر از پای خُم باده فروش
ما نهادیم سر اینجا که أثر یافته‌ایم
دَر به دَر عمری ازین خانه به آن خانه‌شدیم
تا به خاک در میخانه مقرّ یافته‌ایم
شب قدر از نظر خلق نهان آمد و ما
این شب قدر ز تأثیر سحر یافته‌ایم
قمر از پرتو خورشید منوّر شد و ما
پرتو مهر درخشان ز قمر یافته‌ایم
طرفه گویند مسیحا که خدایش پدر است
ما خداوند مسیحا ز پسر یافته‌ایم
روشن از نورِ علی چشم فؤاد است حکیم
که زخاک قدمش کُحل بصر یافته‌ایم[1]

١ـ يقول : «شمع جمع» لفؤاد كرمانيّ ، ص ٢١٢ ويقول: «يا بُنيّ اسمع نصيحة أبيك الشيخ فإنّنا رزقنا العافية بسماع نصيحة أبينا .

لن نرفع الرأس عن قدم الساقي وقد وصفنا الرأس هنا لأنّنا وجدنا آثار عملنا هذا بكلّ وضوح. لقد تجوّلنا من بيت إلى بيت ردحاً من أعمارنا ، حتّى استقرّ بنا المقام عند تربة الخمّارة.

إنّ ليلة القدر خافية على الناس ، وقد وجدناها هذه الليلة بتأثير من السحر.

لقد استنار القمر بضياء الشمس ، ونحن استضأنا بنور الشمس المضيئة من القمر.

إنّه لشيء عجاب أن يقول النصارى إنّ الله أبو المسيح ، فإنّنا وجدنا ربّ المسيح بواسطة ابنه.

بصرت عيني بنور عليّ أيّها الحكيم ، فوجدنا تراب أقدامه كحلاً للبصر».

يَوْمُ الغَدِيرِ سِوى العِيدَيْنِ لي عِيدُ يَوْمٌ يَسُرُّ بِهِ السَّادَاتُ وَالصِّيدُ[1]
نَالَ الإمَامَةَ فِيهِ المُرْتَضَى وَلَهُ فِيهِ مِنَ اللَهِ تَشْرِيفٌ وَتَمْجِيدُ[2]

* * *

وَنَاصِبِيٌّ شَدِيدُ النَّصْبِ قَابَلَنِي يَوْمَ الغَدِيرِ بِوَجْهٍ غَيْرِ ذِي جَذِلِ
فَقَالَ: قُلْ لِي مَاذَا اليَوْمُ قُلْتُ لَهُ اليَوْمُ عِيدُ أميرِ المُؤمِنِينَ عَلِي[3]

جاء في «الأمالي» لأبي عبد الله النيسابوريّ ، و «الأمالي» للشيخ أبي جعفر الطوسيّ ، في خبر عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن الإمام الرضا سلام الله عليه **أَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَدَّثني أبي عَنْ أبيهِ أنَّ يَوْمَ الغَدِيرِ فِي السَّمَاءِ أَشْهَرُ مِنْهُ فِي الأَرْضِ. إنَّ لِلَّهِ تَعَالَى فِي الفِردُوسِ قَصْرَاً لِبْنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَلِبْنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، فِيهِ مِائَةُ أَلْفِ قُبَّةٍ حَمْرَاءَ، وَمِائَةُ أَلْفِ خَيْمَةٍ مِنْ يَاقُوتةٍ خَضْرَاءَ، تُرَابُهُ المِسْكُ وَالعَنْبَرُ، فِيهِ أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ؛ نَهْرٌ مِنْ خَمْرٍ، وَنَهْرٌ مِنْ مَاءٍ، وَنَهْرٌ مِنْ لَبَنٍ، وَنَهْرٌ مِنْ عَسَلٍ، حَوَالَيْهِ**[4] **أَشْجَارُ جَمِيعِ الفَوَاكِهِ،**

١ـ صِيْد جمع أصْيَد بمعنى الملك أو الأسد.

٢ـ «المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٥٤٠ ، الطبعة الحجريّة، ونسبت هذه الأشعار في الكتاب المذكور إلى شاعر لم يعيّن اسمه. ولكن ذكرها صاحب «الغدير» ج ٤ ، ص ٣١٩ لأبي الحسن الفنجكرديّ ، وأضاف إليها البيتين الآتيين:

يَقُولُ أحمدُ خيرُ المرسلين ضُحىً في مجمع حضرته البيضُ والسُّودُ
والحمد للّه حمداً لا انقضاء له له الصنايع والألطاف والجودُ

٣ـ «المناقب» لابن شهر آشوب ١: ٥٤٠.

٤ـ **حَوْل وحَوْلى وحَوَال وحَوَالَى** ، بمعنى الجهات المحيطة بالشيء، يقال: **قَعَدَ حَوْلَهُ وَحَوْلَيْه وَحَوَالَهُ وَحَوَالَيْه** أي: قعد في الجهات المحيطة بذلك الشيء أو الشخص. وينبغي أن نعلم أنّ استعمال لفظ **حَوَالِي** بكسر اللام الشائع اليوم على الألسنة خطأ. يقولون: مدينة الري حَوَالي طهران. وهذا خطأ، وينبغي لهم أن يقولوا: حَوَالَى طهران. وحَوَالِيّ بكسر اللام وتشديد الياء جمع حَوْليّ بمعنى مُهر الحمار والعجل وما شابههما، وقد ⇦

عَلَيْهِ الطُّيُورُ، وَأَبْدَانُهَا مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَأَجْنَحَتُهَا مِنْ يَاقُوتٍ، تَصُوتُ بِأَلْوَانِ الأَصْوَاتِ، إِذَا كَانَ يَوْمُ الغَدِيرِ وَرَدَ إِلَى ذَلِكَ القَصْرِ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ يُسَبِّحُونَ اللَهَ وَيُقَدِّسُونَهُ وَيُهَلِّلُونَه.

فَتَتَطَايَرُ تِلْكَ الطُّيُورُ، فَتَقَعُ فِي ذَلِكَ المَاءِ، وَتَمَرَّغُ عَلَى ذَلِكَ المِسْكِ وَالعَنْبَرِ فَإِذَا اجْتَمَعَ المَلائِكَةُ طَارَتْ فَيَنْفُضُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ. وَإِنَّهُمْ فِي ذَلِكَ اليَوْمَ لِيَتَهادَوْنَ نِثَارَ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ.

فَإِذَا كَانَ آخِرُ اليَوْمِ، نُودُوا: انْصَرِفُوا إِلَى مَرَاتِبِكُمْ! فَقَدْ أَمِنْتُمْ مِنَ الخَطَرِ وَالزَّلَلَ إِلَى قَابِلٍ فِي هَذَا اليَوْمِ تَكْرِمَةً لِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ ـ الخبر.[1و2]

وجاء في «**مصباح المُتَهجِّد**» للشيخ الطوسيّ في خطبة الغدير: **إِنَّ**

⇦ مرّ ت عليه سنة من عمره.

١ـ «مناقب ابن شهر آشوب» ج ١، ص ٥٤٠.

٢ـ جاء هذا الخبر بحذافيره في «الإقبال» ٤٦٨، وقال في صدر الخبر: روينا بإسنادنا الذي ذكرناه قبل هذا التفصيل إلى الشيخ الموثوق بروايته محمّد بن أحمد بن داود في كتاب «كمال الزيارات» قال: أخبرنا أبو علي أحمد بن محمّد بن عمّار الكوفيّ، قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا عليّ بن الحسن بن عليّ بن فضال، عن محمّد بن عبدالله بن زرارة، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، قال: كنّا عند الرضا عليه السلام والمجلس غاصٌّ بأهله فتذاكروا يوم الغدير، فأنكره بعض الناس. فقال الرضا عليه السلام: حدّثني أبي عن أبيه عليهما السلام ثمّ سرد هذه الرواية بالعبارات المذكورة، وجاء في تتمّتها: ثمّ التفت فقال لي: يا ابن أبي نصر أينما كنت فاحضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين عليه السلام فإنّ الله تبارك وتعالى يغفر لكلّ مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة ذُنوبَ ستّين سنة ويعتق من النار ضعف ما أعتق من شهر رمضان وليلة القدر وليلة الفطر. ولدرهم فيه بألف درهم لإخوانك العارفين. وأفضِل على إخوانك في هذا اليوم وسُرَّ فيه كلّ مؤمن ومؤمنة. ثمّ قال: يا أهل الكوفة! لقد أُعطيتم خيراً كثيراً وإنّكم لممّن امتحن الله قلبه للإيمان، مستذلّون مقهورون ممتحنون يصبّ البلاء عليهم صبّاً ثمّ يكشفه كاشف الكرب العظيم. والله لو عرف الناس فضل هذا اليوم بحقيقته لصافحتهم الملائكة في كلّ يوم عشر مرّات.

أَمِيرَ المُؤمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إنَّ هَذَا يَوْمٌ عَظِيمُ الشَّأنِ، فِيهِ وَقَعَ الفَرَجُ، وَرُفِعَ الدَّرَجُ وَصَحَّتِ الحُجَجُ، وَهُوَ يَوْمُ الإيضَاحِ وَالإفْصاحِ عَنِ المَقَامِ الصَّرَاحِ، وَيَوْمُ كَمَالِ الدِّينِ، وَيَوْمُ العَهْدِ المَعْهُودِ، وَيَوْمُ الشَّاهِدِ وَالمَشْهُودِ، وَيَوْمُ تِبْيَانِ العُقُودِ عَنِ النِّفَاقِ وَالجُحُودِ، وَيَوْمُ البَيَانِ عَنِ حَقَائِقِ الإيمَانِ، وَيَوْمُ دَحْرِ الشَّيطَانِ، وَيَوْمُ البُرْهَانِ، هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ، هَذَا يَوْمُ المَلَإِ الأعْلى الَّذي أنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ، هَذَا يَوْمُ الإرشَادِ وَيَوْمُ المِحْنَةِ لِلْعِبَادِ، وَيَوْمُ الدَّلِيلِ عَلَى الرُّوَّادِ، هَذَا يَوْمٌ أبْدَى خَفَايَا الصُّدُورِ وَمُضْمَرَاتِ الأُمُورِ، هَذَا يَوْمُ النُّصُوصِ عَلَى أهْلِ الخُصُوصِ، هَذَا يَوْمُ شَيْثٍ، هَذَا يَوْمُ إدْرِيسَ، هَذَا يَوْمُ يُوشَعَ، هَذَا يَوْمُ شَمْعُونَ.[1] هَذَا يَوْمُ الأَمْنِ المَأْمُونِ، هَذَا يَوْمُ إظْهَارِ المَصُونِ مِنَ المُكْنُونِ، هَذَا يَوْمُ إبلَاءِ السَّرَائِرِ.

فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: هَذَا يَوْمُ هَذَا يَوْمُ...

فَرَاقِبُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَاتَّقُوهُ وَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوهُ! وَاحْذَرُوا المَكْرَ وَلَا تُخَادِعُوهُ! وَفَتِّشُوا ضَمَائِرَكُمْ وَلَا تُوَارِبُوهُ وَتَقَرَّبُوا إلى اللهِ تَعَالَى بِتَوْحِيدِهِ وَطَاعَةِ مَنْ أمَرَكُمْ أَنْ تُطِيعُوهُ! وَلَا تُمَسِّكُوا وَلَا يَجْنَحْ بِكُمُ الغَيُّ فَتَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ بِاتِّبَاعِ أُولَئِكَ الَّذِينَ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

قَالَ اللهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِي طَائِفَةٍ ذَكَرَهُمْ بِالذَّمِّ فِي كِتَابِهِ:

إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ۞ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا.[2] وَقَالَ تَعَالى:

١ـ ذكر ابن شهرآشوب هذا المقدار من الخطبة في «المناقب» ج ١، ص ٥٤٠. وذلك من وسطها. وهذه الخطبة طويلة جدّاً في كتاب «مصباح المتهجّد» للشيخ الطوسيّ. وشغلت خمس صفحات كبيرة من الكتاب المشار إليه، سعة كلّ صفحة واحداً وعشرين سطراً.

٢ـ الآيتان ٦٧ و ٦٨، من السورة ٣٣: الأحزاب.

وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا؛ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ.[1]

أفَتَدْرُونَ الاسْتِكْبَارَ مَا هُوَ ؟ هُوَ تَرْكُ الطَّاعَةِ لِمَنْ أُمِرُوا بِطَاعَتِهِ وَالتَّرَفُّعُ عَلَى مَنْ نُدِبُوا إِلَى مُتَابَعَتِهِ وَالقُرْآنُ يَنْطِقُ مِنْ هَذَا عَنْ كَثِيرٍ، إِنْ تَدَبَّرَهُ مُتَدَبِّرٌ زَجَرَهُ وَوَعَظَهُ... إلى آخر الخطبة.[2]

١ـ تركيب من الآية ٤٧، من السورة ٤٠: غافر، والآية ٢١، من السورة ١٤: إبراهيم.

٢ـ «مصباح المتهجّد» ص ٥٢٤ إلى ٥٢٩. وقال قبل بيان الخطبة: أخبرنا جماعة عن أبي محمّد هارون بن موسى التلعكبريّ: قال: حدّثنا أبو الحسن عليّ بن أحمد الخراسانيّ الحاجب في شهر رمضان سنة ٣٣٧: قال: حدّثنا سعيد بن هارون أبو عمر المروزيّ وقد زاد على الثمانين سنة: قال: حدّثنا الفيّاض بن محمّد بن عمر الطوسيّ بطوس سنة ٢٥٩ وقد بلغ التسعين أنّه شهد أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام في يوم الغدير وبحضرته جماعة من خاصّته وقد احتبسهم للإفطار، وقد قدّم إلى منازلهم الطعام والبرّ والصلات والكسوة حتّى الخواتيم والنعال، وقد غيّر من أحوالهم وأحوال حاشيته، وجدّدت له آلة غير الآلة التي جرى الرسم بابتذالها قبل يومه، وهو يذكر فضل اليوم وتقدّمه. فكان من قوله عليه السلام: حدّثني الهادي أبي عن جدّي الصادق، قال: حدّثني أبي الباقر عن سيّد العابدين، عن أبيه الحسين، قال: اتّفق في بعض سنين خلافة أبي الجمعة والغدير. فصعد المنبر على خمس ساعات من نهار ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه حمداً لم يُسْمَع بمثله، وأثنى عليه ثناءً لم يتوجّه إليه غيره. فكان ما حُفِظَ من ذلك: **الحمد للّه الذي جعل الحمد من غير حاجةٍ منه إلى حامديه طريقاً من طريق الاعتراف بلاهوتيّته وصَمَدانيّته وربّانيّته وفرقانيّته**... إلى آخر الخطبة الحاوية على أنفس المعارف والحكم، وبيان حقيقة يوم عيد الغدير.

ونقل السيّد ابن طاووس رضوان الله عليه هذه الخطبة بتمامها مع مقدّماتها المتمثّلة بكلمات الإمام الرضا عليه السلام، وذلك بسنده المتّصل عن الشيخ الطوسيّ («الإقبال» ص ٤٦١ إلى ٤٦٤).

قال الفَنْجْكِرْديّ :

لَا تُـنْكِرَنَّ غَـديرَ خُـمٍّ إنَّـهُ كَالشَّمْسِ فِي إشْرَاقِهَا بَلْ أظْهَرُ
فِـيهِ إمَـامَةُ حَـيْدَرٍ وَكَـمَالُهُ وَجَلَالُهُ حَتَّى القِيَامَةِ تُـذْكَـرُ[1]

وقال البشنويّ :

يَـوْمُ الغَـدِيرِ لِـذي الوَلَايَـةِ عِـيدُ
وَلَـدَى النَّـواصِبِ فَـضْلُهُ مَـجْحُودُ
يَـوْمٌ يُـوَسَّمُ فِـي السَّـمَاءِ بِأنَّـهُ
العَـهْدُ وَفِـيهِ ذَلِكَ المَـعْهُودُ
وَالأرْضُ بِـالميراثِ أضْـحَتْ وَسْـمَهُ
لَـوْ طَـاعَ مَـوْطُودٌ وَكَـفَّ حَسُـودُ[2]

وقال هذا الشاعر أيضاً :

وَقَـدْ شَـهِدُوا عِـيدَ الغَـدِيرِ وَأُسْـمِعُوا
مَـقَالَ رَسُـولِ اللَـهِ مِـنْ غَـيْرِ كِـتْمَانِ

١ـ «المناقب» لابن شهرآشوب ج ١، ص ٥٤٠. وفَنْجْكِرْد بفتح الفاء وسكون النون والجيم، وكسر الكاف وسكون الراء قرية من نواحي نيسابور. وكان الفنجكرديّ من شعراء أهل البيت في القرن السادس. اسمه الشيخ أبو الحسن عليّ بن أحمد، ووردت ترجمته وأشعاره في «الغدير» ج ٤، ص ٣١٩إلى ٣٢٥.

٢ـ «المناقب» لابن شهرآشوب ج ١، ص ٥٤٠؛ و «الغدير» ج ٤، ص ٣٤. وقائلها هو البَشْنَويّ الكُرديّ من أعلام القرن الرابع. كان من المتضلّعين في التشيّع، ومن مادحي العترة الطاهرة، وله أشعار أُخرى في عيد الغدير، وهي راقية جدّاً، منها قوله:

وَقَـدْ شَـهِدُوا عِـيدَ الغَـدِيرِ وَأُسْـمِعُوا مَـقَالَ رَسُـولِ اللَـهِ مِـنْ غَـيْرِ كِـتْمَانِ
أَلَسْتُ بِكُمْ أَوْلَـى مِـنَ النَّـاسِ كُـلِّهِمْ فَقَالُوا: بَلَى ! يَا أَفْضَلَ الإِنْسِ وَالجَانِ

إلى آخر أبياته الواردة في المتن.

أَلَسْتُ بِكُمْ أَوْلَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
فَقَالُوا: بَلَى ! يَا أَفْضَلَ الإِنْسِ وَالجَانِ
فَقَامَ خَطِيباً بَيْنَ أَعْوَادِ مِنْبَرٍ
وَنَادَى بِأَعْلَى الصَّوْتِ جَهْرَاً بِإِعْلَانِ
بِحَيْدَرَةٍ وَالقَوْمُ خُرْسٌ أَذِلَّةٌ
قُلوبُهُمْ مَا بَيْنَ خَلْفٍ وَعَيْنَانِ
فَلَبَّى مُجِيباً ثُمَّ أَسْرَعَ مُقْبِلاً
بِوَجْهٍ كَمِثْلِ البَدْرِ فِي غُصْنِ البَانِ
فَلَاقَاهُ بِالتَّرْحِيبِ ثُمَّ ارْتَقَى بِهِ
إِلَيْهِ وَصَارَ الطُّهْرُ لِلْمُصْطَفَى ثَانِ
وَشَالَ بِعَضْدَيْهِ وَقَالَ وَقَدْ صَغَى
إِلَى القَوْلِ أَقْصَى القَوْمِ تَاللَهِ وَالدَّانِي
عَلِيٌّ أَخِي لَا فَرْقَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
كَهَارُونَ مِنْ مُوسى الكَلِيمِ بْنِ عِمْرَانِ
وَوَارِثُ عِلْمِي وَالخَلِيفَةُ فِي غَدٍ
عَلَى أُمَّتِي بَعْدِي إِذَا زُرْتُ جُثْمَانِي
فَيَا رَبِّ مَنْ وَالَى عَلِيَّاً فَوَالِهِ !
وَعَادِ الَّذِي عَادَاهُ وَاغْضِبْ على الشَّانِي[1]

١ـ «المناقب» لابن شهرآشوب ج ١، ص ٥٣٤؛ و «الغدير» ج ٤، ص ٣٤. وجاء في البيت الخامس المذكور في «المناقب» **فَلَبَّى مُجيباً**. وفي «الغدير» **قَلَبَّ مجيباً**. وفي البيت الأخير في «المناقب»: ❊ **وَدان مَدانيهِ لا تنصر الشاني** ❊؛ وفي «الغدير»: ❊ **وعاد الذي عاداه واغضب على الشاني** ❊.

أجل ، يقال لعيد الغدير عيد ، لأنّ الذكريات والقضايا المهمّة قد وقعت في ذلك اليوم فى غدير خمّ ، من خطبة رسول الله ، وأخذه بضبعي عليّ حتّى بان بياض إبطيهما ، وتعريفه للناس ، ثمّ الأمر بالسلام عليه بلفظ **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أميرَ المؤمنين** بعد نصبه في خلافة رسول الله ، وإعطائه الولاية الإلهيّة الكلّيّة ، ونزول آية إكمال الدين وإتمام النعمة ، وآية التبليغ وانقياد المخالفين وتسليمهم أمام تلك العظمة والأُبّهة الحقيقيّة والظاهريّة ، ثمّ مخالفتهم بعد وفاة رسول الله ، وأخيراً ما تركته من نتائج سريعة ،كلّ ذلك يرتبط بيوم عيد الغدير ، ويعود إليه ، ويدلّ عليه ، وتهطل تلك البركات النازلة على أهله .

ذلك أنّ كلمة **العيد** من **عَوَدَ** بمعنى عاد . وقال في «أقرب الموارد» : العيد : الموسم ، وكلّ يوم فيه جمع أو تذكار لذي فضل ، وقيل : حادثة مهمّة . وقال ابن الأعرابيّ : لأنّه يعود كلّ سنة بفرح مجدّد .

وكان أصل كلمة **عِيْد** ، **عِوْد** . قلبت الواو ياءً لسكونها بعد كسرة ، فصارت **عيداً** ، والجمع **أعْياد** ، والتصغير **عُيَيْد** ، وقد بنوه من معتلّ ، إمّا لأنّ واحدهُ عيد ، أو لوجود الفرق بينه ، وبين **العُود** بمعنى الخشب ، وجمعه **أعوَاد** وتصغيره **عُوَيْد** . وقال في أصل المادّة : **عَادَ** إلى كَذَا **يَعُودُ عَوْداً وَعَوْدَةً وَمعاداً** ، وقيل : عاد بعد الإعراض والانصراف .

وورد هذا الكلام أيضاً في «صحاح اللُّغَة» و «المِصْباح المنير» . وأضاف في «المصباح» قوله : **عَيّدتُ تَعييداً** ، أي : شهدت العيد .

وبعد أن علمنا معنى العيد في اللغة ، ننتقل إلى معناه المصطلَح عليه عند الناس والطوائف والمِلَل والنِّحَل . فبأيّ معنى يستعمل هؤلاء كلمة العيد ؟ ونقول توضيحاً لهذا المطلب : إنّ هناك شيئاً خاصّاً له أهمّيّته عند كلّ طائفة وجماعة ، وكلّ شعب ، ومذهب مثل الذكرى السنويّة لواقعة

وحادثة ما إذ تتجدّد في كلّ سنة من أجل تكريمها والإشادة بروحها ومعناها ، ويعيشون الفرح والسرور في الاحتفال بتلك الواقعة . وعلى الرغم من أنّ الواقعة المذكورة قد مضت ، بَيدَ أنّهم يقتربون إليها بأرواحهم من خلال تخليدها وإحياء ذكرياتها العالقة في الأذهان ، ويمتّعون بذلك أنفسهم .

ولمّا كان طلّاب الدنيا لا يبتغون إلّا الوصول إلى المنافع الدنيويّة لا غير ، لذلك يعيّدون عند ظهور ظاهرة دنيويّة ، فالملوك يعيّدون ويبتهجون بعد تسيير الجيوش وإراقة الدماء والتمكّن من الخصم ، والتسلّط على الشعوب التي خطّطوا للسيطرة عليها ، ويشيّدون أقواس النصر ، ويجدّدون ذكرى ذلك الانتصار في كلّ عام .

وكان الفرس القدماء يتّخذون النوروز عيداً لاعششاب الأرض ، واخضرار الأشجار ، وحلول فصلٍ تضحك فيه الأرض بعد انقضاء فصل الخريف والشتاء فإذا هي أنضر يوماً بعد آخر .

وهذا منطق يتشدقّ به من لا شغل له بالمعنويّات والروحانيّات ، إذ يرى القيم الإنسانيّة في المادّة والخضرة فحسب . وفي الحقيقة ما هو الفرق بين هذا العيد وعيد البهائم التي تبتهج وتنتعش في فصل الربيع ، وترعى في الحقول والمروج والمراتع ، بعد أن كانت كئيبة ومتعبة في فصل الشتاء ؟ فهي على ذلك النمط ، والإنسان على هذا النمط . والحقيقة واحدة ، لكنّها للبهائم بذلك الشكل ، وللإنسان بهذا الشكل .

نقرأ في كتاب «كشف المحجّة» للسيّد ابن طاووس أنّه لم يعيّد ولم يحتفل في يوم ميلاد ولده ، بل كان يعيّد ويحتفل في يوم بلوغه وتشرّفه بشرف التكليف ، إذ تأهّل لخطاب الله ، وجرى عليه قلم التكليف . قال في الفصل الثالث والمائة : فإذا وصلت إلى الوقت الذي يشرّفك الله

جلّ جلاله يا ولدي محمّد بكمال العقل ، وهو جلّ جلاله أهل من استصلحك لمجالسته ومشافهته ودخول مقدّس حضرته لطاعته ، فليكن ذلك الوقت عندك مؤرّخاً محفوظاً من أفضل أوقات الأعياد ، وكلّما أوصلك عمرك المبارك إليه في سنة من السنين فجدّد شكراً وصدقات وخدمات لواهب العقل الدالّ لك على شرف الدنيا والمعاد . واعلم أنّي أحضرت أُختك (شرف الأشراف) قبل بلوغها بقليل ، وشرحت لها ما أحتمله من حالها من تشريف الله جلّ جلاله لها بالإذن لها في خدمته جلّ جلاله بالكثير والقليل وقد ذكرت الحال في كتاب «**البَهْجَةَ لِثَمَرَةِ المُهْجَة**» .

الفصل الرابع والمائة : وإن بقيتُ حيّاً على ما عوّدني الله جلّ جلاله من رحمته وعنايته ، فإنّني أجعل يوم تشريفك بالتكليف عيداً أتصدّق فيه بمائة وخمسين ديناراً ، عن كلّ سنة بعشرة دنانير ، إن كان بلوغك بالسنين ، وأشتغل بذلك في خدمته . وإنّما هو ماله جلّ جلاله وأنا مملوك وأنت عبده ! فتحمل إليه من ماله ما يريد أن تحمله لجلاله .[1]

١ـ ص ١٢٤ و ١٢٥ ، الفصلان ١٠٣ و ١٠٤ من الطبعة الحجريّة. وسمّى السيّد ابن طاووس كتابه «**كَشْفُ المحجّة لِثَمَرَةِ المُهْجَة**» ، أو «**إسْعَادُ ثَمَرَةِ الفُؤاد عَلَى سَعَادَةِ الدُّنيا وَالمَعَادِ**» ، أو «**كَشْفُ المحجَّة بِأكُفِّ الحُجَّةِّ**» ، كما قال ذلك في الفصل الثالث عشر من هذا الكتاب. وكذلك قال في الفصل التاسع منه إنّ عمره دخل سنة ٦٤٩ هـ، ولمّا دخل يوم النصف من محرّمها قبيل الظهر، يكون ابتداء دخوله في سنة إحدى وستّين من عمره لأنّه ولد قبل ظهر يوم الخميس نصف محرّم سنة ٥٨٩ في بلدة الحلّة السيفيّة، وكان ولده محمّد قد أكمل ستّ سنوات من عمره، ودخل في السنة السابعة منه. وأتمّ ولده عليّ سنتين من عمره ودخل في الثالثة. واتّخذ هذا الكتاب طابع الوصيّة لولديه محمّد وعليّ ومن عساه ينتفع به من جماعته وذوي مودّته، مع أنّ الخطاب فيه معنون إلى ولده محمّد: ياولدي محمّد! فلهذا يحترم الشيعة هذا الكتاب ويقدّرونه تقديراً تامّاً، ويحتفظ به العلماء العاملون والطلّاب الأفاضل في جيوبهم، ويحملونه معهم في حلّهم وترحالهم. وأوصاني خال ⇦

بَيدَ أنّ الأديان السماويّة وضعت الأعياد لأتباعها على أساس القيم الإنسانيّة ، وبلوغ الأهداف الإيمانيّة ، والخروج من ربقة الشرك ، والتحرّر من كُبول المتجبّرين والطغاة الذين سخّروا الناس لتنفيذ مآربهم واستغلّوهم لمصالحهم الاستكباريّة .

وفي الدين الإسلاميّ المقدّس عيدان هما الفطر والأضحى . أمّا عيد الفطر فقد شُرِّع بسبب إعراض الناس عن الإفراط في الشهوات خلال شهر واحد هو شهر رمضان ، إذ صاموا أيّامه ، وقاموا لياليه ، وارتقت الحالة الروحانيّة والمعنويّة فيهم من خلال ما عملوه من الصالحات أكثر من سائر الأيّام كالإنفاق في سبيل الله ، وتلاوة القرآن الكريم أكثر ، والعزوف عن المحرّمات والمكروهات ، وتطهير النفس الأمّارة وتزكيتها ، وتيسّر لهم التخفّف والتجرّد وإمكان العروج إلى عوالم القدس ، لأنّ الطعام ، والشهوة ، والغضب مفاتيح جهنّم ومقاليد سلطة الشيطان . وفي هذا الشهر ، جعل الله الجوع والعطش مائدته السماويّة لضيوفه ، ويستبين أنّها أفضل تحفة من ربّ الأرباب .

اندرون از طعام خالی دار تا در آن نور معرفت بینی[1]

وينبغي أن نتّخذ ذلك اليوم عيداً ، ونستلم عيديّتنا من الله الكريم الرحيم في هذا الوقت الذي هو وقت الحصول على النتيجة والأجر . بَيدَ أنّ الاحتفال بالعيد لا يعني العزف والضرب على الطبول ، ولا يعني تناول الحلويّات وارتداء الملابس الملوّنة ، ولا التنزّه البهيمي ّ ، بل يعني درجة عليا من التزكية والتطهير ، وصقل أفضل للنفس كي تستعدّ للبركات ونزول

⇦ والدي المرحوم آيةالله الميرزا محمّد الطهرانيّ أن أحمل هذا الكتاب في جيبي دائماً.

١ـ يقول : «أخْلِ جوفك من الطعام ، لترى فيه نور المعرفة».

الموائد السماويّة .

ويستحبّ في ليلة عيد الفطر غسلان : أحدهما في أوّل الليل ، والثاني في آخره . وتلك الليلة هي ليلة الإحياء ، أي : الانشغال بالعبادة والقيام والذكر ، ذكر المحبوب والمعشوق الأزليّ والحبيب السرمديّ . ويستحبّ الغسل في يوم العيد أيضاً .

ونشهد في يوم العيد الذهاب إلى صلاة العيد ، وإقامتها في الصحراء مع جميع الناس ، وأداءها بكيفيّة خاصّة ، في ركعتين وتسعة قنوتات ، وإطلاق اللسان بذكر التهليلات : **اللَهُ أكْبَرُ ، اللَهُ أكْبَرُ ، لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ وَاللَهُ أكْبَرُ ، اللَهُ أكْبَرُ ، وَلِلَّهِ الحَمْدُ ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا هَدَانَا وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أوْلَانَا** .

وأمّا عيد الأضحى ، فقد شُرّع بسبب ترك الناس بيوتهم وأوطانهم ومكاسبهم وأعمالهم وصيتهم وجاههم وجميع ما يتعلّقون به عشقاً للقاء وجه الله . ويتوجّهون شطر المسجد الحرام من كلّ فجّ عميق ، ويؤدّون المناسك من طواف وسعي ووقوف في عرفات خارج الحرم ، ثمّ الدخول في الحرم والمشعر ، ويستريحون في المزدلفة ليلاً بإذن الدخول الذي حصلوا عليه من الله ، ثمّ يأتون إلى مِنى ، ويرجمون الشيطان سبعاً ، وينحرون ، ويحلّقون ، وهم حفاة حاسرو الرؤوس في هذه المدّة يبحثون عن الحبيب ويتحرّون .

ومن المناسب أن يعيّدوا ويبتهجوا عند خروجهم من الإحرام شكراً للّه على قبول هذه الأعمال الشاقّة . والمُلذّة في آنٍ واحد . ثمّ يحمدوا الله ويتهيّأوا لمراسم العيد التي تمثّل ذكراً للّه وتطهيراً أكثر ، ويؤدّوا صلاة العيد ، ويطلقوا ألسنتهم بالتقديس والتمجيد الإلهيّ ، وبيان جمال الله وجلاله ، والنطق بمحاسنه ومواطن جماله ، وإعلان الوحدة ، وتوحيد الذات

والأسماء والصفات والأفعال في العالم ، والقول : **اللَهُ أكْبَرُ ، اللَهُ أكْبَرُ ، لَا إلَهَ إلَّا اللَهُ وَاللَهُ أكْبَرُ ، اللَهُ أكْبَرُ وَلِلَّهِ الحَمْدُ ، اللَهُ أكْبَرُ عَلَى مَا رَزَقَنَا مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ، الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أبْلَانَا .**

وليس الحجّاج فحسب ، بل إنّ كافّة المسلمين في شتّى بقاع العالم ينبغي أن يبتهجوا بهذه الموهبة العظمى التي حازها إخوانهم في تلك المواقف الكريمة ، وينحروا بعد الأعمال التي قاموا بها في ذي القعدة والأيّام العشرة الأُولى من ذي الحجّة ، ويقيموا صلاة العيد ، ويذهبوا إلى الصحراء حفاة مع الإمام من أجل الجماعة .

إنّ يوم **الجُمْعَة** عيد أيضاً لأنّه يوم اجتماع الناس لصلاة الجمعة ، وسماع الخطبتين ، والتطهير . ولذلك سمّاه الله بهذا الاسم : **الجُمْعَة** ، أي : يوم اجتماع الأُمّة الإسلاميّة وتلاحمها . وكان يقال له قبل الإسلام : **يَوْمُ العُرُوبَةِ** . وأوجب الإسلام صلاة الجمعة وجوباً عينيّاً تعينيّاً في كلّ زمان إلى يوم القيامة ، ولعن تاركها . ولكن شرط صحّتها ، الجماعة وإشراف وإمامة الإمام العادل أو المنصوب من قبله . فالإمام هو الذي يقيمها عند حضوره . وفي زمن الغيبة ، يقيمها الفقيه العادل الجامع للشرائط القائم بمهامّ الإمام بأدلّة النيابة العامّة .

إنّ صلاة الجمعة واجبة وجوباً مطلقاً لا وجوباً مشروطاً كالحجّ المشروط وجوبه عند الاستطاعة ، بل هي كصلاة الظهر من حيث الطهارة والغسل والوضوء . لذلك فإنّ الإمام وحاكم الشرع هو شرط الانعقاد والصحّة والشرط الواجب لا شرط الوجوب . فلهذا إذا كان الإمام في الغيبة ، ولم تكن للفقيه الجامع الشرائط قدرة على الحكومة ، إذ يعيش في التقيّة ، فإنّ الناس جميعهم آثمون لترك صلاة الجمعة ، لأنّهم يتركون صلاة عينيّة تعيينيّة لها أهمّيّتها الفائقة .

ويجب على أُولئک کلّهم النهوض وتأسيس الحكومة الإسلاميّة ليظهر الإمام النائب ، أو يصبح الفقيه مبسوط اليد بعد أن كان مقبوضها ، ويتمكّن من إجراء الحدود ، والذبّ عن ثغور الإسلام . ومن واجبات الحاكم إقامة صلاة الجمعة في نطاق حكومته .

إنّ الأشخاص الذين لا يقيمون صلاة الجمعة في زمن الحكومة الجائرة يعذّبون لعدم تأسيسهم حكومة إسلاميّة تُقام صلاة الجمعة في ظلّها . وإذا لم يتوفّر الحاكم المطلوب ، فإنّ صلاتهم غير صحيحة ، ومرفوضة .

من هذا المنطلق ، فإنّ يوم الجمعة هو يوم العيد والاجتماع ، ويطهُرُ الناس فيه ، ويخرجون من الأخطاء والذنوب التي ارتكبوها طيلة الأُسبوع ، ويستجاب الدعاء في ذلك اليوم . وتحظى ليلة الجمعة أيضاً بأهمّيّة وخصوصيّة للتهيّؤ والاستعداد للقيام بواجبات نهارها . وتتميّز هذه الليلة عن سائر الليالي .

أمّا عيد الغدير فهو من أشرف الأعياد وأفضلها بسبب ربط الأُمَّة بالإمام ، واتّحاد قلوبهم بالولاية ، والورود في سلك السالكين ، والسائرين على طريق المودّة والمحبّة والإيثار والإنفاق ، والعقل والشعور ، واتّساع النور الربّانيّ ، والنفحات القدسيّة السبحانيّة ، وارتباط الملك بالملكوت .

إنّ **عيد الغدير** هو يوم العبوديّة والتسليم أمام الحقّ ، والخروج من فرعونيّة النفس الأمّارة ، وإلقاء حبل ذلّ الرقّيّة للّه ، والإقرار والاعتراف بمفردة خاصّة من مفردات عظمته ، ووضع القدم في صراط الإيقان المستقيم ، والخطو خطوة راسخة على طريق ترك الرسميّات ، والتحلّي بالحقّ والحقيقة والموضوعيّة خالصاً وتاركاً للرسميّات والخروج من زمرة البهائم ، والالتحاق بصفّ البشر .

إنّ **عيد الغدير** هو استجابة النبيّ الأعظم لنداء القدّوس السبّوح بحصر

الولاية في القرآن الكريم في قوله : **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ**، والإقرار القلبيّ بكلام نبيّه الأعظم : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**، والتفيّؤ بأفياء دعائه : **اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ**، والفرار من دعائه المدمِّر : **وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**، واستقبال قوله : **وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ**، واستدبار كلامه : **وَاخْذلْ مَنْ خَذَلَهُ**.

إنّ **عيدالغدير** هو النظر إلى الجمال الملكوتيّ لمولى الموالي أمير المؤمنين عليه السلام وهو على يدي النبيّ المعظّم بعد أن ارتقى المنبر المؤلّف من أحداج الإبل، تحت شجيرات السَّمَرات في وادي الجُحْفَة في غدير خمّ، وهو عَرْضُ الولاية على كافّة الناس، ونزول الملكوت، والجبروت في عالم الملك هذا منادياً : يا أعداء عليّ ! ويا خصوم أهل البيت الذين طالما آذيتم رسول الله بشكاواكم من عليّ ! اعلموا : أنّ عليّاً لا يليق بشأنه أن يُؤذَى ويُشْكَى.

هو والي الولاية، وهو الطير الوحيد المحلّق في سماء العرفان، والملاك المقرّب في قصر العرفان. وهو أقرب منكم إلى نفوسكم، وأولى بها منكم. وهو سيّدكم وأميركم ورئيسكم وقائدكم تكويناً وتشريعاً !

لقد عرض النبيّ عليّاً على الناس ليروه كلّهم، كما فعلت زليخا إذ عرضت يوسف على نساء مصر، وهي تقول لهنّ : أيّتها النسوة اللائي لُمنني في حبّ هذا الفتى، وقلن : أنتِ امرأة عزيز مصر، وملكة الوجاهة والجمال، أليس من الضياع أن تُفْتَني بهذا الفتى المجهول وهو عبدكِ وغلامكِ ؟!

ودعت زليخا نساء مصر، وأجلستهن في بيت له بابان، وآتت كلّ واحدةٍ منهنّ كبّادة وسكّيناً، وقالت لهنّ : سيأتي يوسف، ويعبر من هنا، ومن شروط الأدب التي ينبغي أن تراعينّها أنّه إذا أقبل ورأيتنّه، فلتقطع كلّ واحدة منكنّ قطعة معطّرة من هذا الكبّاد، وتجامله بها على سبيل

الهديّة !

وأدخلت زليخا يوسف من أحد البابين ، فعبر من أمام النسوة المصريّات ، وخرج من الباب الآخر . وما إن وقعت عيونهنّ على ذلك الجمال الذي هو قبس من جمال الحقّ تعالى . وأردن أن يقطعن الكَبَّاد ، ليجاملنه به ، دُهِشْنَ وذُهِلْن فلم يميّزن بين اليد والكَبّاد ، فقطّعن أيديهنّ مكان الكَبّاد ، وسال الدم من غير أن يشعرن به .

گرش ببینی و دست از ترنج بشناسی روا بود که ملامت کنی زلیخا را[1]

ولمّا خرج يوسف ، قالت زليخا للنسوة : ما بكنّ ؟ ما خطبكنّ ؟ ما دهاكنّ ؟ ما لكنّ قد أدميتنّ أثوابكنّ البيضاء ولِمَ قطّعتنّ أيديكنَّ ؟

ونظرن إلى أيديهنّ وأثوابهنّ وقلن : **حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**.[2]

وقالت زليخا : **فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ**.[3] ذلك الفتى الذي هو عبدنا وغلامنا ، وقد لمتنّني فيه !

ورفع النبيّ عليّاً على يده ليراه جميع الناس ، ويعلموا أنّه ذلك الفتى الذي كانوا يُسيئون القول فيه ، وأنّ أضغانهم وأحقادهم البَدريَّة والحُنَيْنيَّة ،و غيرها، لم تسمح لهم أن يخضعوا أمامه مسلمين طائعين،فيقرّوا بأُبّهتة و جلالته و شرفه و منزلته العظيمة فى شجاعته و علمه و عرفانه و أيثاره، وحالاته الروحيّة ، وجَذَباته السبحانيّة وغيرها،أذكان حسدهم القديم المتأصل يحول دون تطويعهم أنفسهم لطاعته ، وها هو يُعْرَض على

١ـ يقول: «لو رأيته واستطعت أن تميّز يدك من الكبّاد، لجاز لك أن تلوم زليخا».

٢ـ من الآية ٣١، من السورة ١٢: يوسف.

٣ـ من الآية ٣٢، من السورة ١٢: يوسف.

يَدَى خاتم الأنبياء والمرسلين وسيّد وُلْدِ آدم ، وشفيع الأنبياء الماضين والشاهد عليهم في عرصات القيامة . وقد انطوت نفسه على الإسلام والإيمان ، ولا يقبل عمل إلّا باتّباعه ، والاقتداء بنهجه وسنّته . وهو قسيم الجنّة والنار . وهو ميزان العدل والإنصاف . وهو مخزن الأسرار وكنز المعرفة . وهو الذي أولى بكلّ مؤمن من نفسه وأقرب إليه منها . وهو حامل القرآن . وهو الفرقان بين الحقّ والباطل . وهو المكلّف بالحرب على تأويل الكتاب‌الله ،كماكان النبيّ مكلّفاً بها على تنزيله . وهو صاحب اللواء لدفع وقمع الناكثين والقاسطين والمارقين . وهو الشهيد في محراب العبادة في بيت الله كماكان ميلاده في بيت الله .

إنّ عيد الغدير معرض لهذه التجلّيات ، وبروز هذه الحقائق وإبرازها ، وظهورها وإظهارها .

ومن هذا المنطلق اقتضت عناية الله أن يشتهر حديث الغدير في الآفاق ، ويجري ذكره على ألسن الناس . ويصبح يوم الغدير موسماً مهمّاً ليكون حجّة قائمة لأتباع إمام الحقّ ومُقْتَدَى الأُمّة . فلهذاكان الأئمّة الطاهرون عليهم السلام يواظبون على إحياء هذه الواقعة ، والاحتجاج بها على المناوئين . وتأسّى بهم الأصحاب العظام الكرام ، والتابعون ذوو العزّة والاحترام ، وعلماء السَّلَف ، خلفاً عن خلف ، فأحيوها في المجالس والمحافل والاجتماعات من خلال ذكر الأشعار والقصائد النابضة على الرغم من مرور الدهور وكرور الأيّام ، وأودعوها الأجيال القادمة غضّة طرّية .

وأمر الأئمّة المعصومون سلام الله عليهم أجمعين شيعتهم بالفرح والسرور والتهنئة والتبريك والتسليم والصوم والإنفاق في هذا اليوم . وكانوا يتعاملون معه بوصفه عيداً .

وبالأخصّ تجتمع طائفة الإماميّة في هذا اليوم اجتماعاً عظيماً عند مرقد سيدنا أمير المؤمنين عليه السلام بالنجف الأشرف . وزيارة الغدير من الزيارات المخصوصة للإمام . ويجتمع رجال الشيعة من شتّى القبائل والحواضر حول قبره قادمين من مختلف الأرجاء البعيدة والقريبة ، ويقرؤون زيارته المخصوصة المرويّة عن الأئمّة الطاهرين ، والحاوية على جميع الكمالات ، والمبيّنة لكافّة مقاماته ودرجاته ، ويتحدّثون بالحجج الدامغة من الكتاب والسنّة لدفع المناوئين .

ويعتبر يوم الغدير عيداً رسميّا في جميع المدن ، وحتّى القرى والقصبات ، ويحترم ملايين المسلمين شيعتهم وسنّتهم هذا اليوم ، وينشغلون فيه بالآداب العباديّة والأُمور الحِسبيّة والقُربيّة .

إنّ سنّة الاحتفال والتعييد في يوم الغدير قد خلّدت هذه القصّة ، ورسخّت نصّ الغدير وأرست دعائمه ، وسلّمه الأوّلون للأجيال القادمة . وإنّ السهر للعبادة في ليلة الغدير ، وصِلَة الأرحام والضعفاء ، والتوسيع على العيال ، والتزيّن ، وارتداء الملابس الجديدة والأثواب النظيفة ، والإحسان والبرّ ، وتوسيع الخيرات والمبرّات في هذا اليوم ،كلّ ذلك يعتبر من البواعث على بقاء هذا الأثر الخالد ، ليذهب الناس وراء جذر الغدير ومنبعه ، ويتفحّصوا عن أصله ، فتنمو أغصان الإيمان في قلوبهم وتقوى يوماً بعد يوم .

وأجْمِلْ بالفُرسِ هذا اليوم إذا تركوا هذه البدعة القبيحة المتمثّلة بتعظيمهم عيد المجوس ،[1] وابتهاجهم به ، وسرورهم بتهيئة الملابس

١ـ وهو عيد النوروز القوميّ الذي يطرب له الفُرس كلّ سنة، متزامناً مع حلول فصل الربيع .(م)

القشيبة لهم ولأُسرهم في أيّامه متأثّرين بالتقاليد الغربيّة في إحياء الآداب والتقاليد القوميّة القديمة ، فما أجملهم إذا فعلوا ذلك ، واتّخذوا مكانه يوم الغدير عيداً لهم ، وهو عمود الإيمان ، وجعلوه عطلة رسميّة تمتدّ أيّاماً للزيارات والأفراح ، وارتداء الملابس الجديدة بدل الملابس البالية ، فيتنازل شيطان الطبيعة القبيح عن مكانه لملاك الرحمة ، ولا يُسْتَغْفَلُ الشيعة فيقعوا في الفخّ بنحو غير مدروس ، وهم الذين كانوا ولا يزالون معروفين بممارسة أعمالهم عن تعقّل ورويّة .

إنّ عيد الغدير يربط ماضي مدرسة التشيّع بحاضرها ومستقبلها في كلّ عام ، ويوصل بعض حلقاتها ببعض ، ويمنحها الدوام والاستمرار ، ويواصل تبكيته الشيطانَ المشؤوم وغول الاستكبار وجموح النفس ، ويخلّد الكفاح والنضال ضدّ ذلك .

ومن الضروريّ هنا أن نذكر نقطتين :

الأُولى : أنّ هذا العيد لا يقتصر على الشيعة فحسب ، وإن كانت لهم عناية به وميل خاصّ إليه ، وإنّما اشترك معهم سائر المسلمين في احترامه والتعيّد به ، ولم يشذّ منهم إلّا النواصب والخوارج . وعلى هذا الأساس قال المَسعوديّ : قال النبيّ الأكرم في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في غدير خُمّ : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**. وذلك في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة ، وغدير خمّ بقرب من الماء المعروف بالخرار بناحية الجُحْفَة ، **وَوُلْدُ عَلِيٍّ وَشِيعَتِهِ يُعَظِّمُونَ هَذَا اليَوْمَ**.[1]

وقال محمّد بن طلحة الشافعيّ ، أخرج الترْمُذِيّ في صحيحة بإسناده عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**، أورده

١ـ «التَّنْبيه والإشراف» ص ٢٢١ و ٢٢٢.

بهذا اللفظ ولم يزد عليه شيئاً . ولكن ذكر غير الترمذيّ أيضاً اليوم [الذي قال فيه رسول الله ذلك] ، والموضع [الذي بيّنه فيه] ، فذكر الزمان وهو عند عود رسول الله من حِجَّة الوَدَاع في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة ، وذكر المكان وهو ما بين مكّة والمدينة يسمّى خمّاً في الغدير الذي تقدّم ، هناك . فسمّي ذلك اليوم يوم غدير خُمّ . وذكره أمير المؤمنين عليه السلام نفسه في شعره الذي تقدّم ، وصار ذلك اليوم عيداً ومَوسماً [لاجتماع الناس] لكونه كان وقتاً خصّ رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّاً بهذه المنزلة العليّة وشرّفه بها دون الناس كلّهم !

وذكر ابن خَلّكان في ترجمة **المُسْتَعْلي** بن المستنصر أنّه **بُويعَ في عيدِ غَديرِ خُمٍّ** ، وهو الثامن عشر من ذي الحجّة سنة سبع وثمانين وأربعمائة .[1]

وقال العلّامة الأمينيّ : قال ابن خَلّكان أيضاً في ترجمة **المُسْتَنْصِر بالله العبيديّ** : توفّي ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجّة سنة ٤٨٧ .

ثمّ قال ابن خَلّكان : هذه الليلة هي ليلة عيد الغدير ، أعني : ليلة الثامن عشر من ذي الحجّة ، وهو غدير خُمّ (بضمّ الخاء وتشديد الميم) . ورأيت جماعة كثيرة يسألون عن هذه الليلة متى كانت من ذي الحجّة ؟ وهذا المكان بين مكّة والمدينة ، وفيه غدير ماء ، ويقال : إنّه غيضة هناك . ولمّا رجع النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله من مكّة شرّفها الله تعالى عام حجّة الوداع ، ووصل إلى هذا المكان ، وآخى عليّ بن أبي طالب وقال : **عَلِيٌّ مِنِّي كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى ، اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَانْصُرْ مَنْ**

١ـ «وفيّات الأعيان» ج ١ ، ص ١٨٠ ، طبعة بيروت.

نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ.

وللشيعة به تعلّق كبير. وقال **الحازميّ**: غدير خمّ واد بين مكّة والمدينة عند **الجحفة** غدير عنده خطب النبيّ. وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة وشدّة الحرّ. إلى آخر كلام ابن خلّكان.

وقال الثعالبيّ في «ثمار القلوب» بعد أن عدّ ليلة الغدير من الليالي المشهورة (والمعروفة) عند الأُمّة: وهي الليلة التي خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله في غدها بغدير خُمّ على أقتاب الإبل، فقال في خطبته: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. اللَهُمَّ وَالِ مَن وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذلْ مَنْ خَذَلَهُ.** والشيعة يعظّمون هذه الليلة ويحيونها قياماً.[1]

وممّا يدلّ على هذا العيد، التهنئة لأمير المؤمنين عليه السلام من الشيخين، وأُمّهات المؤمنين (نساء رسول الله)، وغيرهم من الصحابة بأمر رسول الله، ومعلوم أنّ التهنئة من خواصّ الأعياد والأفراح.

الثانية: أنّ عهد هذا العيد يمتدّ إلى زمن النبيّ، كما تدلّ على ذلك كتب التأريخ، وهو متواصل بالدور النبويّ، فكانت البدئة به يوم الغدير في السنة العاشرة من الهجرة بعد حجّة الوداع، لمّا أصحر رسول الله بالأمر في تلك المراسم التي أُقيمت في ساحة فسيحة، وبحضور الملأ من المسلمين. وأبان فيها مستقرّ إمرته وحكومته من الوجهة الدينيّة والدنيويّة، وحدّد لهم مستوى أمر دينه الشامخ وطريقه الواضح **جيلاً بعد جيل ونسلاً بعد نسل**، وقال: **فَلْيُبَلِّغ الشَاهِدُ الغَائِبُ**، وليحدّث له عن هذا المشهد العظيم بعد عودته إلى وطنه، وعلى هذا، فإنّ ذلك اليوم كان موسماً عظيماً ويوماً

١ـ «الغدير» ج ١، ص ٢٦٨ و ٢٦٩.

مشهوداً يسرّ كلّ معتنق للإسلام ، ويبهجه بهذه الموهبة الكبرى وهو يرى البناء الرصين للإمامة وخلافة المسلمين ، ويشهد استمرار طريق الشريعة وديمومة أنوار أحكامها ، فلا تلويها الآراء الفاسدة والأهواء الكاسدة عن مسارها ، وتتمكّن النفوس المشتاقة والأرواح الشائقة إلى بلوغ المعنويّات من التحرّك في ضوء هذا المنهج حتّى يوم القيامة ، فتظفر بالكمال النفسانيّ من القوّة والاستعداد إلى الفعليّة .

وأيّ يوم أعظم وأكبر وأشرف من يوم الغدير ؟ إذ أُكمل فيه الدين ، وتمّت فيه النعمة ، ولاح فيه واضح الطريق ، وعظم فيه التمسّك بعروة الحقّ الوثقى . فهو العيد الأعظم الذي نوّه به القرآن الكريم بواسطة جبرائيل الحامل الأمين للوحي الإلهيّ ، وبلسان رسول الله وإرشاده وخطابته وأمره وإنشائه ، وأرسى دعائمه على هذا الأساس المتين .

ولئن اتّخذ الملوك في عصرنا هذا يوم تسنّمهم عرش السلطنة عيداً ـ خطأً وزلّةً ، وجفاءً وغفلةً ـ وأقاموا فيه المحافل البهيجة المليئة بالسرور والحبور ، والتنوير ، ونثر الحلوا ، وإلقاء الخطب ، وإنشاء القصائد والأشعار ، وبسط الموائد التي تتزيّن بألوان الطعام ،كما جرت به العادات بين الأُمم والأجيال ، فمن المناسب أن يكفّوا عن هذه الاعتبارات ، ويتجاوزوا هذه الاوهام. ويتّخذوا بأجمعهم يوم الغدير عيداً ، وهو يوم حكومة العدل ، وإمارة الإنصاف ، ويوم إمامة الحقّ وولاية الله العظمى ، ويدعوا الناس والأُمّة إلى هذا الطريق والمنهج **وَنِعْمَ المَنْهَجُ القَويمُ**.

ويحتفلوا ويعيّدوا في ذلك اليوم الذي جاء فيه النصّ من رسول الله وهو الذي **لَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ، ويبجّلوه ويكرّموه بكلّ ما للتبجيل والتكريم من معنى ،ولمّاكان عيداً دينيّاً وإلهيّاً ،فلا يقصّروا في زيادة الأعمال المَقرّبة إلى الله من صوم ، وصلاة ، ودعاء ، وزيارة

المؤمنين ، وتهنئتهم ، ومصافحتهم بوضع كفّ اليد اليمنى على أكفّهم ، ويقولوا شاكرين للّه المنّان على هذه الموهبة :

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي جَعَلَنَا مِنَ المُتَمَسِّكِينَ بَوَلَايَةِ أميرِالمُؤْمِنِينَ وَالأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وكذلك يقوموا بوجوه البرّ والإحسان ، من قبيل إعطاء الخاتم واللباس ، وإهداء العطر والبخور والعبير ، وإطعام المؤمنين بالأخصّ الضعفاء والفقراء والأرحام وأهل العلم ، والطلّاب الذين يقرنون علمهم بالعمل ، وسالكي سبيل الله من الثائرين وعشّاق مولى الموالي عليه السلام ويفعلوا ذلك كلّه بنحو أتمّ وأكمل .

ولذلك كلّه أمر رسول الله بعد الفراغ من الخطبة أن ينصبوا لأمير المؤمنين خيمة ، وأمر المؤمنين أن يهنّئوه على تمام النعمة وكمال الدين الذي أثمر بربط الولاية بالنبوّة ، وأتحف الأمّة بفاكهة الحياة الطازجة .

وأمر كبار قريش وشيوخ الأنصار والمهاجرين ووجوهم بتهنئة أمير المؤمنين عليه السلام ، والسلام عليه بإمرة المؤمنين **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أميرَ المُؤْمِنِينَ** ، والإذعان بإمارته وولايته .كما أمر الشيخين : أبا بكر ، وعمر ، وزوجاته أن يدخلوا عليه ، ويهنّئوه ، ويسلّموا عليه بالإمامة والحكومة على تلك الحظوة الكبيرة بإشغاله منصّة الولاية وتصدُّر الأمر والنهي في دين الله وإدارة شؤون المسلمين بوصفه خليفة رسول الله .

قال العلّامة الأمينيّ : أخرج محمّد بن جرير الطبريّ في كتاب (الولاية) حديثاً بإسناده عن زيد بن أرقم ، مرّ شطر منه . وفي آخره قال النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم :

مَعَاشِرَ النَّاسِ ! قُولُوا: أَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عَهْداً عَنْ أَنْفُسِنَا وَمِيثَاقاً

بِأَلْسِنَتِنَا وَصَفْقَةً بِأَيْدِينَا، نُؤَدِّيهِ إِلَى أَوْلَادِنَا وَأَهَالِينَا، لَا نَبْغِي بِذَلِكَ بَدَلاً وَأَنْتَ شَهِيدٌ عَلَيْنَا وَكَفَى بِاللَهِ شَهِيداً. قُولُوا مَا قُلْتُ لَكُم! وَسَلِّمُوا عَلَى عَلِيٍّ بِإِمْرَةِ المُؤْمِنِينَ! وَقُولُوا: ٱلحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَهُ، فَإِنَّ اللَهَ يَعْلَمُ كُلَّ صَوْتٍ وَخَائِنَةَ كُلِّ نَفْسٍ، «فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَـهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا».[1]

قُولُوا مَا يُرْضِي اللَهُ عَنْكُمْ فَـ «إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ».[2]

قال زيد بن أرقم : فعند ذلك بادر الناس بقولهم : **سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عَلَى أَمْرِ اللَهِ وَرَسُولِهِ بِقُلُوبِنَا.**

وكان أوّل من صافق النبيّ صلّى الله عليه وآله : **أَبُو بَكْر، وَعُمَر، وَعُثْمَان وَطَلْحَةُ، والزُّبَيْر**، وباقي المهاجرين والأنصار، وباقي الناس، إلى أن صلّى الظهرين في وقت واحد، وامتدّت المصافقة وبيعة الناس، إلى أن صلّى العشاءين في وقت واحد، وأوصلوا البيعة والمصافقة ثلثاً [من الليل].

ورواه **أحمد بن محمّد الطبريّ** الشهير بالخليليّ في كتاب «**مناقب عليّ بن أبي طالب**»، المؤلَّف سنة ٤١١ بالقاهرة من طريق شيخه محمّد بن أبي بكر بن عبد الرحمن، وفيه : فتبادر الناس إلى بيعته وقالوا :

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا لِمَا أَمَرَنَا اللَهُ وَرَسُولُهُ بِقُلُوبِنَا وَأَنْفُسِنَا وَأَلْسِنَتِنَا وَجَمِيعِ جَوارِحِنَا، ثُمَّ انْكَبُّوا عَلَى رَسُولِ اللَهِ وَعَلَى عَلِيٍّ بِأَيْدِيهِمْ.

وكان أوّل من صافق رسول الله : أبو بكر، وعمر، وطلحة، والزبير، ثمّ باقي المهاجرين، والناس على طبقاتهم ومقدار منازلهم، إلى أن صُلّيت

١ـ الآية ١٠، من السورة ٤٨: الفتح.

٢ـ الآية ٧، من السورة ٣٩: الزمر.

الظهر والعصر في وقت واحد ، والمغرب والعشاء الآخرة في وقت واحد ، ولم يزالوا يتواصلون البيعة والمصافقة ثلثاً من الليل ، ورسول الله كلّما بايعه فوج بعد فوج يقول : **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي فَضَّلَنَا عَلَى جَمِيعِ العَالَمِينَ** .

وصارت المصافقة سُنّة ورسماً ، واستعملها من ليس له حقّ فيها .

وقال في كتاب «**النَّشر والطَّيّ**» : فبادر الناس بِـ: **نَعَمْ نَعَمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا أَمْرَ اللَهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ ، آمَنَّا بِهِ بِقُلُوبِنَا** . وتداكّوا على رسول الله وعليّ بأيديهم ، إلى أن صُلّيت الظهر والعصر في وقت واحد ، وباقي ذلك اليوم ، إلى أن صُلّيت العشاءان في وقت واحد ، ورسول الله كان يقول كلّما أتى فوجٌ : **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي فَضَّلَنَا عَلَى العَالَمِينَ** .

وقال **المولويّ وليّ الله اللَّكْهَنُويّ** في كتاب «**مرآة المؤمنين**» في ذكر حديث الغدير : فلقيه عمر بعد ذلك ، فقال له : **هَنِيئَاً يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ! أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ . وَكَانَ يُهَنِّئُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ كُلَّ صَحَابِيٍّ لَاقَاهُ** .

وقال المؤرّخ ابن خاوند شاه المتوفّى ٩٠٣ في «**روضة الصَّفا**» في الجزء الثاني من ج ١ ، ص ١٧٣ بعد ذكر حديث الغدير : ثمّ جلس رسول الله في خيمة تخصّه ، وأمر أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام أن يجلس في خيمة أُخرى ، وأمر كافّة الناس أن يهنّئوا عليّاً في خيمته . ولمّا فرغ الناس من التهنئة له ، أمر النبيّ زوجاته (**أُمَّهَاتَ المُؤْمِنِينَ**) بأن يَسِرْنَ إليه وَيُهَنِّئْنَهُ ، ففَعلنَ . وممّن هنَّأه من الصحابة : عمر بن الخطّاب ، فقال : **هَنيئاً لَكَ يَا ابْنَ أبي طَالِبٍ أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى جَمِيعِ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ** .

وقال المؤرّخ غياث الدين المتوفّى ٩٤٢ في «حبيب السِّيَر» في الجزء الثالث من ج ١ ، ص ١٤٤ : ثمّ جلس أمير المؤمنين بأمر من النبيّ صلّى الله

عليه وآله في خيمة تخصّه ، يزوره الناس ويهنّئونه ، وفيهم ، عمر بن الخطّاب ، فقال :

بَخٍّ بَخٍّ يَا ابْنَ أبـي طَـالِبٍ ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ! [١]

وخصوص حديث تهنئة الشيخين : أبي بكر ، وعمر ، رواه من أئمّة الحديث والتفسير والتأريخ من رجال السنّة كثير لا يستهان بعددهم بين راوٍ مرسلاً له إرسال المسلّم ، وبين راوٍ إيّاه بمسانيد صحاح ورجال ثقات تنتهي إلى غير واحد من الصحابة **كابن عبّاس ، وأبي هريرة ، والبراء بن عازب ، وزيد بن أرقم** . وذكر المرحوم العلّامة الأمينيّ تلك الروايات في كتابه القيّم : «الغدير» نقلاً عن ستّين كتاباً موثوقاً ومشهوراً من كتبهم التي ألّفها مشاهير وأعاظم مشايخ العامّة .[٢]

وننقلها فيما يأتي عن عدد من الكتب لا غير :

١ ـ روى أبو إسحاق الثعلبيّ في كتاب «**الكشف والبيان**» بسنده عن **البراء بن عازب** قال : لمّا نزلنا مع رسول الله في حجّة الوداع بغدير خمّ ، نادى رسول الله : **الصلاة جامعة** . وكُسح للنبيّ تحت شجرتين فأخذ بيد عليّ : فقال : **أَلَسْتُ أَوْلَى بِالمُؤمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ قالوا : بلى** . قال : **هَذَا مَوْلَى مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ ! اللَهُمَّ وَالِ مَن وَالَاهُ ! وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ !** قال : فلقيه عمر فقال : **هَنِيئَاً لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ! أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ !**

٢ ـ ذكر شيخ الإسلام الحمّوئيّ في «**فرائد السمطين**» بسنده عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة قال : من صام يوم ثمان عشر من

١ـ «الغدير» ج ١ ، ص ٢٧٠ إلى ٢٧٢ .

٢ـ «الغدير» ١ : ٢٧٢ إلى ٢٨٣ .

ذي الحجّة ،كتب الله له صيام ستّين سنة . وهو يوم غدير خُمّ لمّا أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله بِيَدِ عليّ صلوات الله عليه وآله ، فقال : **مَن كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ!**

فقال عمر بن الخطّاب : **بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.**[1]

٣ ـ روى الخطيب الخوارزميّ بسنده عن البراء بن عازب قال : أقبلنا مع رسول الله في حجّة . ثمّ ذكر الحديث الذي نقلناه عن الثعلبيّ في «الكشف والبيان» نفسه . وقال في آخره أيضاً : فلقي عمر بن الخطّاب عليّاً ، فقال : **هَنِيئاً لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ.** وروى بسنده الآخر عن أبي هريرة نفس الحديث الذي نقلناه عن الحَمّوئيّ في «فرائد السمطين» . وقال في ختامه أيضاً : فقال له عمر بن الخطّاب : **بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.**[2]

٤ ـ أخرج أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن عديّ بن ثابت ، عن البراء بن عازب ، أنّه قال :كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سفر ، فنزلنا بغدير خمّ ، فنودي : **الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ** ، وكُسح لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم تحت شجرتين ، فصلّى الظهر ، فأخذ بِيَدِ عليّ رضي الله تعالى عنه ، فقال : **أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ؟** قالوا : بلى . فأخذ بِيَدِ عليّ ، فقال : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ،**

١ـ «فرائد السمطين» ج ١، الباب ١٢، ص ٧٧.

٢ـ «مناقب الخوارزميّ» ص ٩٤، الطبعة الحديثة.

وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ . فلقيه عمر بعد ذلك ، فقال : **هَنِيئاً لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ! أَصْحَبْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ.**[1]

٥ ـ روى الحافظ أبو بكر الخطيب البغداديّ ، عن حبشون بن موسى بن أيّوب[2] بسنده عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة أنّه قال : من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجّة ، كتب له صيام ستّين شهراً ، وهو يوم غدير خمّ لمّا أخذ النبيّ صلّى الله عليه وآله بيد عليّ فقال : **أَلَسْتُ أَوْلَى بِالمُؤمِنِينَ ؟** قالوا : **بَلَى يَا رَسُولَ اللَهِ!**

قال : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**. بعد ذلك قال عمر بن الخطّاب : **بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ!** فأنزل الله : **اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**. ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب ، كتب له صيام ستّين شهراً ، وهو أوّل يوم نزل فيه جبرائيل عليه السلام على **مُحَمَّد** صلّى الله عليه وآله ، اشتهر هذا الحديث برواية حَبْشُونَ .[3]

٦ ـ روى الحافظ ابن عَسَاكِر الدمشقيّ بسندين عن البراء بن عازب ، قال : حججنا مع رسول الله ، وبعد أن شرح قصّة النزول والخطبة في غدير

١ـ «مسند أحمد بن حنبل» ج ٤ ، ص ٢٨١.

٢ـ قال الخطيب في «تاريخ بغداد» بعد ذكر هذا الحديث الذي ورد فيه ثواب صيام ستّين شهراً لمن صام في يوم عيد الغدير: اشتهر هذا الحديث من رواية حبشون، وقيل: إنّه تفرّد به. وقد تابعه عليه أحمد بن عبد الله بن النيّريّ. وقال الخطيب بعد نقل هذا الحديث الذي ذكره في ترجمة حَبْشون في باب الحاء: حبشون ثقة صدوق. وكان ساكناً في باب البصرة ـمن بغدادـ وقال أيضاً: أنبأنا الأزهريّ أنّ عليّ بن عمر الحافظ قال له: حَبشُون بن موسى بن أيّوب، صدوق. وروى ابن كثير الدمشقيّ هذا الحديث عن حَبْشون في «البداية والنِّهاية» ج ٥ ، ص ٢١٤ وقال: ورواه حبشون، وأحمد بن عبد الله بن أحمد النيّريّ ، وهما صدوقان عن عليّ بن سعيد الرمليّ ، عن ضمرة.

٣ـ «تاريخ بغداد»، ج ٨، ص ٢٩٠. وكانت وفاة الخطيب البغداديّ في سنة ٤٦٣ هـ.

خمّ ، قال في رواية : قال عمر بن الخطّاب :

هَنِيئاً لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ! أَصْبَحْتَ اليَوْمَ وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ ! [١] وقال في رواية أُخرى : قال له عمر : **هَنِيئاً لَكَ يَا عَلِيُّ ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ !** [٢]

وأخرج بسندين آخرين عن أبي هريرة ، السند الأوّل هو الحديث الذي نقلناه عن «تاريخ بغداد» برواية حَبْشون ،[٣] والسند الثاني هو الحديث الذي نقله عن أبي بكر بن المرزقيّ ، وقال عمر في آخره : **بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ.** [٤]

وكذلك ذكر قول عمر عند تفسير كلام الشافعيّ القائل إنّ معنى الولاء هو ولاء الإسلام . وأخرج ابن عساكر بسنده عن الربيع بن سليمان : أنّه قال : سمعت الشافعيّ يقول في معنى كلام النبيّ صلّى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ** : يعني بذلك ولاء الإسلام . وذلك قول الله عزّ وجلّ : **ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ.** [٥]

وأمّا قول عمر بن الخطّاب لعليّ : **أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ !** يقول : **وَلِيَّ كُلِّ مُسْلِمٍ.** [٦]

إنّ ما ذكرناه في معنى الولاء مفصّلاً قد سطع كالشمس دالّاً على أنّ

١ـ «تاريخ دمشق» ج ٢ ، ص ٤٧ ، الحديث رقم ٥٤٦.

٢ـ «تاريخ دمشق» ج ٢ ، ص ٤٨ ، الحديث رقم ٥٤٧.

٣ـ «تاريخ دمشق» ج ٢ ، ص ٧٦ ، الحديث رقم ٥٧٦.

٤ـ «تاريخ دمشق» ج ٢ ، ص ٧٧ ، الحديث رقم ٥٧٧.

٥ـ الآية ١١ ، من السورة ٤٧ : محمّد.

٦ـ «تاريخ دمشق» ج ٢ ، ص ٨٧ ، الحديث رقم ٥٨٨.

تفسير الشافعيّ خطأ ، وأنّ المراد من ولاء الإيمان الولاية بمعنى الإمارة والإمامة والسيادة ، وهي ملزوم القرب ، وذلك الملزوم هو معناه الأوّل والحقيقيّ وهو ما نصّه : **الوَلَاءُ حُصُولُ الشَّيْئَيْنِ فَزَائِداً حُصُولاً لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَا لَيْسَ مِنْهُمَا** . وعلى كلّ تقدير ، أنّ شاهدنا من كلام الشافعيّ الاستشهاد بحديث عمر في التهنئة .

٧ ـ ذكر الحافظ أبو القاسم الحَسْكانيّ ستّ روايات في «شواهد التنزيل» تحت عنوان الروايات الواردة في الآية المباركة : **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا**. ووردت تهنئة عمر في اثنتين منها .

الأُولى : عن الحاكم أبيه ، عن أبي حَفْص شاهين ، بسنده عن أبي هريرة ، وقد جاء فيها ثواب الصيام في يوم الغدير ، وقال عمر بن الخطّاب في آخرها : **بخٍّ بخٍّ [لَكَ] يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ** .[1]

الثانية : عن أبي بكر اليزديّ بسنده عن أبي هريرة ، وذكر فيها أيضاً ثواب صيام ستّين شهراً في يوم الغدير . وبعد خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وإعلان الولاية : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**. قال عمر بن الخطّاب : **بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ !** وأنزل الله : **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** .[2]

٨ ـ قال الفخر الرازيّ فيّ ذيّل الآية : **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** : الوجه العاشر : نزلت هذه الآية في فضل عليّ بن أبي طالب ، ولمّا نزلت هذه الآية ، أخذ النبيّ بيد عليّ وقال : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**.

١ـ «شواهد التنزيل» ج ١ ، ص ١٥٦ ، الحديث رقم ٢١٠ .

٢ـ «شواهد التنزيل» ج ١ ، ص ١٥٨ ، الحديث رقم ٢١٣ .

اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، فلقيه عمر ، فقال : **هَنِيئاً لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ!** وهو قول ابن عبّاس ، والبراء بن عازب ، ومحمّد بن عليّ .[1]

٩ ـ قال الشهرستانيّ في «الملل والنحل» ومثل ما جرى في كمال الإسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى : **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَم تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** . فلمّا وصل رسول الله غدير خمّ ، أمر بالدوحات فَقُمِمْنَ ، ونادوا : **الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ**. ثمّ قال وهو على الرِّحال : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ! وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ! وَأَدِرِ الحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ: أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ، ثلاثاً ؟**

فادّعت الإماميّة أنّ هذا نصّ صريح : فإنّا ننظر من كان النبيّ صلّى الله عليه وآله مولىً لَهُ ؟ وبأيّ معنى ؟ فنطّرد ذلك في حقّ عليّ . وقد فهمت الصحابة من التولية ما فهمناه ، حتّى : قال عمر حين استقبل عليّاً : **طُوبَى لَكَ يَا عَلِيُّ! أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ.**[2]

١٠ ـ قال ابن حجر الهَيْتَميّ المتوفّى سنة ٩٧٣ بعد بيان الحديث : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ** الذي نطق به النبيّ في جواب بريدة ، بعد أن قال له : **يَا بُرَيْدَةُ! أَلَسْتُ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟! قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَهِ!** لو سلّمنا أنّ المراد من المولى : الأوْلَى ، لكن لا نسلّم أنّ المراد أنّه الأولى بالإمامة ، بل [المراد أولى] بالاتّباع والقرب من رسول الله ، كقوله تعالى :

١ـ «تفسير الفخر الرازيّ» ج ٣ ، ص ٦٣٦ ، طبعة دار الطباعة العامرة، في هامش «تفسير أبي السعود».

٢ـ «المِلَل والنِّحَل» المطبوع في حاشية «الفِصَل» ص ٢٢٠ و ٢٢١ . الجزء الأوّل.

إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ . ولا [دليل] قاطع ولا ظاهر على نفي هذا الاحتمال ، بل هو الواقع إذ هو الذي فهمه أبو بكر وعمر .

وأفضل دليل على هذا الاحتمال ما فهمه أبو بكر وعمر من الحديث ، فإنّهما لمّا سمعاه ، قالا له : **أَمْسَيْتَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ** . أخرجه الدارقطنيّ .[1]

إنّ قصدنا من رواية الشهر ستانيّ ، وابن حَجَر الهيتميّ هو الاستشهاد بتهنئة الشيخين لمولى الموالى أمير المؤمنين عليه السلام ، وليس قصدنا الإتيان بالمراد الذي جاءا به من عند أنفسهما في معنى الولاية ، وفرضا ذلك المعنى على فهم أبي بكر ، وعمر ، ذلك أنّنا أثبتنا بوضوح في الجزء الخامس ، والسابع من هذه الدورة «معرفة الإمام» أنّ للولاية معنى واحداً لا أكثر ، وهو رفع الحجاب بين شيئين بحيث لا يكون بينهما ما ليس منهما ، وشرط هذا المعنى ، القرب والسيطرة والإمامة والإمارة من الله ، عندما تتحقّق الولاية بين الله والعبد . وفهم الصحابة جميعهم هذا المعنى بلا استثناء ، لأنّهم كانوا عرباً ، ولهم علم بالمعنى الحقيقيّ للكلمة .

وفهم عمر ، وأبو بكر هذا المعنى أيضاً ، وعلى هذا الأساس سلّما على عليّ ، وبايعاه ، وهنّآه ، ولكنّهما صدفا وعدلا عن الالتزام بهذا المعنى عمليّاً فيما بعد ، وسلبا الإمامة الإلهيّة من أهل البيت وعليّ بن أبي طالب بمختلف الدسائس ، واستأثرا بها لأنفسهما ، فأصبحا غاصبين لهذا المقام .

يقول الشيعة : لقد خان الشيخان ، وأخرجا الخلافة والإمامة من أهل بيت رسول الله على علمٍ منهما ، وحينئذٍ كيف يمكن أن نستدلّ بفهمهما ؟ وهل هذا الاستدلال إلّا المصادرة بالمطلوب ؟ ولا أحد من أهل السنّة

١ـ «الصواعق المحرقة» ص ٢٦ .

والعامّة يستطيع أن يتّخذ من فهم هذين الشخصين دليلاً، وذلك بسبب عملهما، إذكان تجاوزاً وتعدّياً بكلّ صراحة.

وكشف **الغزّاليّ** في كتاب «**سرّ العالمين**» عن هذه الحقيقة، وقال بصراحة، استجاب عمر لحديث الولاية: **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**. وقال مسلّماً وراضياً بإمامة وولاية أمير المؤمنين عليه السلام: **بَخٍّ بَخٍّ لَكَ يَا أَبَا الحَسَنِ! لَقَدْ أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ**. فَهذا تسليم ورضىً وتحكيم [بإمارة عليّ]، ثمّ بعد هذا غلب الهوى لحبّ الرئاسة، وحمل عمود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوى في قعقعة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار سقاهم كأس الهوى فعادوا إلى الخلاف الأوّل فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون.

وقال رسول الله قبل وفاته: إيتوني بدواة وبياض لأزيل عنكم إشكال الأمر، وأذكر لكم من المستحقّ لها بعدي.

قال عمر: دعوا الرجل فإنّه ليهجر! وقيل: يهذو لغلبة الوجع عليه![1]

إنّ الشيعة قد حلّلوا ودرسوا أعمال الصحابة عملاً عملاً، ولا يقلّدون

١ـ «سرّ العالمين» ص ٢١، طبعة النجف، مطبعة النعمان، سنة ١٣٨٥. وقد أثبتنا في ج٨، من كتابنا هذا «معرفة الإمام» الدرس ١١٨ إلى ١٢٠ في ص ٢٤٨ و ٢٤٩ أنّ الكتاب المذكور للغزاليّ. وعلى هذا لاُيُلْتَفَت إلى تشكيك العالم المحترم السيّد جعفر مرتضى العامليّ في نسبة هذا الكتاب إلى الغزّاليّ ـفي مجلّة «تراثنا»، العدد ٢، السنة الأُولى، خريف ١٤٠٦ هـ، ص ٩٧ و ٩٨ لأنّ عدم اجتماع الغزّاليّ والمعرّيّ في الحياة دليل على تصرّف في هذا الخصوص لافي أصل الكتاب وجميع أبوابه. ولعلّ أبا حامد كتب في النسخة: ابن حامد سهواً، والكتب التي ذكرها، نسبهما الغزّاليّ إليه في ذلك الكتاب، بينما هي ليست له. وما لم يثبت انتساب هذه الكتب نفسها بما تحويه من مطالب وموضوعات إلى مصنّف آخر، فليس لنا أن لانعتبرها للغزّاليّ، إذ من الممكن أن تكون من الكتب التي صنّفها، وفقدت بعد وفاته، وكم لها من نظير.

تقليداً أعمى فينظرون إليهم بمنظار العدالة والتقوى بوصفهم يحملون علامة السلف الصالح ، وعنوان الصحابيّ ، بل يمحّصون ويجرحون ويعدّلون من خلال مجاهر قويّة فيرفضون كلّ صحابيّ لا يوافق قوله عمله ، كما ينبذون كلّ صحابيّ لا يعمل وفقاً للقرآن والسنّة النبويّة ، وينظرون إلى كافّة الكتب ، التي ألّفها العامّة في فضائل ومناقب الشيخين ومن دار في فلكهم وعمل لهم ، نظرة شكّ وتردّد وإبهام ، ولا يقرّون بها ، ولا يمكنهم أن يقرّوا بها ، إذ كيف يمكن أن يطمئنّوا إلى منقبة من مناقبهم ، والتأريخ مشحون بالروايات الموضوعة في مناقب الشيخين ومعاوية وعثمان وأمثالهم . ولمّا كان كتّاب الصحاح والمسانيد وسائر الكتب من وُعَّاظ السلاطين ، وقد أعدّوها كما يشتهي السلاطين ، وتمليه مذاهبهم وعقائدهم ، فهي ساقطة من درجة الاعتبار . وعندما نذكر الروايات من كتب العامّة في فضائل أهل البيت ومثالب أعدائهم ، فليس ذلك لأجل الحجّيّة ، بل لأجل فنّ الجدال وإدانة الخصم وإفحامه بالمسلّمات الثابتة التي يعترف بها . وحاصل القول : أنّ مدرسة التشيّع هي مدرسة الحقّ ودراسة الحقائق ، وضرب الأباطيل والموهومات عرض الجدار .

ومن المناسب أن نذكر هنا قصّة تشيّع ذلك الفقيه السنّي الذي كان من «المستنصريّة» على يد العالم الجليل والفقيه النبيل السيّد ابن طاووس رحمة الله عليه ، لتستبين كيفيّة دخول الشيعة ومدرستهم في النقاش ، ويُعْلَمَ أنَّ العالمَ السّنيّ كلّه لابدّ أن يعترف بالحقّ ، ويعرض عن اتّباع الحكّام الغاصبين ، ويستنير بمدرسة أهل البيت ، إذ **مَا وَرَاءَ عبَّادَان قَريَةٌ**.[1]

يقول السيّد عليّ بن طاووس في الفصل الثامن والتسعين من كتاب

١ـ مثل مشهور عند العرب. كناية عن فصل الخطاب هنا، ولامفرّ من ذلك.

«كشف المَحَجَّةِ لِثَمَرَةِ المُهْجَةِ»:

واعلم يا ولدي ! أنيّ كنتُ في حضرة مولانا الكاظم والجواد عليهما السلام ، فحضر فقيه من «المستنصريّة» كان يتردّد عَلَيَّ قبل ذلك اليوم . فلمّا رأيت وقت حضوره أنّه يحتمل المعارضتة له في مذهبه ، قلت له : يا فلان !

ما تقول لو أنّ فرساً لك ضاعت منك ، وتوصّلتُ في ردّها إليک ، أو فرساً لي ضاعت منّي وتوصّلت في ردّها إلى ، أماكان ذلك حسناً أو واجباً ؟! فقال : بلى !

فقلتُ له : قد ضاع الهدى إمّا منّي وإمّا منك ! والمصلحة أن ننصف من أنفسنا ، وننظر ممّن ضاع الهدى فنردّه عليه ! فقال : نعم .

فقلتُ له : لا أحتجّ بما ينقله أصحابيّ من الشيعة لأنّهم متّهمون عندك ، ولا تحتجّ بما ينقله أصحابك [من العامّة] لأنّهم متّهمون عندي أو على عقيدتي ، ولكن نحتجّ بالقرآن ، أو بالمجمع عليه من أصحابي وأصحابك ، أو بما رواه أصحابي لك وبما رواه أصحابك لي ! فقال : هذا إنصاف !

فقلتُ له : ما تقول فيما رواه البخاريّ ومسلم في صحيحيهما ؟! فقال : حقٌ بغير شكّ !

فقلتُ : فهل تعرف أنّ مسلماً روى في صحيحه عن زيد بن أرقم أنّه قال ما معناه : إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله خطبنا في خمّ ، فقال صلّى الله عليه وآله : **إِنِّي بَشَرٌ يُوشَكُ أنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ وَإِنِّي مُخْلِفٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَهِ وَعِتْرَتِي أهْلَ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَهَ في أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَهَ في أهْلِ بَيْتِي!**

فقال : هذا صحيح !

فقلتُ له : وتعرف أنّ مسلماً روى في صحيحه في مسند عائشة أنّها روت عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه لمّا نزلت الآية : **إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**.[1] جمع عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قال : هؤلاء أهل بيتي .

فقال : نعم ! هذا صحيح .

فقلت له : تعرف أنّ البخاريّ ومسلماً رويا في صحيحهما أنّ الأنصار اجتمعت في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا **سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ**، وأنّهم ما نفذوا إلى أبي بكر ولا عمر ولا إلى أحد من المهاجرين ، حتّى جاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة لما بلغهم في اجتماعهم ، فقال لهم أبو بكر : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يعني عمر وأبا عبيدة ! فقال عمر : ما أتقدّم عليك ! فبايعه عمر وبايعه من بايعه من الأنصار ، وأنّ عليّاً عليه السلام وبني هاشم امتنعوا من المبايعة ستّة أشهر .

وأنّ البخاريّ ومسلماً قالا فيما جمعه الحَميديّ من صحيحهما : وكان لعليّ عليه السلام وجه بين الناس في حياة فاطمة عليها السلام فلمّا ماتت فاطمة عليها السلام بعد ستّة أشهر من وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله انصرفت وجوه الناس عن عليّ عليه السلام . فلمّا رأى عليّ عليه السلام انصراف وجوه الناس عنه ، خرج إلى مصالحة أبي بكر .

فقال هذا صحيح .

فقلت له : ما تقول في بيعة تخلّف عنها أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟ الذين قال عنهم : «إنّهم الخلف من بعده وكتاب الله جلّ جلاله» وقال صلّى الله عليه وآله فيهم : «أُذكّركم الله في أهل بيتي» . وقال عنهم :

١ـ الآية ٣٣، من السورة ٣٣: الأحزاب.

«إنّهم الذين نزلت فيهم **آية التطهير**» ، وإنّهم ما تأخّروا مدّة يسيرة حتّى يقال : إنّهم تأخّروا لبعض الاشتغال ، وإنّما كان التأخّر للطعن في خلافة أبي بكر بغير إشكال في مدّة ستّة أشهر . ولو كان الإنسان تأخّر عن غضب ، يُرَدُّ غضبه ؛ أو عن شبهة ، زالت شبهته بدون هذه المدّة .

وأنّه ما صالح أبا بكر على مقتضى حديث البخاريّ ومسلم إلّا لمّا ماتت فاطمة عليها السلام ، ورأى انصراف وجوه الناس عنه ، خرج عند ذلك إلى المصالحة .

وهذه الصورة حال تدلّ على أنّه ما بايع مختاراً .

وأنّ البخاريّ ومسلماً رويا في هذا الحديث أنّه ما بايع أحد من بني هاشم حتّى بايع عليّ عليه السلام .

فقال : ما أُقدم على الطعن في شيءٍ قد عمله السلف والصحابة !

فقلتُ له : فهذا القرآن يشهد بأنّهم عملوا في حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله وهو يُرجى ويُخاف ، والوحي ينزل عليه بأسرارهم في حال الخوف وفي حال الأمن وحال الصحّة والإيثار عليه ما لا يقدروا أن يجحدوا الطعن عليهم به . وإذا جاز منهم مخالفته في حياته وهو يُرجى ويُخاف ، فقد صاروا أقرب إلى مخالفته بعد وفاته وقد انقطع الرجاء والخوف منه وزال الوحي عنه .

فقال : في أيّ موضعٍ من القرآن ؟

فقلتُ : قال الله جلّ جلاله في مخالفتهم في الخوف :

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ .[1]

١ـ الآية ٢٥ ، من السورة ٩: التوبة.

روى أصحاب التواريخ أنّه لم يبق مع النبيّ إلّا ثمانية أنفس : **عليّ عليه السلام، والعبّاس ، والفضل بن العبّاس ، وربيعة وأبو سفيان** ابنا الحارث بن عبد المطّلب ، **وأُسامة بن زيد، وعبيدة بن أُمّ أيْمَن ، ورُوِيَ : أيْمَن** بن أُمّ أيمن . وقال الله في مخالفتهم له في الأمن :

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ٱنْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِنْدَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَارَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ.[1]

ذكر جماعة من المؤرّخين أنّ النبيّ كان يخطب يوم الجمعة ، فبلغهم أنّ جمالاً جاءت لبعض الصحابة مزيَّنة ، فسارعوا إلى مشاهدتها وتركوه قائماً ، وماكان عند الجمال شيء يرجون الانتفاع به . فما ظنّك بهم إذا حصلت خلافة يرجون نفعها ورئاستها ؟!

وقال الله تعالى في سوء صحبتهم مع النبيّ :

وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ.[2]

ولو كانوا معذورين في سوء صحبتهم ، ما قال الله : «فاعف عنهم واستغفر لهم!» وقد عرفت في صحيحي مسلم والبخاريّ معارضتهم للنبيّ في غنيمة هوازن لمّا أعطى المؤلّفة قلوبهم[3] أكثر منهم .

ومعارضتهم له لمّا عفى عن أهل مكّة .

ومعارضتهم له قائلين : لماذا تريد تغيير الكعبة ؟ فلهذا ترك النبيّ

١ـ الآية ١١ ، من السورة ٦٢: الجمعة.

٢ـ الآية ١٥٩ ، من السورة ٣: آل عمران.

٣ـ المؤلّفة قلوبهم جماعة من الكفّار شرّع لهم القرآن الكريم حصّة من الزكاة لكي يكفّوا عن الحرب ومعارضة المسلمين أو من أجل تأليف قلوبهم وتليينها لقبول الإسلام، فيسلموا في آخر المطاف.

تغيير الكعبة وإعادتها إلى ما كانت في زمن إبراهيم عليه السلام خوفاً من معارضتهم له .

وعارضوا النبيّ لمّا خطب في تنزيه **صَفْوان بن المعَطِّل** لمّا قذف عائشة ، وأنّه ما قدر أن يتمّ الخطبة .

قلتُ : أتعرف هذا جميعه في صحيحي مسلم والبخاريّ ؟! فقال : هذا صحيح !

فقلتُ : وقال الله في إيثارهم عليه القليل من الدنيا : **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً**.[1] وقد عرفت أنّهم امتنعوا من مناجاته ومحادثته لأجل التصدّق برغيف وما دونه . حتّى تصدّق عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعشرة دراهم عن عشر دفعات ناجاه فيها ، ثمّ نسخت الآية بعد أن صارت عاراً عليهم وفضيحة إلى يوم القيامة بقوله :

ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ.[2] أي : هل خفتم من الفقر فلم تتصدّقوا قبل مناجاة النبيّ ؟! والآن لم تتصدّقوا ، وعفى الله عنكم ، فأقيموا الصلاة ...

فإذا حضرت يوم القيامة بين يدي الله جلّ جلاله ، وبين يدي رسوله صلّى الله عليه وآله ، وقالا لك :كيف جاز لك أن تقلّد قوماً في عملهم وفعلهم وقد عرفت منهم مثل هذه الأُمور الهائلة ؟ فأيّ عذر وأيّ حجّة تبقى لك عند الله ، وعند رسوله في تقليدهم ؟!

فبهت فقيه «المستنصريّة» وحار حيرة عظيمة .

١ـ الآية ١٢ ، من السورة ٥٨ : المجادلة.

٢ـ الآية ١٣ ، من السورة ٥٨ : المجادلة.

فقلتُ له : أما تعرف في صحيحي البخاريّ ومسلم في مسند جابر بن سمرة وغيره أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال في عدّة أحاديث : **لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ عَزيزاً مَا وَلَّاهُمُ اثْنَا عَشَرَ خَليفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**. وفي بعض أحاديثه صلّى الله عليه وآله من الصحيحين : **لَا يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِياً مَا وَلَّاهُمُ اثْنَا عَشَرَ خَليفةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**. وأمثال هذه الألفاظ كلّها تضمّن هذا العدد الاثني عشر .

فهل تعرف في الإسلام فرقة تعتقد هذا العدد غير الإماميّة الاثني عشريّة ؟! فإن كانت هذه الأحاديث صحيحة كما شرطت على نفسك في تصحيح ما نقله البخاريّ ومسلم ، فهذه مصحّحة لعقيدة الإماميّة وشاهدة بصدق ما رواه سلفهم ! وإن كانت كذباً ، فلأيّ حال رويتموها في صحاحكم ؟!

فقال : ما أصنع بما رواه البخاريّ ومسلم من تزكية أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وتزكية من تابعهم ؟!

فقلت له : أنت تعرف أنّني شرطت عليك أن لا تحتجّ عَلَيَّ بما ينفرد به أصحابك ! وأنت أعرف أنّ الإنسان ، ولو كان من أعظم أهل العدالة وشهد لنفسه بدرهم وما دونه ، ما قبلت شهادته ؛ ولو شهد في الحال على أعظم أهل العدالة بمهما شهد من الأُمور ممّا يقبل فيه شهادة أمثاله ، قبلت شهادته ؟!

والبخاريّ ، ومسلم يعتقدان إمامة هؤلاء القوم ، فشهادتهم لهم شهادة بعقيدة نفوسهم ، ونصرة لرئاستهم ومنزلتهم .

فقال **فقيه المستنصريّة** : والله ما بيني وبين الحقّ عداوة ، ما هذا إلّا واضح لا شبهة فيه ، وأنا أتوب إلى الله تعالى بما كنتُ عليه من الاعتقاد .

فلمّا فرغ من شروط التوبة ، وإذا رجل من ورائي قد أكبّ على يديّ

يقبّلها ويبكي .

فقلتُ : من أنت ؟! فقال : ما عليك من اسمي ؟! فاجتهدت بـه حـتّى قلت : فأنت الآن صديق ! أو صاحب حقّ ! فكيف يحسن لي أن لا أعرف صديقي وصاحب حقّ عَلَيَّ لأُكافيه ! فامتنع من تعريف اسمه .

فسألت الفقيه الذي من المستنصريّة : من هو هذا الرجـل ؟! فـقال : هذا فلان بن فلان من فقهاء النظاميّة سهوت عن اسمه الآن .[1]

وقال المرحوم السيّد ابن طاووس رضوان الله عليه في «الإقبال» حول عيد الغدير :

فَصْلٌ فيما نذكره من فضل الله جلّ جـلاله بـعيد الغـدير عـلى سـائر الأعياد وما فيه من المنّة على العباد .

اعلم أنّ كلّ عيد جديد أطلق اللـه جـلّ جـلاله فـيه شـيئاً مـن الجـود والإحسان إلى عبده السعيد ، فإنّما يكون إطلاقه جلّ جلاله لذلك الإحسـان لمن ظفر بمعرفة الله جلّ جلاله ومعرفة رسوله صلّى الله عـليه وآله وإمـام الزمان ، وكان صحيح الإيمان ، فإنّ النقل عن صاحب الشريعة النبويّة ورد متظاهراً أنّه **مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إمام زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً** .

وهذا عيد يوم الغدير الثامن عشر من ذي الحـجّة ، فـيه كشـف اللـه ورسوله عن واضح المحجّة ، ونصّ بها على من اختاره للإمامة والحجّة .

واعلم أنّ منّة الله وإحسانه بكشفه ، والمحنة بلطفه تكاد أن تزيد على الامتحان بصاحب النبوّة العظيم الشأن .

لأنّ الرسول المبعوث صلوات الله وسلامه عليه بعث فـي أوّل أمـره بمكّة إلى قوم يعبدون أحجاراً وأخشـاباً لا تـدفع ، ولا تـنفع ، ولا تسـمع

١ـ «كشف المحجّة»، الفصل ٩٨، ص ١٠٧ إلى ١١٥، الطبعة الحجريّة.

خطاباً ، ولا تردّ جواباً . قد شهدت عقول أهل الوجود بجهل من اتّخذها آلهة من دون الله المعبود .

هذا من جهة ، ومن جهة أُخرى لم يكن بين أهل مكّة وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله عداوة قبل رسالته ، ولا بينهم وبينه قتل ، ولا دم قد سفكه ، تمنع طبعاً وعقلاً من قبول نبوّته .

وأمّا **مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ** عليه أفضل السلام الذي نصّ الله جلّ جلاله عليه على لسان رسوله في يوم الغدير ، فإنّ أهل الإسلام كانوا قد اتّسعت عليهم شبهات العقول والأحلام وتأويل ما يقدرون فيه على التأويل .

وكان **أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ** عليه السلام قد عادى كثيراً من الناس في الله جلّ جلاله ، وفي طاعة الرسول الجليل ، فسفك دماء عظيمة من أسلافهم وعظمائهم ، وأمثالهم . وسار مع رسول الله صلّى الله عليه وآله سيرة واحدة في معاداة من عاداه من أوّل أمره إلى آخره من غير مراعاة لحفظ قلوب من كان عاداه من رجالهم . وظهرت له من الكرامات والعنايات ما اقتضت حسد أهل المقامات ، فحصل لإمامته من المعاداة والحسد له على الحياة ، ونفور الطباع أنّه ما سار إلّا سيرة رسول الله من غير وهن ولا مداهنة على ماكان عند بعثة النبيّ عليه أفضل الصلوات ، فبلغ الأمر إلى ما قدّمناه قبل هذا الفصل من العداوات . ثمّ قال : **فَصْلٌ** ولقد حكى أبو هلال العسكريّ في كتاب «الأوائل» وهو من المخالفين المعاندين كلاماً جليلاً في سبب عداوة الناس لمولانا عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

فقال في مدح **أبي الهَيْثَم بن التَّهيِّان** [1] أنّه أوّل من ضرب على يد

١ـ قال في «الإصابة» ج ٤، ص ٢٠٨: أبو الهيثم بن التَّيِّهان بفتح النقطتين الفوقيّة ⇦

رسول الله صلّى الله عليه وآله في ابتداء أمر نبوّته. ثمّ قال بإسناده إلى الهيثم بن التيّهان: **إنَّهُ قَامَ خَطِيباً بَيْنَ يَدَيْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: إنَّ حَسَدَ قُرَيْشٍ إيَّاكَ عَلَى وَجْهَيْنِ:**

أمَّا خِيَارُهُمْ فَتَمَنَّوا أنْ يَكُونُوا مِثْلَكَ مُنَافَسَةً فِي المَلَاءِ وَارْتِفَاعِ الدَّرَجَةِ.

وَأمَّا شِرَارُهُمْ فَحَسَدُوُا حَسَداً أثْقَلَ القُلُوبَ وَأحْبَطَ الأَعْمَالَ. وَذَلِكَ أنَّهُمْ رَأوْا عَلَيْكَ نِعْمَةً قَدَّمَهَا إلَيْكَ الحَظُّ وَأخَّرَهُمْ عَنْهَا الحِرْمَانُ فَلَمْ يَرْضَوا أنْ يَلْحَقُوا حَتَّى طَلَبُوا أنْ يَسْبِقُوكَ فَبَعُدَتْ وَاللَهِ عَلَيْهِمُ الغَايَةُ وَسَقَطَ المِضْمَارُ.

فَلَمَّا تَقَدَّمْتَهُمْ بِالسَّبْقِ وَعَجَزُوا عَنِ اللِّحَاقِ بَلَغُوا مِنْكَ مَا رَأيْتَ، وَكُنْتَ وَاللَهِ أحَقَّ قُرَيْشٍ بِشُكْرِ قُرَيْشٍ، نَصَرْتَ نَبِيَّهُمْ حَيّاً وَقَضَيْتَ عَنْهُ الحُقُوقَ مَيْتاً.

وَاللَهِ مَا بَغْيُهُمْ إلَّا عَلَى أنْفُسِهِمْ وَلَا نَكَثُوا إلَّا بَيْعَةَ اللَهِ. يَدُ اللَهِ فَوْقَ أيْدِيهِمْ فِيهَا. وَنَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنصَارِ أيْدِينَا وَأَلْسِنَتُنَا مَعَكَ! فَأيْدِينَا عَلَى مَنْ شَهِدَ، وَأَلْسِنَتُنَا عَلَى مَنْ غَابَ.[1]

وكذلك قال المرحوم السيّد ابن طاووس: قال مصنّف كتاب «**النَّشْر والطَّيّ**»: قال **أبو سعيد الخُدْرِيّ**: فلم ننصرف مع رسول الله من غدير خمّ حتّى نزلت هذه الآية:

⇦ وكسرهما،ابن مالك بن عتيك بن عمرو، وقيل: اسمه مالك. شهد بدراً وحضر بيعة العقبة. آخى النبيّ بينه وبين عثمان بن مظعون. وذهب كثيرون إلى أنّه استُشهد في حرب صفّين.

١ـ كتاب «الإقبال» لابن طاووس، ص ٤٥٩ إلى ٤٦١.

ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا.[1] فقال النبيّ صلىّ الله عليه وآله : **الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ وَرِضَا الرَّبِّ بِرِسَالَتِي وَوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ.** ونزلت هذه الآية :

ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ.[2]

قال صاحب كتاب «النَّشر والطيّ» : فقال الصادق عليه السلام : **يَئِسَ الكَفَرَةُ وَطَمِعَ الظَّلَمَةُ.**

و أنا أنقل ما قاله مسلم في صحيحه بإسناده إلى **طَارِقِ بْنِ شَهَابٍ** قال : قالت اليهود لعمر : لو علينا معشر اليهود نزلت هذه الآية : **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا**، و نعلم اليوم الذي أنزلت فيه ، لا تّخذنا ذلك اليوم عيداً .[3]

وروى نزول هذه الآية يوم الغدير جماعة من المخالفين (السنّة) ذكرناهم في «الطرائف» . وقال مصنّف كتاب «النَّشْر والطيّ» : وروي أنّ الله عرض عليّاً على الأعداء يوم المباهلة ، فرجعوا عن العداوة ، وعرضه على الأولياء يوم الغدير ، فصاروا أعداءً ، فشتّان ما بينهما !

أجل ، إنّ جميع هذه الميزات والخصوصيّات ونزول الآيات تضفي على يوم الغدير أهمّيّة وجلالاً ، إذ أسرّت الرسول الأكرم صاحب الرسالة الخاتميّة ، والأئمّة الطاهرين خلفاءه بالحقّ ، والمؤمنين بعدهم ، وهذه هي الحقيقة والمعنى الذي نريده من العيد .

---

١ و ٢ـ الآية ٣، من السورة ٥: المائدة.

٣ـ إنّ هذه الرواية التي ذكرها طارق بن شهاب في «تيسير الوصول» ص ٢٢٢ ، أوردها مسلم، والبخاريّ ، والترمذيّ ، والنّسائيّ ، ومالك في كتبهم أيضاً.

روى **فُرات بن إبراهيم الكوفيّ** عن محمّد بن ظهير، عن عبد الله بن الفضل الهاشميّ، عن الإمام جعفر الصادق، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام:

قَالَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَوْمُ غَدِيرِ خُمٍّ أَفْضَلُ أَعْيَادِ أُمَّتِي، وَهُوَ اليَوْمُ الَّذِي أَمَرَنِي اللَهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ بِنَصْبِ أَخِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَماً لأُمَّتِي يَهْتَدُونَ بِهِ مِنْ بَعْدِي، وَهُوَ اليَوْمَ الَّذِي أَكْمَلَ اللَهُ فِيهِ الدِّينَ، وَأَتَمَّ عَلَى أُمَّتِي فِيهِ النِّعْمَةَ وَرَضِيَ لَهُمُ الإِسْلَامَ دِيناً.[1]

وفي ضوء هذا العيد ومعنى العيد، قال رسول الله: **هَنِّئُونِي! هَنِّئُونِي!** إذ إنّ التهنئة والتبريك من مواصفات العيد الخاصّة به، بعيدٍ كهذا.

وروى **أبو سعيد الخركوشيّ النيسابوريّ** بإسناده عن البراء بن عازب، عن أحمد بن حنبل، وعن أبي سعيد الخُدْريّ قال: **ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: هَنِّئُونِي! هَنِّئُونِي! إنَّ اللَهَ تَعَالَى خَصَّنِي بِالنُّبُوَّةِ وَخَصَّ أَهْلَ بَيْتِي بِالإِمَامَةِ. فَلَقِيَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَقَالَ: طُوبَى لَكَ يَا أَبَا الحَسَنِ! أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ.**[2]

واتّخذ أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير عيداً اقتداءً بهدى رسول الله صلّى الله عليه وآله، كما وجدنا ذلك في خطبته التي نقلناها عن كتاب «مصباح المتهجّد». وعرف الأئمّة الطاهرون عليهم السلام هذا اليوم، وسمّوه عيداً، وأمروا كافّة المسلمين أن يتّخذوه عيداً، ويبثّوا فضائله، ويتحدّثوا للناس عن الثواب المضاعف لأعمال البرّ والحسنات والخيرات في ذلك اليوم.

١ـ «تفسير فرات بن إبراهيم».

٢ـ كتاب «شرف المصطفى».

وروى **فرات بن إبراهيم** أيضاً بسنده عن فرات بن أحنف ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : قلت للإمام : جُعِلْتُ فداك ! للمسلمين عيد أفضل من الفطر ، والأضحى ، ويوم الجمعة ، ويوم عرفة ؟!

قال الإمام : نعم ، أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين ، وأنزل على نبيّه محمّد هذه الآية :

ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا.

قلتُ : وأيّ يوم هو ؟

قال : فقال [الإمام] : إنّ أنبياء بني إسرائيل كانوا إذ أراد أحدهم أن يعقد الوصيّة والإمامة من بعده ، ففعل ذلك ، جعلوا ذلك اليوم عيداً .

[فأفضل الأعياد] هو اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام للناس عَلَماً ، وأنزل فيه ما أنزل ، وكمل فيه الدين ، وتمّت فيه النعمة على المؤمنين .

قال : قلتُ : وأيّ يوم هو في السنة ؟!

قال : فقال : إنّ الأيّام تتقدّم وتتأخّر ، وربما كان يوم السبت ، والأحد ، والاثنين إلى آخر الأيّام السبعة .

قال : قلتُ : فما ينبغي لنا أن نعمل في ذلك اليوم ؟!

قال [الإمام] : هو يوم عبادة ، وصلاة وشكر للّه وحمد له ، وسرور ، لما منّ الله به عليكم من ولايتنا ، فإنّي أُحبُّ لكم أن تصوموه ! [1]

وروى **محمّد بن يَعقوب الكُلَيْنيّ** عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن يحيى ، عن جدّه الحسن بن راشد ، عن الإمام الصادق عليه السلام

١ـ «تفسير فرات بن إبراهيم» سورة المائدة؛ و «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٢١٥.

قال : قلت للإمام : جعلتُ فداك ! للمسلمين عيد غير العيدين (الفِطر والأضْحى) ؟!

قال : نعم يا حسن ! أعظمهما وأشرفهما !

قلت : وأيّ يوم هو ؟!

قال : يوم نُصِبَ أمير المؤمنين عليه السلام عَلَماً [وإماماً للناس] !

قلتُ : جعلت فداك ! وما ينبغي لنا أن نصنع فيه ؟!

قال : تصوم يا حسن ! وتكثر الصلاة على محمّد وآله ، وتبرأ إلى الله ممّن ظلمهم ! فإنّ الأنبياء عليهم السلام كانوا يأمرون الأوصياء اليوم الذي كان يقام فيه الوصيّ أن يتّخذ عيداً .

قلتُ : فما لمن صامه ؟!

قال : صيام ستّين شهراً ! وأنت لا تدع صيام السابع والعشرين من شهر رجب ! لأنّ النبوّة نزلت على محمّد صلّى الله عليه وآله في ذلك اليوم ، وثوابه لكم كصيام ستّين شهراً .[1]

وروى الكلينيّ أيضاً عن سَهْل بن زياد ، عن عبد الرحمن بن سالم ، عن أبيه أنّه قال : سألت الصادق عليه السلام : هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة ، والأضحى ، والفطر ؟!

قال : نعم ! أعظمها حرمة !

١ـ «فروع الكافي» طبعة المطبعة الحيدريّة، كتاب الصيام، باب صيام الترغيب، ج ٢، ص ١٤٨ و ١٤٩؛ ورواها السيّد ابن طاووس في «الإقبال» عن رواية عليّ بن حسن فضّال في كتاب الصيام، عن الحسن بن راشد. وجاء فيها أنّ ذلك اليوم هو الثامن عشر من ذي الحجّة، ويستحبّ للإنسان أن يصوم في ذلك اليوم، ويتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بأنواع أعمال الخير. (ص ٤٦٥)؛ ورواها الشيخ الطوسيّ في «مصباح المتهجّد» ص ٥١٢ و ٥١٣. ووردت في «بحار الأنوار» ج ٩، ص ٢١٥.

قلتُ : وأيّ عيد هو ، جعلت فداك ؟! قال : اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ!**

قلت : وأيّ يوم هو؟! قال : وما تصنع باليوم؟ إنّ السنة تدور.[1] ولكنّه يوم ثمانية عشر من ذي الحجّة . فقلت : ما ينبغي لنا أن نفعل في ذلك اليوم؟!

قال : تذكرون الله عَزَّ ذِكْرُهُ فيه بالصيام والعبادة والذكر لمحمّد وآل محمّد ! فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أوصى أمير المؤمنين عليه السلام أن يتّخذوا ذلك اليوم عيداً ، وكذلك كان الأنبياء عليهم السلام يفعلون ، كانوا يوصون أوصياءهم بذلك فيتّخذونه عيداً .[2]

١ـ نلحظ هنا أنّ السائل لمّا أراد أن يعرف يوم الغدير حسب الفصول والشهور الشمسيّة، ردعه الإمام عليه السلام، وقال: المناط في حساب وتعيين الأيّام والأعياد وغيرها هو الشهور القمريّة لاالشمسيّة . وعيد الغدير هو يوم الثامن عشر من ذي الحجّة ، ولكنّ يومه غيرمحدّد حسب الشهور الشمسيّة، لأنّ الأيّام تدور باستمرار، وكلّ يوم من أيّام الشهر القمريّ لايقع في يوم خاصّ من أيّام الشهر الشمسيّ ، بل هو يدور دائماً. فقد يصادف يوم عيد الغدير مثلاً في الربيع وشهر الحمل، وقد يتّفق وقوعه في الجوزاء، وقد يكون في الصيف وشهر السرطان، وهكذا. ولمّا كان المدار في الأُمور الشرعيّة والحساب هو الشهور القمريّة، فلافائدة في معرفتها وتطبيقها على الشهور الشمسيّة. ولهذا قال للسائل: ومَا تَصْنَعُ باليوم إنَّ السَّنَةَ تَدُورُ؟ وهذه الرواية، وكذلك الرواية التي نقلناها أخيراً عن فرات بن إبراهيم، التي يقول الإمام فيها: إنّ الأيّام تتقدّم وتتأخّر، دليل على عدم جواز الاستناد إلى الشهور الشمسيّة، إذ إنّ السائل يقول في هذه الرواية أيضاً: قلتُ : **وأيّ يوم هو في السنة؟ فقال لي : إنّ الأيّام تتقدّم وتتأخّر وربما كانت في السبت** ـ إلى آخره. ونحن ناقشنا هذا الموضوع بنحو وافٍ في الجزء السادس من هذا الكتاب، في المجلس ٨٣ إلى ٩٠، وكذلك في رسالة مستقلّة عنوانها «رسالة نوين در بناء اسلام بر سال وماه قمري» (= رسالة جديدة في بناء الإسلام على الشهور القمريّة).

٢ـ «فروع الكافي» ج ٢، ص ١٤٩، الطبعة الحيدريّة؛ وكتاب «الإقبال» ص ٤٦٥ ؛ ⇦

قال السيّد ابن طاووس بعد ذكر هاتين الروايتين اللتين نقلناهما عن «الكافي» :

ومن أُولئك الذين رووا في فضل الغدير : **الشُّيُوخُ المُعَظَّمُونَ : أَبُو جَعْفَر مُحَمَدُ بْنُ بَابَوَيْه ، وَالمُفِيدُ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدُ بنْ النُّعْمَان ، وَأَبُو جَعْفَر مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَن الطُّوسيّ** بإسنادهم جميعاً عن الصادق عليه السلام : **إنَّ العَمَلَ فِي يَوْمِ الغَدِيرِ : ثَامِنِ عَشَرَ ذِي الحَجَّةِ يَعْدِلُ العَمَلَ فِي ثَمَانِينَ شَهْرَاً .**[1]

وفي حديث آخر بإسنادهم جميعاً عن الصادق عليه السلام قال : **صَوْمُ يَومِ غَدِيرِ خُمٍّ كَفَّارَةُ سِتِّينَ سَنَةً .**[2]

ومن الرواة في فضيلة الغدير ، مصنّف كتاب «النشر والطيّ» بإسناده عن الحسن بن محمّد بن سعيد الهاشميّ الكوفيّ ، عن فرات بن إبراهيم الكوفيّ ، عن محمّد بن ظهير ، عن عبد الله بن فضل الهاشميّ ، عن الصادق عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام ، **قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَوْمُ غَدِيرِ خُمٍّ أَفْضَلُ أعْيَادِ أُمَّتِي ، هُوَ اليَوْمُ الَّذي أَمَرَنِي فِيهِ بِنَصْبِ أخِي عَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ فِيهِ عَلَمًا لِأُمَّتِي يَهْتَدُونَ بِهِ بَعْدِي . وَهُوَ اليَوْمُ الَّذِي أَكْمَلَ اللَهُ فِيهِ الدِّينَ وَأتَمَّ عَلَى أُمَّتِي فِيه النِّعْمَةَ ورَضِيَ لَهُمُ الإسْلَامَ دِيناً .**

ثمّ قال : **مَعَاشِرَ النَّاسِ ! إنَّ عَلِيَّاً مِنِّي وَأنَا مِنْ عَلِيٍّ خُلِقَ مِنْ طِينَتِي وَهُوَ بَعْدي يُبَيِّنُ لَهُمْ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ سُنَّتِي . وَهُوَ أميرُ المُؤْمِنِينَ وَقَائِدُ**

⇦ و«مصباح المتهجّد» ص ٥١٢ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٢١٥ و ٢١٦ .

١ـ «الإقبال» ص ٤٦٥ .

٢ـ «الإقبال» ص ٤٦٦ ؛ ورواه في «مصباح المتهجّد» ص ٥١٢ ، عن المفضّل بن عمر ، عن الإمام الصادق عليه السلام .

الغُرِّ المُحَجَّلِينَ وَيَعْسُوبُ المُؤْمِنِينَ وَخَيْرُ الوَصِيِّينَ وَزَوْجُ سَيِّدَةِ نِسَاءِ العَالَمِينَ وَأَبُو الأَئِمَّةِ المَهْدِيِّينَ .[1]

ومن أُولئك : محمّد بن عليّ بن محمّد الطرازيّ في كتابه بإسناده المتّصل عن المُفَضَّل بن عُمَر قال : قال لي أبو عبد الله صلّى الله عليه : إذا كان يوم القيامة ، زُفّت أربعة أيّام إلى الله عزّ وجلّ كما تزفّ العروس إلى خِدرِها . يوم الفطر ، ويوم الأضحى ، ويوم الجمعة ، ويوم غدير خمّ . ويوم غدير خمّ بين الفطر والأضحى ، ويوم الجمعة كالقمر بين الكواكب .

وإنّ الله ليوكل بغدير خمّ ملائكته المقرّبين ، وسيّدهم يومئذٍ جبرائيل عليه السلام . وأنبياء الله المرسلين وسيّدهم يومئذٍ **محمّد** صلّى الله عليه وآله . وأوصياء الله المنتجبين وسيّدهم يومئذٍ **أمير المؤمنين** . وأولياء الله وساداتهم يومئذٍ سلمان ، وأبو ذرّ ، والمقداد ، وعمّار .

حتّى يورده الجنان كما يورد الراعي بغنمه الماء والكلأ .

قال **المفضلّ** : قلتُ : سيّديّ ! تأمرني بصيامه ؟ قال لي : **إي وَاللَهِ ! إي وَاللَهِ ! إي وَاللَهِ !**

إنّه [عيد الغدير هو] اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام ، فصامه شكراً للّه على ذلك اليوم . وإنّه اليوم الذي نجّى الله تعالى فيه إبراهيم عليه السلام من النار فصام شُكْراً للّه تعالى . وإنّه اليوم الذي أقام موسى عليه السلام هارون عليه السلام عَلَماً ، فصام شكراً للّه تعالى ذلك اليوم . وإنّه اليوم الذي أظهر عيسى عليه السلام وصيّه شمعون الصفا ، فصام شكراً للّه عزّ وجلّ ذلك اليوم . وإنّه اليوم الذي أقام رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام للناس عَلَماً ، وأبان فيه فضله ووصيّه ، فصام شكراً للّه

١ـ «الإقبال» ص ٤٦٦ .

تعالى ذلك اليوم . وإنّه ليوم صيام ، وقيام ، وإطعام ، وصلة الإخوان ، وفيه مرضاة الرحمن ، ومرغمة الشيطان .[١]

وذكر السيّد ابن طاووس بعد عرض هذه الروايات فصلاً في عِلَل وموجبات فضل عيد الغدير ، وقال : فَصْلٌ في جواب من سأل عمّا في يوم الغدير من الفضل ، وقصر فهمه عمّا ذكرناه من ذلك النقل .

اعلم أنّ من التنبيه على أنّ فضل يوم الغدير ما عرف مثله بعده ولا قبله لأحد من الأوصياء والأعيان فيما مضى من الأزمان ، وجوه منها :

إنّ الله جلّ جلاله جعل نفس عليّ عليه السلام نفس النبيّ صلّى الله عليه وآله في آية المباهلة ، فقال تعالى :

فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ .[٢]

وقد ذكرنا في كتاب «الطرائف» عن المخالفين [من أهل السنّة] أنّ **الأبناء : الحَسَن ، والحسين ، والنساء : فاطمة ، وأنفُسَنا : عليّ بن أبي طالب** ، عليهم السلام .

ومهما جرى من التعظيم لنفس رسول الله . فمولانا عليّ عليه السلام داخل فيما يكن دخوله فيه من ذلك المقام . ولو اقتصرنا على هذا الوجه الكبير لكفى في تعظيم يوم الغدير .

١ـ «الإقبال» ص ٤٦٦ .

٢ـ الآية ٦١ ، من السورة ٣ : آل عمران : **فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ** . أي : كلّ من جادلك وحاجَّك في عيسى ابن مريم هل هو الله أو ابن الله بعدما عرفت حقيقة المطلب من الله وعلمت أنّه مخلوق، فقل تعالوا نحن وإيّاكم وأبناءنا ونساءنا وأنفسنا فنتباهل وندعو بالهلاك على الكاذب.

ومنها : أنّنا روينا في «الطرائف» عن المخالف أنّ نور عليّ عليه السلام من نور النبيّ صلّى الله عليه وآله في أصل خلقتهما ، وأنّ ذلك بيّنة على تعظيم منزلتهما .

ومنها : أنّ مولانا عليّ عليه السلام في أُمّة رسول الله صلّى الله عليه وآله .[1]

ومنها : كلّما عَظُمت حرمة المنصوص عليه بالخلافة ، كان ذلك تعظيماً لمن كان عنه . **ومولانا عليّ** عليه السلام نائب عن الله ورسوله في كلّ رحمة ورأفة . وأمان من كلّ آفة ومخافة .

ومنها : إنّ الله جلّ جلاله قال : **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ**.[2]

فيكون **عليّ** عليه السلام بمقتضى هذا الوصف المتمثّل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي لا يجحد ولا ينكر ، الرئيس من الله

١ـ تحدّث سماحة أُستاذنا العلّامة الطباطبائيّ رضوان الله عليه في الجزء الأوّل من «الميزان» ص ٣٢٢ إلى ٣٢٧ حديثاً جامعاً ومشبعاً عن أنّ المراد بالأُمّة الوسطى في الآية الشريفة ١٤٣ ، من السورة ٢ : البقرة : **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ، ليس الأُمّة كلّها ، لأنّ عنوان : **شهداء على الناس** هو الاطّلاع على أعمال الدنيا وأسرارهم فيها. وما لم يكن هذا العلم لأحد ، فلايمكن أن يكون شاهداً وشهيداً على الناس يوم القيامة. ولامحالة أنّ الأُمّة الوسطى أفراد مخصوصون من الأُمّة ، مطّلعون على أسرار الناس ونيّاتهم وبواطنهم. يتحمّلون الشهادة ويؤدّونها يوم القيامة. وهذا يخُصّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام وأولياء الله الشاهدين على أعمال الناس ، والنبيّ شاهد على أعمالهم.

فعلى هذا ، وفي ضوء هذا البيان ، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام من أُمّة رسول الله حقّاً ، وهو داخل في هذه الجماعة فحسب.

٢ـ الآية ١١٠ ، من السورة ٣ : آل عمران.

ورسوله على هذه الأُمّة التي هي خير الأُمم ، أعظم من كلّ رئيس في شرف القِدَم وعلوّ الهِمَم وكمال القسم .

ومنها : أنّ الامتحان بنصّ الله جلّ جلاله ورسوله صلوات الله عليه على مولانا **عليّ بن أبي طالب** عليه السلام ، وجدناه أعظم من كلّ امتحان عرفناه للأوصياء ، لأجل ما اتّفق لمولانا علي من كثرة الحاسدين وأعداء الدين الذين عاداهم وجاهدهم في الله ربّ العالمين ، وفي نصرة سيّد المرسلين ؛ وقد شهدت عدالة الألباب أنّ المنازل في الفضل تزيد بزيادة الامتحان الوارد من جانب مالك الأسباب .

ومنها : أنّ **مولانا عليّاً** عليه السلام وقى النبيّ صلّى الله عليه وآله وحفظ الإسلام والمسلمين في عدّة مقامات عجز عنها كثير من قوّة العالمين .

فجازاه الله جلّ جلاله ، ورسوله صلّى الله عليه وآله شرف ذلك الفضل المبين بهذا المقام المكين ، مثل أنّه بات على فراش رسول الله بمكّة ، وقد عجز عنها كلّ من قرب منه ، وكانوا بين هارب وعاجز عنه ، ولهذا فكلّما جرى بالمهاجرة من الشهادة في الدنيا والآخرة ، فمولانا حيث فداه بمهجته ، أصل الفوائد بنبوّته .

ومنها : أنّ عليّاً عليه السلام أدّى سورة براءة ونبذ عهود المشركين لمّا نزل إلى خاتم النبيّين : **إِنَّهُ لَا يُؤَدِّيهَا إِلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ** . فكان القائم مقام النبوّة **مَوْلَانَا عَلِيّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ** .

ومنها : مقامات **مولانا عليّ** عليه السلام في بَدْر ، وخَيبر ، وحُنَيْن ، وأُحُد ، وفي كلّ موقف كان يمكن أن يخذل الوالد ولده .

ومنها : قتل **مولانا عليّ** عليه السلام **عَمْرو بن عَبْد وُدٍّ** العظيم الشأن . وقد روينا في كتاب «الطرائف» عن المخالفين من العامّة أنّ النبيّ صلّى الله

عليه وآله قال : **لَضَرْبَةُ عَلِيٍّ لِعَمْرو بْنِ عَبْدِ وُدٍّ أفْضَلُ مِنْ عَمَلِ أُمَّتِي إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**. وفي حديث آخر : **لَضَرْبَةُ عَلِيٍّ يَوْمَ الخَنْدَقِ أفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الثَّقَلَيْنِ**.

وكذلك قال النبيّ صلّى الله عليه وآله لمّا برز مولانا عليّ إلى عمرو بن عبد ودّ : **بَرَزَ الإسْلَامُ كُلُّهُ إلَى الكُفْرِ كُلِّهِ**.

فما ظنّك برجل يرى النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه هو الإسلام كلّه ؟! وكيف يدرك بالبيان والتبيان فضله ؟

ولله درّ القائل :

يَفْنَى الكَلَامُ وَلَا يُحيطُ بِوَصْفِهِ أيُحيطُ مَا يَفْنَى بِمَا لَا يَنفَدُ

ومنها : أنّ الله جلّ جلاله جعل النصّ منه جلّ جلاله ، ومن رسوله صلوات الله عليه وآله بالخلافة لعليّ صلوات الله عليه ، يقوم مقام جميع فضل الرسالة والنبوّة . وهذا مقام لا يبلغ وصفي حقيقته . فقال جلّ جلاله : **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ**.[1]

وقد ذكرنا في كتاب «الطرائف» عن المخالف ، وفي هذا الكتاب : [«الإقبال»] : أنّ المراد بهذه الآية ولاية عليّ عليه السلام يوم الغدير من غير ارتياب .

ومنها : أنّ عناية الله جلّ جلاله **بمولانا عليّ** عليه السلام بلغت بتكرار الآيات والمعجزات والكرامات إلى أن ادّعى فيه خلق عظيم باقون إلى هذه الأوقات ما ادّعى بعض النصارى في عيسى عليه السلام ، وأنّه ربّ العالمين الذي يجب أن توجّه العبادات إليه .

١ـ الآية ٦٧ ، من السورة ٥ : المائدة.

ومنها : أنّ **مولانا عليّاً** عليه السلام عذّب الذين ادّعوا فيه الإلهيّة ،كما أمره صاحب النبوّة الربّانيّة ، ولم يـزدهم تـعذيبه لهـم إلّا مـلزماً بأنّـه ربّ العالمين .

وما عرفنا أنّ معبوداً عذّب من يعبده بمثل ذلك العذاب ، وهو مـقيم على عبادته بالجدّ والاجتهاد . فكان ذلك تنبيهاً على أنّ ظهور فضله خرق العقول والبصائر ، حتّى بلغ إلى هذا الأمر الباهر .

وما نقدر على شرح فضائل مولانا عليّ عليه السلام عـلى التـفصيل . وقد ذكرنا في كتاب «الطرائف» وجوهاً دالّة على مقامه الجليل . وقد نـطق القرآن الشريف بنعم الله على عباده مطلقاً على التجميل ، فقال :

وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَهِ لَا تُحْصُوهَا ،[1] فهذا [فنعمة ولايـته وإمـامته] يكون من تلك النعم التي لا تحصى ، لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام رئيس القوم الذين ظفروا بها وحصّلوها .[2]

وروى الشيخ الطوسيّ فـي «مـصباح المـتهجّد» عـن داود بـن كـثير الرِّقّي ، عن أبي هارون : عمّار بن حَريز العبديّ أنّه قال : دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في يوم الثامن عشر من ذي الحـجّة فـوجدته صـائماً ، فقال لي : **هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ ، عَظَّمَ اللَّهُ حُرْمَتَهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ وَأَكْمَلَ لَهُمْ فِيهِ الدِّينَ ، وَتَمَّمَ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ ، وَجَدَّدَ لَهُمْ مَا أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِنَ العَهْدِ وَالمِيثَاقِ .**

فقيل له : ما ثواب صوم هذا اليوم ؟!

قال : **إِنَّهُ يَوْمُ عِيدٍ وَفَرَحٍ وَسُرُورٍ ، وَيَوْمُ صَوْمٍ شُكْراً لِلَّهِ** . وإنّ صومه يعدل ستّين شهراً من أشهر الحُرُم .

١ـ الآية ٣٤، من السورة ١٤: إبراهيم.

٢ـ «الإقبال» ص ٤٦٦ و ٤٦٧.

ومن صلّى فيه ركعتين أيّ وقت شاء ، وأفضله قرب الزوال ، وهي الساعة التي أُقيم فيها أمير المؤمنين عليه السلام بغدير خُمّ عَلَماً للناس ، وذلك أنّهُم كانوا قربوا من المنزل في ذلك الوقت . فمن صلّى في ذلك الوقت ركعتين ثمّ سجد وقال : **شُكْراً لِلَّهِ** مائة مرّة ، ودعا بعقب الصلاة بالدعاء الذي سيأتي ،[1] ورفع رأسه من السجود ، ثمّ سجد وحمد الله وشكره مائة مرّة ، وهو ساجد ،كان كمن حضر يوم الغدير وبايع رسول الله على ولاية أمير المؤمنين . وكانت درجته مع درجة الصادقين الذين صدقوا الله ورسوله في موالاة مولاهم ذلك اليوم ، وكان كمن استشهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ومع أمير المؤمنين صلّى الله عليه ، ومع الحسن والحسين عليهما السلام . وكان كمن يكون تحت راية القائم عليه السلام في فسطاطه من النجباء والنقباء .[2]

وروى الشيخ الصدوق بسنده عن الحسن بن راشد ، عن المفَضَّل بن عُمَر قال : قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام :كم للمسلمين من عيد ؟! قال : أربعة أعياد .

قال : قلتُ : قد عرفت العيدين (الفطر والأضحى) والجمعة .

فقال لي : أعظمها وأشرفها يوم الثامن عشر من ذي الحجّة ، وهو اليوم الذي أقام فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام ونصبه للناس عَلَماً . قال : قلتُ : ما يجب علينا في ذلك اليوم ؟ قال : يجب عليكم صيامه شُكْراً لِلَّهِ وحَمْداً لَهُ ومَع أنّه أهل أن يشكر كلّ ساعة . وكذلك أمرت الأنبياء أوصياءها أن يصوموا اليوم الذي يقام فيه الوصيّ و

١ـ الرواية إلى هنا مذكورة في «مصباح المتهجّد» ص ٥١٣.

٢ـ هذه التتمّة في «الإقبال» ص ٤٧٣ و ٤٧٤.

يتّخذونه عيداً . ومن صامه ، فهو أفضل من عمل ستّين سنة .[١]

وقال السيّد في «الإقبال» عن محمّد بن عليّ الطرازيّ في كتابه بإسناده إلى عبد الله بن جعفر الحميريّ ، قال : حدّثنا هارون بن مسلم ، عن أبي الحسن الليثيّ ، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السلام ، أنّه قال لمن حضره من مواليه وشيعته : أتعرفون يوماً شيّد الله به الإسلام ، وأظهر به منار الدين ، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا ؟!

فقالوا : الله ورسوله وابن رسوله أعلم ، أيوم الفطر هو يا سيّدنا ؟! قال : لا .

قالوا : أفيوم الأضحى ؟!

قال : لا ! وهذان يومان جليلان شريفان . ويوم أُمناء الدين أشرف منهما . وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة . وإنّ رسول الله لمّا انصرف من حجّة الوداع ، وصار بغدير خمّ ، أمر الله عزّ وجلّ جبرائيل أن يهبط على النبيّ صلّى الله عليه وآله وقت قيام الظهر من ذلك اليوم . وأمره أن يقوم بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، وأن ينصبه عَلَماً للناس بعده ، وأن يستخلفه في أُمّته .

فهبط إليه جبرائيل وقال له : **يا حبيبي** ! إنّ الله يقرئك السلام ، ويقول لك : قم في هذا اليوم بولاية عليّ عليه السلام ليكون عَلَماً لأُمّتك بعدك يرجعون إليه ويكون لهم كأنت .

فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله : **يا حبيبي جَبْرَئيل** ! إنّي أخاف تغيّر أصحابي لما قد وتروه ، وأن يبدوا ما يضمرون فيه !

فعرج جبرائيل ، وما لبث أن هبط بأمر الله ، فقال :

١ـ «الخصال» ص ٢٦٤ ، باب الأربعة، طبعة مطبعة الحيدريّ .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ!

فقام النبيّ صلّى الله عليه وآله ذَعِراً مرعوباً خائفاً من شدّة الرمضاء ، وقدماه تشويان ، وأمر بأن ينظّف الموضع ، ويُقَمَّ ما تحت الدوح من الشوك . ففعل ذلك .

ثمّ نادى : **الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ** ، فاجتمع المسلمون ، وفيهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وسائر المهاجرين والأنصار ، ثمّ قام خطيباً ، وذكر بعد الولاية ، فألزمها المسلمين جميعاً ، فأعلمهم أمر الله بذلك .

فقال قوم ما قالوا ، وتناجوا ، بما أسرّوا . فإذا كان صبيحة يوم عيد الغدير ، وجب الغسل في صدر نهاره ، وأن يلبس المؤمن أنظف ثيابه وأفخرها ، ويتطيّب ، ويرفع يده بالدعاء ويقول : **اللَهُمَّ إِنَّ هَذَا اليَوْمَ الَّذِي شَرَّفْتَنَا فِيهِ بِوَلَايَةِ وَلِيِّكَ عَلِيٍّ صَلَواتُ اللَهِ عَلَيْهِ وَجَعَلْتَهُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَأَمَرْتَنَا بِمُوالَاتِهِ وَطَاعَتِهِ وَأَنْ نَتَمَسَّكَ بِمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْكَ وَيُزْلِفُنَا لَدَيْكَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ!**

اللَهُمَّ قَدْ قَبِلْنَا أَمْرَكَ وَنَهْيَكَ وَأَطَعْنَا لِنَبِيِّكَ وَسَلَّمْنَا وَرَضِينَا فَنَحْنُ مَوَالِيَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَوْلِيَائِهِ كَمَا أَمَرْتَ نُوَالِيهِ ، وَنُعَادِي مَنْ يُعَادِيهِ ، وَنَبْرَأُ مِمَّنْ يَبْرَأُ مِنْهُ وَنُبْغِضُ مَنْ أَبْغَضَهُ ، وَنُحِبُّ مَنْ أَحَبَّهُ ، وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْلَانَا كَمَا قُلْتَ وَإِمَامُنَا بَعْدَ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا أَمَرْتَ .

فإذا كان وقت الزوال ، أخذتَ مجلسك بهدوء وسكون ووقار وهيبة وإخبات ، وتقول :

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ كَمَا فَضَّلَنَا فِي دِينِهِ عَلَى مَنْ جَحَدَ وَعَنَدَ وَفِي نَعِيمِ الدُّنْيَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عَمَدَ . وهَدَانَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَشَرَّفَنَا بِوَصِيِّهِ وَخَلِيفَتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَيهِ

السَّلَامُ. اللَهُمَّ إنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَبِيُّنَا كَمَا أَمَرْتَ وَعَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْلَانَا كَمَا أَقَمْتَ، وَنَحْنُ مَوَالِيهِ وَأَوْلِيَاؤُهُ.

ثمّ تقوم وتصلّي شكراً للّه تعالى ركعتين وتقرأ في الأُولى الحمد والقدر، وفي الثانية الحمد والتوحيد، وتقنت، وتركع، وتتمّ الصلاة، وتسلّم، وتخرّ ساجداً وتقول في سجودك:

اللَهُمَّ إنَّا إلَيْكَ نُوَجِّهُ وُجُوهَنَا فِي يَوْمِ عِيدِنَا الَّذي شَرَّفْتَنَا فِيهِ بِوَلَايَةِ مَوْلَانَا أميرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ؛ عَلَيْكَ نَتَوَكَّلُ، وَبِكَ نَسْتَعِينُ فِي أُمُورِنَا.

اللَهُمَّ لَكَ سَجَدَتْ وُجوهُنَا، وَأَشْعَارُنَا، وَأَبْشَارُهَا، وَجُلُودُنَا، وَعُرُوقُنَا، وَأَعْظُمُنَا، وَأَعْصَابُنَا، وَلُحُومُنَا، وَدِمَاؤُنَا.

اللَهُمَّ إيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نَخْضَعُ، وَلَكَ نَسْجُدُ عَلَى مِلَّةِ إبْرَاهِيمَ وَدِينِ مُحَمَّدٍ، وَوَلَايَةِ عَلِيٍّ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، حُنَفَاءَ مُسْلِمِينَ، وَمَا نَحْنُ مِنَ المُشْرِكِينَ وَلَا مِنَ الجَاحِدِينَ.

اللَهُمَّ العَنِ الجَاحِدِينَ المُعَانِدِينَ المُخَالِفِينَ لِأَمْرِكَ وَأَمْرِ رَسُولِكَ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. اللَهُمَّ العَنِ المُبْغِضِينَ لَهُمْ لَعْناً كَثِيراً لَا يَنْقَطِعُ أَوَّلُهُ وَلَا يَنْفَدُ آخِرُهُ.

اللَهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَثَبِّتْنَا عَلَى مُوَالَاتِكَ، وَمُوَالَاةِ رَسُولِكَ وَآلِ رَسُولِكَ وَمُوَالَاةِ أميرِ المُؤْمِنِينَ صَلَواتُ اللَهِ عَلَيْهِم.

اللَهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَأَحْسِنْ مُنْقَلَبَنَا يَا سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا.

ثُمّ كُلْ واشرب، وأظهر السرور، وأطعم إخوانك، وأكثر برّهم! واقض حوائج إخوانك إعظاماً ليومك! وخلافاً على من أظهر فيه الاغتمام والحزن، ضَاعَفَ اللَهُ حُزْنَهُمْ وَغَمَّهَمْ. والحق بإخوانك، واسع في قضاء

حوائجهم ![1]

وذكر العلّامة الأمينيّ بإسناد الكلينيّ ، عن الحسين بن الحسن الحسينيّ ، عن محمّد بن موسى الهَمْدانيّ ، عن عليّ بن حسّان الواسِطيّ ، عن عليّ بن الحسين العَبْديّ قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

صِيَامُ يَوْمِ غَدِيرِ خُمٍّ يَعْدِلُ عِنْدَ اللَهِ فِي كُلِّ عَامٍ مِائَةَ حِجَّةٍ وَمائِةِ عُمْرَةٍ مَبْرُورَاتٍ مُتَقَبَّلَاتٍ ، وَهُوَ عِيدُ اللَهِ الأَكْبَرُ ـ الحديث .[2]

وفي «مختصر بصائر الدرجات» بإسناده عن محمّد بن العَلاء الهَمْدانيّ الواسِطيّ ، ويحيى بن جريح البغداديّ ، قالا في حديث : قصدنا جميعاً **أحمد بن إسحاق القمّيّ** ، صاحب الإمام **أبي محمّد العَسْكَريّ** ، المتوفّى بمدينة قم سنة ٢٦٠ ، وقرعنا عليه الباب ، فخرجت إلينا من داره صبيّة عراقيّة فسألناها عنه ! فقالت : هو مشغول بعيده ، فإنّه يوم عيد !

فتعجّبنا وقلنا : **سُبْحَانَ اللَهِ !** أعياد الشيعة أربعة : الأضحى ، والفطر ، والغدير ، والجمعة ـ الحديث .[3]

وجاء عن كتاب «النَّشْر والطيّ» ، عن الرضا عليه السلام ، في حديث طويل : يوم الغدير يوم التهنئة ، وإذا لقى المؤمن أخاه يقول :

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنَ المُتَمَسِّكِينَ بِوِلَايَةِ أميرِ المُؤْمِنِينَ وَالأَئِمَّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .[4]

وورد في كتاب محمّد بن عليّ الطرازيّ ، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث : إذا لقيت أخاك المؤمن ، فقل :

١ـ «الإقبال» ص ٤٧٤ و ٤٧٥ .

٢ و ٣ـ «الغدير» ج ١ ، ص ٢٨٦ و ٢٨٧ .

٤ـ «الإقبال» ، ص ٤٦٤ .

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِهَذَا اليَوْمِ، وَجَعَلَنَا مِنَ المُؤْمِنِينَ وَجَعَلَنَا مِنَ المُوفِينَ بِعَهْدِهِ الَّذِي عَهِدَهُ إِلَيْنَا وَمِيثَاقِهِ الَّذِي وَاثَقَنَا بِهِ مِنْ وِلَايَةِ وُلَاةِ أَمْرِهِ وَالقُوَّامِ بِقِسْطِهِ وَلَمْ يَجْعَلْنَا مِنَ الجَاحِدِينَ وَالمُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ.[1]

ووردت في يوم الغدير أدعية مختصرة ومطوّلة. ونقل المرحوم السيّد ابن طاووس أعلى الله تعالى درجته أدعية مطوّلة عن الإمام الصادق، وعن بعض الكتب القديمة، ورواية الشيخ المفيد.[2]

ووردت في ذلك اليوم زيارة مخصوصة لمولى الموالي أمير المؤمنين عليه السلام يزار بها من قريب أو بعيد. وثمّة زيارة أُثرت عن الإمام الصادق عليه السلام نقلها ابن طاووس عن عدّة من مشايخ الشيعة، عن أبي عبد الله محمّد بن أحمد الصفوانيّ في كتابه بإسناده إلى الإمام، قال: إذا كنت في يوم الغدير في مشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، فادن من قبره بعد الصلاة والدعاء! وإن كنت في بُعد، فأوم إليه بعد الصلاة! واقرأ هذا الدعاء، **اللَهُمَّ صَلِّ عَلَى وَلِيِّكَ وَأَخِي نَبِيِّكَ وَوَزِيرِهِ وَحَبِيبِهِ وَخَلِيلِهِ وَمَوْضِعِ سِرِّهِ وَخِيَرَتِهِ مِنْ أُسْرَتِهِ وَوَصِيِّهِ** ـ إلى آخره.[3]

ومن الزيارات، زيارة أمين الله المعروفة، ذكرها ابن طاووس في زيارة الغدير. قال السيّد: **فَصْلٌ** فيما نذكره من تعيين زيارة لمولانا عليّ عليه السلام في يوم الغدير.

اعلم أنّنا ذكرنا في كتاب «**مِصْبَاحِ الزَّائِرِ وَجَنَاحَ المُسَافِرِ**» عدّة روايات مطوّلات يضيق عن مثلها مثل هذا الميقات، لأنّ يوم الغدير

١ـ «الإقبال» ص ٤٧٦.

٢ـ «الإقبال» ص ٤٧٦ إلى ٤٩٣.

٣ـ «الإقبال» ص ٤٩٣ و ٤٩٤.

يختصّ بيومه زيارات في كتاب المَسَرَّة من كتاب «**المَزَار**» لابن أبي قُـرَّة . وهي زيارات يوم الغدير رويناها عن جماعة إلى ابن أبي قرّة :

منها ، قال ابن أبي قُرَّة : أخبرنا محمّد بن عبد الله ، قال : أخبرنا أبي ، قال : أخبرنا الحسن بن يوسف بن عميرة ، عن أبيه ، عن جابر بـن يـزيد الجُعْفِيّ ، عن **أبي جعفر محمّد بن عليّ** عـليهما السـلام ، قـال : كـان أبـي عليّ بن الحسين عليهما السلام قد اتّخذ منزله من بعد مقتل أبيه الحسين بن عليّ عليهما السلام بيتاً من شعر ، وأقام بالبادية ، فـلبث بـها عـدّة سـنين ، كراهيةً لمخالطته الناس وملابستهم .

وكان دأبه أنّه يسير من البـادية بـمقامه بـها إلى العـراق زائـراً لأبـيه وجدّه عليهما السلام ، ولا يشعر بذلك احداً .

قال **مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيّ** : فخرج أبي سلام الله عـليه مـتوجّهاً إلى العـراق لزيارة أمير المـؤمنين عـليه السـلام ، وأنـا مـعه ، وليس مـعنا ذو روح إلّا الناقتين .

فلمّا انتهى إلى النجف من بلاد الكوفة ، وصار إلى مكانه منه ، فبكى حتّى اخضلّت لحيته بدموعه ، ثمّ قال : **السَّلَامُ عَـلَيْكَ يَـا أَمِـيرَ المُـؤْمِنِينَ ! وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَ اللهِ فِي أَرْضِـهِ وَحُـجَّتَهُ عَـلَى عِبَادِهِ** ، إلى أن بلغ قوله : **مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيَا بِحَمْدِكَ وَثَنَائِكَ** . ثمّ وضع خدّه على القبر ، وقال : **اللَهُمَّ إنَّ قُلُوبَ المُـخْبِتِينَ إلَـيْكَ وَالِـهَةٌ** ، إلى أن قـال : **وَغَايَةُ رَجَائِي ، فِي مُنْقَلَبِي وَمَثْوَايَ** .

قال جابر الجعفيّ : قال لي الباقر عليه السلام : ما قـال هـذا الكـلام ، ولا دعا به أحد من شيعتنا عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، أو عند قبر أحد من الأئمّة عليهم السلام إلّا وقّع دعاؤه في دَرَج من نور ، بطابع مـحمّد صلّى الله عليه وآله ، [وكان محفوظاً كذلك] حتّى يسلّم إلى **قائم آل مـحمّد**

صلوات الله عليه ، فيتلقّى صاحبه بالبشرى والتحيّة والكرامة ، إن شاء الله .[1]

قال جابر : حدّثت بهذا الحديث أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام ، فقال : زد فيه : إذا ودّعت أحد الأئمّة ، فقل :

السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الإِمَامُ وَرَحْمَةُ اللَهِ وَبَرَكَاتُهُ! أَسْتَوْدِعُكَ اللَهَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَهِ! آمَنَّا بِالرَّسُولِ وَبِمَا جِئْتُمْ بِهِ وَبِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ! اللَهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ العَهْدِ مِنْ زِيَارَتِي وَلِيَّكَ ، اللَهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي ثَوَابَ مَزَارِهِ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُ وَيَسِّرْ لَنَا العَوْدَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَهُ!

وقال السيّد ابن طاووس بعد نقل هذه الزيارة المعتبرة عن كتاب «المزار» لابن أبي قُرّة : أقول : وقد زار مولانا الصادق عليه السلام قبر أمير المؤمنين عليه السلام بنحو هذه الألفاظ من الزيارة ، تركنا ذكرها خوف الإطالة .

وروى جدّي أبو جعفر الطوسيّ[2] هذه الزيارة ليوم الغدير عن جابر الجُعفيّ ، عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ مولانا عليّ بن الحسين

١ـ روى الشيخ الطوسيّ هذه الزيارة إلى هنا في «مصباح المتهجّد» ص ٥١٤ و ٥١٥ مرسلةً عن جابر الجعفيّ .

٢ـ عليّ بن طاووس من جهة الأب من أولاد طاووس، وطاووس من أولاد الإمام الحسن المجتبى، بهذه السلالة: عليّ بن موسى بن جعفر بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن محمّد الطاووسيّ بن إسحاق بن الحسن بن محمّد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنّى بن الإمام المجتبى الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام.(«الكنى والألقاب» ج ٣، ص ٢٩٩ ؛ و«تنقيح المقال» ج ٢، ص ٣١١). ومن جهة الأُمّ حفيد ابن إدريس، وابن إدريس ابن حفيد الشيخ الطوسيّ. وأخوه لأُمّه وأبيه السيّد أحمد بن طاووس («ريحانة الأدب» ج ٨، ص ٧٦).

عليهما السلام زار أمير المؤمنين بهذه الزيارة في يوم الغدير ، وفي ألفاظها خلاف ، ولم يذكر فيها وداع .[١]

ومن الأعمال في عيد الغدير : الصيام إذ مرّت في تضاعيف هذا البحث كثير من روايات الخاصّة والعامّة في فضيلة صوم هذا اليوم . وذكر أنّ ثوابه يعدل ثواب صيام ستّين شهراً ، وثمانين شهراً ، وستّين سنة ، وستّين شهراً في الأشهر الحرم .

وننقل فيما يأتي رواية عن ابن طاووس ، عن كتاب محمّد بن عليّ الطرازيّ ، عن أبي الحسن عبد القاهر بوّاب الإمام موسى بن جعفر ، وأبي جعفر محمّد بن عليّ الجواد عليهما السلام ، قال : حدّثنا أبو الحسن عليّ بن حَسَّان الواسطيّ ب«واسط» في سنة ثلاثمائة ، قال : حدّثني عليّ بن الحسن بن عليّ العبديّ ، قال : سمعت **أَبَا عَبْدِ اللَهِ جَعْفَر بن مُحَمَّدٍ الصَّادِق** عليه وعلى آبائه وأبنائه السلام يقول :

صَوْمُ يَوْمِ غَدِيرِ خُمٍّ يَعْدِلُ صِيَامُ الدُّنْيَا لَوْ عَاشَ إِنْسَانٌ عُمْرَ الدُّنْيَا ثُمَّ لَوْ صَامَ مَا عُمِّرَتِ الدُّنْيَا لَكَانَ لَهُ ثَوَابُ ذَلِكَ. وَصِيَامُهُ يَعْدِلُ عِنْدَ اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ مِائَةَ حِجَّةٍ وَمِائَةَ عُمْرَةٍ وَهُوَ عِيدُ اللَهِ الأَكْبَرُ.

وَمَا بَعَثَ اللَهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيّاً إِلَّا وَتَعَيَّدَ فِي هَذَا اليَوْمِ، وَعَرَفَ حُرْمَتَهُ. وَاسْمُهُ فِي السَّمَاءِ يَوْمُ العَهْدِ المَعْهُودِ، وَفِي الأَرْضِ يَوْمُ المِيثَاقِ المأْخُوذِ وَالجَمْعِ المَشْهُودِ ـ الحديث .[٢]

ومن المَثُوبات والقُرُبات في يوم الغدير تفطير المؤمنين الذي تمّ التأكيد عليه في ذلك اليوم .

١ـ «الإقبال» ص ٤٧٠ و ٤٧١ .

٢ـ «الإقبال» ص ٤٧٦ ؛ و «بحار الأنوار» ج ٢٠ ، ص ٣١٤ ، طبعة الكمبانيّ .

وذكر السيّد ابن طاووس رواية مفصلّة في فضيلة يوم الغدير عن كتاب «النَّشر والطَّيّ» ، يقول الإمام الرضا عليه السلام في فقرات منها : **وَيَوْمُ تَفْطِيرِ الصَّائِمِينَ ، فَمَنْ فَطَّرَ فِيهِ صَائِمَاً مُؤْمِنَاً كَانَ كَمَنْ أطْعَمَ فِئَامَاً** [١] **وَفِئامَاً إلى أنْ عَدَّ عَشْرَاً ، ثُمَّ قَالَ : أوَ تَدْرِي مَا الفِئام ؟! قَالَ : لَا ! قَالَ : مِائَةُ أَلْفٍ ، وَهُوَ يَوْمُ التَّهْنِئَةِ يُهَنِّىءُ بَعْضُكُمْ بَعْضَاً .** [٢]

و على ضوء ما ذكرنا في كتابنا «معاد شناسى» [٣] (= معرفة المعاد) ، أنّ ثواب العمل يرتكز على حقيقة العمل وباطنه ، وعلى النيّة ودرجة الخلوص وارتباط العمل بالله ، وأنّه يرفع الحجاب ، ويولّد التقرّب الحقيقيّ من الله ، يستبين لناكيف تترتّب هذه المثوبات العظيمة والجزاءات الوافية على أعمال يوم الغدير ، لأنّ العمل لا قيمة له ما لم ينبع من الإخلاص ، ولم تَشُبْهُ شائبة الرياء والسمعة وسائر الأغراض ، فحقيقة صحّة الأعمال منوطة بعدم إنكار الله ، ونبيّه ، والولاية ، وإذا انتهجت النهج الإلهيّ في صراط القرب المستقيم ، فإنّها تُقْبَل . وكلّما تشرّب العمل بطعم المحبّة ، والخلوص ، والصفاء ، والوفاء ، والحقيقة ، زادت قيمته .

إنّ يوم الغدير الذي هو يوم تمييز الحقّ من الباطل ، ويوم إعداد الصفوف من جنود الله قبالة تشكيل جنود الشيطان ، هو يوم الامتحان والبلاء العظيم ، ويوم افتراق الظاهر والصورة عن الحقيقة والواقع والمعنى والباطن .

١ـ الفئام في اللغة الجماعة من الناس . ويقول الإمام هنا بخاصّة : المقصود من هذه الجماعة التي لها ثواب الصيام مائة ألف شخص.

٢ـ «الإقبال» ص ٤٦٤.

٣ـ في المجلسين التاسع والعاشر من الجزء الأوّل، وفي المجلس الثالث والستّين من الجزء التاسع.

إنّ يوم الغدير هو يوم محاربة الشيطان للّه ، ويوم تجلّي الولاية ، وكلّ من كان في صفّ المؤمنين ، وأقرّ بأمر رسول الله ، وقبل الآيات النازلة في القرآن ، وتقلّد ولاية عليّ طوعاً ورغبة بلا إكراه وإجبار ، وفتح صدره وفرش قلبه للطاعة والتبعيّة ، فإنّه يتبيّن عظم قدره وقيمته . ولذلك فإنّ يوم الغدير هو يوم الامتحان النهائيّ ، وهو يوم النجاح والرسوب . والكلّ يعلمون أنّ جهود سنة ، أو مرحلة ، أو عمر ، يبذلها الطالب تتجلّى يوم الامتحان . فكلّ ساعة من يوم الامتحان تعدل ساعات من غيره . ولو غاب طالب المدرسة في الأوقات العاديّة أُسبوعاً أو أكثر ، فإنّ غيابه يمكن تداركه وتلافيه ، أمّا لو غاب ساعة من يوم الامتحان ، فإنّ غيابه يساوي إهدار جميع أتعابه ومساعيه ، وتحمّله المشاكل المختلفة طيلة سنة كاملة .

وإذا احترم أحد يوم الغدير ، فإنّه احترم كلام الله ورسوله وخليفته . فيوم الغدير يعادل عمر الدهر ، وساعة من ساعاته تعدل الأيّام والشهور ، ودقيقة من دقائقه ولحظة من لحظاته تساوي الأيّام الأُخرى ، وهَلُمَّ جَرًّا .

وعلى هذا إذا صام امرؤ في يوم الغدير طائعاً راغباً ، حبّاً لعليّ والولاية ، واستجابةً لنداء الحقّ ، فإنّ كلّ لحظة من عطشه وجوعه مساوية للأيّام والشهور الأُخرى . ولذا لا عجب ، بل طبقاً للموازين العقليّة والنظريّة ، أنّ الجزاء العظيم للعاملين في يوم عيد الغدير ، إذانتج عن قبول الولاية وربطها بالأمام بلا شكّ ، صحيح وثابت .

وهذه هي مدرسة الشيعة ، وهذا هو الانفتاح والحقيقة وذروة المحبّة والمودّة والإيثار والحقيقة التي تتدفّق منها كالنافورة . أمّا مدرسة العامّة الخائبة المسكينة فهي جامدة جافّة جوفاء ، إذ إنّ أتباعها عندما يصلون إلى رواية صحيحة مأثورة عن رسول الله على أنّ الصوم في يوم الغدير يعدل صوم ستّين شهراً ، ينسون أنفسهم ، ويقولون :كيف يمكن أن يكون صوم

يوم واحد مستحبّ معادلاً لصوم ستّين شهراً ؟!

وأورد ابن كثير الدمشقيّ في كتاب «البداية والنهاية» الرواية التي نقلناها سابقاً عن «تاريخ بغداد» ، وذكرنا أنّ الخطيب البغداديّ نصّ على عدالة ووثوق راويها حَبْشُون الخلّال ، وأحمد بن عبد الله بن أحمد النيّريّ . ولمّا ورد فيها أنّ رسول الله عدّ صيام يوم الغدير معادلاً لصيام ستّين شهراً ، أنكر ذلك . وفيما يأتي عبارة ابن كثير :

وأمّا الحديث الذي رواه ضمرة عن ابن شوذب ، عن مطر الورّاق ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة ، [وفيه] :

قَالَ : لَمَّا أَخَذَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِيَدِ عَلِيٍّ قَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ . فَأَنْزَلَ اللَهُ عَزَّ وَجَلَّ : «اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَهُوَ يَوْمُ غَدِيرِ خُمٍّ . مَن صَامَ يَوْمَ ثَمَان عَشْرَةَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ كُتِبَ لَهُ صِيَامُ سِتِّينَ شَهْرَاً .

فإنّه حديث منكر جدّاً ، بل كذب لمخالفته لما ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطّاب أنّ هذه الآية نزلت في يوم الجمعة يوم عرفة ، ورسول الله صلّى الله عليه وآله واقف بها كما قدّمنا . وكذا قوله إنّ صيام يوم الثامن عشر من ذي الحجّة ، وهو يوم غدير خمّ يعدل صيام ستّين شهراً لا يصحّ لأنّه قد ثبت ما معناه في الصحيح أنّ صيام شهر رمضان بعشرة أشهر ، فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستّين شهراً . هذا باطل .

وقد قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ بعد إيراده هذا الحديث : **هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ جِدَّاً .**

ورواه حبشون الخلّال ، وأحمد بن عبد الله بن أحمد النيّريّ ـ وهما صدوقان ـ عن **عليّ بن سعيد الرمليّ** ، عن **ضمرة** .

قال الذهبيّ : ويروى هذا الحديث من حديث عمر بن الخطّاب

ومالك بن الحُوَيْرِث ، وأنس بن مالك ، وأبي سعيد ، وغيرهم بأسانيد واهية . وقال الذهبيّ أيضاً :

وصدر الحديث متواتر ، أتيقّن أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قاله . وأمّا **اللَهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ** فزيادة قويّة الإسناد . وأمّا هذا الصوم ، فليس بصحيح ، ولا والله ما نزلت هذه الآية إلّا يوم عرفة قبل غدير خمّ بأيّام ، والله تعالى أعلم .[1]

هذا هو كلام ابن كثير نصّاً ، وقد نقلناه هنا حرفيّاً رعاية للأمانة .

ونقول في جواب الذهبيّ وتلميذه الذيليّ : على ضوء قاعدة وقانون باب التعادل والترجيح في علم الأُصول ، إذا تعارضت روايتان صحيحتان في المتن ، فإنّهما تسقطان عند فقدان المرجّحات بسبب التعارض ، وينبغي الرجوع إلى دليل آخر .

إنّ الرواية الواردة عن عمر بن الخطّاب ، المذكورة في الصحيحين ، على فرض صحّة سندها ، ينبغي أن تتعارض مع رواية الخطيب البغداديّ ، لأنّ تلك الرواية صحيحة السند أيضاً . وما هو الدليل والمرجّح على أن تعتبروا رواية عمر هي الأصل ؟ وتسقطوا رواية الخطيب لاختلاف متنها مع متن الرواية المشار إليها ؟!

إنّ رواة رواية الخطيب هم : **أبو هريرة ، وشهر بن حوشب الأشعريّ ، ومطر بن طهمان الورّاق أبو رجاء الخراسانيّ ، وأبو عبد الرحمن شوذب ، وضمرة بن ربيعة القُرَشيّ ، وأبو نصر عليّ بن سعيد الرمليّ ، وحبشون بن موسى بن أيّوب الخلّال ، والحافظ أبو الحسن عليّ بن عمر الدارقطنيّ** . وهؤلاء كلّهم عدول ثقات عند العامّة ، وهم حائزون على أعلى درجة في

١ـ «البداية والنهاية» ج ٥ ، ص ٢١٣ و ٢١٤ .

شروط قبول الخبر ، والرواية التي أوردوها هي رواية صحيحة كما يصطلح عليها ، ولا يتسنّى رفضها طاعةً للهوى ، كما لا يمكن إهمالها والتغاضي عنها لمخالفة مضمونها مضمون رواية عمر بن الخطّاب .

ونستخلص من هنا أنّ مقياس الصحّة والوثاقة والقبول والردّ في كتب العامّة قائم على أساس مذهبهم ، لا على قاعدة التراجيح ، فلهذا لا يبقى لهذه الروايات شأن عموماً ، لأنّه بناءً على مقياس المذهب والانحياز إلى الخلفاء ، تطعن وتقدح الرواية الواردة عنهم ، كالشخص المدّعي الذي يجعل نفسه شاهداً على دعواه .

وثانياً : إنّ نزول الآية **اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** في يوم الغدير كما تحدّثنا عن ذلك بالتفصيل سابقاً مدعوم بروايات أُخرى رواها ابن مردويه ، والطبريّ ، والخطيب ، وأبو نُعيم ، والسجستانيّ ، والحَسْكانيّ ، وابن عساكر ، وغيرهم في كتبهم ، وهذه الروايات تؤيّد رواية حبشون وترجّحها في مقابل رواية عمر .

وثالثاً : يمكن أن تكون الآية قد نزلت مرّتين ، كما قلنا سابقاً ، الأُولى في يوم عرفة بنحوٍ ، والثانية في يوم الغدير بنحوٍ آخر ، ذلك أنّ قضيّة الولاية قد طرحت في يوم عرفة ، وتمّ التأكيد عليها ، كما تفيده خطبة رسول الله .

يقول ابن كثير : لمّا جاء في الرواية أنّ صوم عيد الغدير يعادل صوم ستّين شهراً ، وإنّ هذا الكلام باطل ، فإنّ هذا البطلان يستلزم ضعف الرواية من أصلها .

ينبغيّ أن نقول له : ولم لا يعادل صوم الغدير صوم ستّين شهراً ؟ ويجيب بأنّه صوم مستحبّ ، وأنّه ليس أهمّ من صوم شهر رمضان الواجب ، وأنّ ثواب شهر رمضان يعدل ثواب عشرة أشهر . وعندما

تشرّفت بأداء فريضة الحجّ هذا العام ، جرى نقاش ذات ليلة مع أحد علماء الوهّابيّة في المسجد الحرام ، وكان قد حفظ كلام ابن كثير حول صوم الغدير نصّاً ، وقال : لمّا كانت هذه الرواية تعتبر صوم يوم واحد معادلاً لصوم ستّين شهراً ، وهذا لا يعقل ، لذلك لا حجّيّة لها .

وكان شابٌّ من شيعة البحرين جالساً إلى جنبي ، فقال له : كم يتقاضى هؤلاء السقّاؤون الذين تراهم يتجوّلون في المسجد الحرام ، ويتجشّمون العناء في إيصال آنية الماء الثقيلة إلى نقاط المسجد المختلفة ؟! قال : خمسمائة ريال سعوديّ كحدٍّ أعلى !

قال الشابّ : لو جاء الملك السعوديّ يوماً لزيارة المسجد الحرام والطواف فيه ، وبادر أحد السقّائين فملأ له إنّاءً نظيفاً من الماء عطّره بشيء من ماء الورد ، وقدّمه إليه مع باقة ورد ، أو ورقة خضراء ، مظهراً له الاحترام الكثير والأدب . فكافأه الملك بهديّة مقدارها ألف ريال ، فهل أساء الملك في عمله هذا ؟ قال : لا !

قال الشابّ : إنّ الراتب الشهريّ الذي يتقاضاه السقّاء لو قسّم على أيّام الشهر ، فإنّه يأخذ في كلّ يوم ستّة وعشرين ريالاً وشيئاً قليلاً معها ، والمبلغ الذي يستلمه طيلة الساعة التي يوجد فيها الملك لا تعدو ريالين أو ثلاثة ، وهذا المبلغ يأخذه مع راتبه الشهريّ ، فكيف يصحّ إعطاؤه ألف ريال بلا عوض إزاء عمل غير واجب ، ويمدح ذلك العقلاء ؟ فكذلك صوم الغدير الذي هو موهبة من مالك الملوك وملكهم وربّ الأرباب لعبد مخلص ومؤمن أراد التعبير عن حبّه وولائه لعليّ عليه السلام من خلال صيام يوم واحد . فلم يحر الوهّابيّ جواباً ، وأُلجم واجماً . **فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ**.[1]

١ـ الآية ٢٥٨ ، من السورة ٢ : البقرة.

قال الفخر الرازيّ في ذيل الآيات : **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ * فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ * كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ.**[1]

واحتجّ أصحابنا بهذه الآية على أنّ الثواب يحصل تفضّلاً من الله تعالى لا بطريق الاستحقاق . لأنّه تعالى لمّا عدّد أقسام ثواب المتّقين ، بيّن أنّها بأسرها إنّما حصلت على سبيل الفضل والإحسان من الله تعالى . وقال بعد ذلك : ذلك هو الفوز العظيم . واحتجّ أصحابنا بهذه الآية على أنّ التفضيل أعلى درجة من الثواب المستحقّ ، فإنّه تعالى وصفه بكونه فضلاً من الله ، ثمّ وصف الفضل من الله بكونه فوزاً عظيماً .

ويدلّ عليه أيضاً أنّ الملك العظيم إذا أعطى الأجير أُجرته ، ثمّ خلع على إنسان آخر ، فإنّ تلك الخلعة أعلى حالاً من إعطاء تلك الأُجرة .[2]

وقال ابن كثير نفسه في تفسير هذه الآية الكريمة : ثبت في الصحيح عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : **اعْمَلُوا وَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أنَّ أحَدَاً لَنْ يُدْخِلَهُ عَمَلُهُ الجَنَّةَ ! قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَهِ ؟! قَالَ: وَلَا أَنَا إلَّا أنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ.**[3]

١ـ الآيات ٥١ إلى ٥٩، من السورة ٤٤: الدخان.

٢ـ «تفسير الفخر الرازيّ» ج ٧، ص ٤٧٧، طبعة مطبعة السعادة.

٣ـ «تفسير القرآن»، لابن كثير، ج ٦، ص ٢٦٢، طبعة دار الفكر، وجاءت هذه الرواية في «صحيح البخاريّ» ج ٨، ص ٩٨ و ٩٩، كتاب الرقاق، طبعة بولاق سنة ١٣١٢هـ عن أبي هريرة وعائشة. وفي رواية أبي هريرة إضافة هي: **سَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا، وَرُوحُوا، وَشَيء مِنَ الدُّلْجَةِ ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلِغُوا!**

ومن هنا نقف على أنّ الثواب الإلهيّ بمقدار ما يكشف العمل عن حقيقة الإيمان . وكلّماكان الإيمان والخلوص أكثر ،كانت المثوبة أكثر . ومعلوم أنّ الإيمان والإخلاص اللذين هما من الصفات النفسيّة أدقّ وألطف وأظرف من الأعمال البدنيّة والخارجيّة المشهودة من واجبات ومحرّمات ومستحبّات ومكروهات ، إذ يكشفان مقام الامتثال فى العبد ويبيّنا مقدار حبّه وحقيقته . وهذه هي الأعمال المستحبّة والنوافل التي يؤدّيها العبد طائعاً راغباً بلا إلزام وإيجاب ، وتدنيه من مقام القرب ، وتجعل له موضعاً في حرم الأمن والأمان الإلهيّ ، وتصيّره جليساً وأنيساً وكليماً وحبيباً للّه . وحينئذٍ لا يكون الثواب ثواب صيام ستّين شهراً ، بل ستّين عاماً ، أو بحجم عمر الدهر ،كما جاء في بعض الروايات الأُخرى ، وبصورة عامّة ، عندما يخرج العبد في عمله ونيّته من الحدود والتعيّن إلى اللا تَعَيُّن ، فليس هناك إلّا الله وجماله وجلاله وبحر عظمته الذي لا حدّ له ، ومحيط علمه وحياته وقدرته الذي لا أمد له . وليس هناك حدّ ومقدار وحجم وكمّ وكيف وأين ومتى وجِدَة وفعل وانفعال . وهناك عالم التوحيد الذي لم يزل ولا يزال . وهناك بحر الإيقان والإيمان العميق ، والانصهار في القبسات الربّانيّة والنفحات السبحانيّة .

روى البخاريّ في صحيحه بسنده المتّصل عن أبي هريرة أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

إنَّ اللهَ قَالَ: مَن عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا. وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ

المُؤْمِنِ يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.[1]

وجاء في الروايات جزاء كثير للأعمال المستحبّة، كصوم العشرة فى

١ـ «صحيح البخاريّ» ج ٨، كتاب الرقاق، ص ١٠٥، طبعة بولاق. وجاء صدر هذا الحديث حتّى قوله: **وَإِنْ سَألني أعطيته** في الصفحة ٦٨ من كتاب «كلمة الله». وقال في الصفحة ٥١٨ من هذا الكتاب: أصل هذا الحديث أوّلاً في «المحاسن» للبرقيّ عن عبدالرحمن بن حمادة، عن حنان بن سدير، عن الإمام الصادق عليه السلام. والآخر في كتاب «الكافي» ج ٢، ص ٣٥٢ إذ ورد فيه بثلاثة أسناد: الأوّل: عن أبي عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبدالجبّار، وعن محمّد بن يحيى، وعن أحمد بن محمّد بن عيسى، وكلاهما رواه عن ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن حمّاد بن بشير، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله. الثاني: عن جماعة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ، عن إسماعيل بن مهران، عن أبي سعيد القمّاط، عن أبان بن تغلب، عن الإمام الباقر عليه السلام. الثالث: عن عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن المعلّى بن خنيس، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله. وورد هذا الحديث في كثير من الكتب، وروته العامّة بألفاظ مختلفة. وقال آية الله الميرزا جواد آقا الملكيّ التبريزيّ رضوان الله عليه في كتاب «لقاء الله»: هذا الحديث القدسيّ متّفق عليه بين جميع أهل الإسلام. وذكره الغزّاليّ في «إحياء العلوم» في كتاب المحبّة والشوق إلى الله، ج ٤، ص ٢٦٣. وعدّه العراقيّ في ذيل الصفحة من حديث البخاريّ، عن أبي هريرة. وأوردناه نحن في المجلس التاسع من دورة «معاد شناسى» (=معرفة المعاد). ونقل ذيل هذا الحديث، وهو قوله: **مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيءٍ أَنَا فَاعِلُهُ**، مع اختلاف الألفاظ في «الأمالي» للشيخ الطوسيّ؛ ج ٢، ص ٢٩، طبعة النجف سنة ١٣٨٤؛ وفي «بحار الأنوار» ج ٦، ص ١٥٢، الطبعة الحديثة عن «الأمالي» للطوسيّ؛ وكذلك في «المحاسن» للبرقيّ بسندين آخرين أحدهما: عن فضيل عن أبي حمزة الثماليّ، عن الإمام الصادق عليه السلام. الثاني: عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد بن عليّ الحلبيّ، عن الإمام الصادق عليه السلام. («المحاسن» للبرقيّ، كتاب الصفوة والنور والرحمة من المحاسن، باب الانفراد، ص ١٦٠) ونحن ذكرناه في المجلس الثامن من الجزء الأوّل من هذا الكتاب «معرفة الإمام».

ذي الحجّة ، إذ يعدل ثوابه ثواب صيام سنة ، وليلة فيها بليلة القدر .[١]

وكرواية عبد الله بن عمر إذ قال : كنّا ونحن مع رسول الله صلّى الله عليه وآله نعدل صوم يوم عرفة بسنتين .[٢]

وورد في صوم اليوم السابع والعشرين من شهر رجب أنّه يعدل صيام ستّين شهراً .[٣] وأمثال هذه الروايات التي تزخر بها كتب العامّة .

وعلى ابن كثير وأمثاله أن يعلموا أنّ الذنب ليس ذنب الرواية ، بل هو ذنب لفظة الغدير ، ويوم العيد ، ونزول آية الإكمال ، وكلمة عَلِيّ والمولى وأمثالها الواردة في هذه الرواية . وهذه الألفاظ لا ذنب لها أيضاً إلّا أنّها تدعو البشريّة إلى السعادة المطلقة والتوحيد والكمال النفسانيّ والابتعاد عن البهيميّة والشيطنة . **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ** .[٤]

وَمَا نَقَمُوَا إِلَّآ أَنْ أَغْنَـٰهُمُ ٱللَهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِ .[٥]

سَوَّدْتُ صِحيفَةَ أَعْمَالِي ... وَوَكَلْتُ الأَمْرَ إِلَى حَيْدَرْ
هُوَ كَهْفِيَ مِنْ نُوَبِ الدُّنْيَا ... وَشِفِيعِي فِي يَوْمِ المَحْشَرْ
قَدْ تَمَّتْ لِي بِوَلَايَتِهِ ... نِعَمٌ جَمَّتْ عَنْ أَنْ تُشْكُرْ
لِأُصِيبَ بِهَا الحَظَّ الأَوْفَى ... وَأُخَصَّصَ بِالسَّهمِ الأَوْفَرْ[٦]

١ـ «سنن ابن ماجه» ج ١، ص ٥٥١، باب صيام العشر؛ طبعة دار إحياء الكتب العربيّة، و«إحياء العلوم» ج ١، ص ٢١٣.

٢ـ «الغدير» ج ١، ص ٤٠٧ عن الطبرانيّ في «الأوسط».

٣ـ «السيرة الحلبيّة» ج ١، ص ٢٧٢ عن الدمياطيّ في سيرته.

٤ـ الآية ٨، من السورة ٨٥: البروج.

٥ـ الآية ٧٤، من السورة ٩: التوبة.

٦ـ أبيات من القصيدة الكوثريّة للمرحوم السيّد رضا الهنديّ العربيّ رحمه‌الله، وقد نقلناها تامّة في الدرس ١٠٢ إلى ١٠٧ من الجزء السابع من كتابنا هذا «معرفة الإمام».

الدرس الخامس والثلاثون بعد المائة

تعيين رسول الله أمير المؤمنين عليهما السلام
في يوم عيد الغدير

بِسْـمِ اللَهِ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيم
وصلَّى اللهُ على محمّد وآله الطَّاهرين
ولعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين
ولا حول ولا قوّة إلّا باللَه العليّ العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْـرَ مَـنْ أَحْسَـنَ عَمَلًا * أُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِـيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا.[1]

نلحظ في هذه الآية المباركة أنّها جعلت لباس أهل الجنّة من اللون الأخضر ، ومن السندس والإستبرق اللذين هما من أحسن أنواع الحرير .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ * فِـى جَـنَّـٰتٍ وَعُـيُونٍ * يَـلْبَسُونَ مِـن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ.[2]

فالناس المتّقون الذين يخافون الله وهم في عصمته وحفظه في مقامٍ أمين ومحلّ ليس فيه أذى . وفي جنّات مغطّاة بالأشجار إلى جانب العيون والأنهار وهم يرتدون السندس والإستبرق ويجلسون متقابلين .

١ـ الآيتان ٣٠ و ٣١، من السورة: ١٨: الكهف.

٢ـ الآيات ٥١ إلى ٥٣، من السورة ٤٤: الدخان.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَهُدُوٓا إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ.[1]

واعتبرت هذه الآيات المباركة أيضاً لباس أهل الجنّة من السندس والإستبرق والحرير.

إنّ هذا الضرب من اللباس جزاء أو تجسيد للباس التقوى والأثواب البسيطة غير الملوّثة التي كانت لهم في الدنيا. ذلك أنّ التزيّن بالذهب وارتداء الحرير الخالص يحرمان على الرجال في الشريعة الإسلاميّة. فالرجال والنساء المؤمنون المتّقون الذين يتحرّكون على نهج الأصالة والتحقيق والولاية، ولباسهم بسيط واقتصاديّ يرتدون يوم القيامة لباس الإستبرق والحرير.

وقال أمير المؤمنين عليه أفضل التحيّة والسلام في لباس المتّقين عند حديثه عن صفاتهم في خطبة همّام: **وَمَلْبَسُهُمُ الاقْتِصادُ.**[2] ويكتفون في إشباع شهواتهم وميولهم النفسانيّة بقدر الحاجة في ضرورة الحياة ومواصلتها.

وعلى هذا فإنفاقهم في الشؤون الخاصّة يقتصر على أشياء بسيطة كاللباس الذي يستر أجسامهم، بَيدَ أنّهم يتوسّعون في الخيرات والمبرّات والإيثار فيشمل توسّعهم نطاقاً شاسعاً من عمل الصالحات.

قال في «مصباح الشريعة» قال **الصَّادق** عليه السلام: أزين اللباس للمؤمن لباس التقوى. وأنعمه الإيمان. قال الله تعالى: **وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ**

١ـ الآيتان ٢٣ و ٢٤، من السورة ٢٢: الحجّ.

٢ـ «نهج البلاغة» الخطبة ١٩١.

ذَلِكَ خَيْرٌ.[١]

وأمّا اللباس الظاهر فنعمة من الله تعالى تستر بها عورات بني آدم. وهي كرامة أكرم الله بها ذريّة آدم ما لم يكرم بها غيرهم. وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم.

ثُمَّ قَالَ: وَخَيْرُ لِبَاسِكَ مَا لَا يَشْغَلُكَ عَنِ اللَهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَلْ يُقَرِّبُكَ مِنْ ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَطَاعَتِهِ، وَلَا يَحْمِلُكَ عَلَى العُجْبِ وَالرِّيَاءِ وَالتَّزْيينِ وَالتَّفَاخُرِ وَالخُيَلَاءِ، فَإِنَّهَا مِنْ آفَاتِ الدِّينِ وَمُورِثَةُ القَسْوَةِ فِي القَلْبِ.[٢]

نلحظ هنا أنّ الإمام الصادق عليه السلام يرى أنّ أفضل لباس هو اللباس الذي لا يشغل الإنسان عن الله بغيره. وهذا كلام جامع وكامل يمكن أن نفرّع منه فروعاً كثيرة.

ذلك أنّه جعل المعيار الوحيد للباس من حيث جنسه ونوعه، وقدمه وجدته، وقيمته وتفاهته، وسائر الجهات الأُخرى هو أنّه لا يشغل الإنسان عن الله بغير الله. وهذا كلام كلّيّ وعامّ يشمل ملابس متنوعة حسب المصاديق المختلفة.

إذ إنّ البعض عندما يرتدي لباساً قشيباً، يغفل عن ذكر الله. فلا ينبغي له أن يرتديه. والبعض الآخر عندما يرتدي لباساً قديماً ومرقّعاً، فإنّه يركّز نظره وانتباهه على قِدَمه وترقيعه، فليس له أن يلبسه، ذلك أنّه عندما يشغل باله باللباس، سواء من حيث جماله، أم من حيث قِدَمه، فإنّ هذا الانشغال انشغال بغير الله.

ويجب أن يكون اللباس عاديّاً، ولا يثير اختلافاً عند لابسه، قديماً

١ـ الآية ٢٦، من السورة ٧: الأعراف.

٢ـ «مصباح الشريعة»: الباب السابع.

كان أم جديداً ، ومرقّعاً كان أم سليماً ، ويكون عاديّاً تماماً ، ولا يجلب انتباه صاحبه ، وإلّا فإنّ جلب الانتباه هذا مذموم .

و هكذا يمكن بتنقيح المناط القطعيّ أن نستنتج من هذه العبارة ما يأتي : **خَيْرُ مَعَاشِكَ مَا لَا يَشْغَلُكَ عَنِ اللهِ . وَخَيْرُ دَارِ سُكْنَاكَ مَا لَا يَشْغَلُكَ عَنِ اللهِ ، وَخَيْرُ رَفِيقِكَ مَنْ لَا يَشْغَلُكَ عَنِ اللهِ ، وَخَيْرُ زَوْجَتِكَ مَنْ لَا تَشْغَلُكَ عَنِ اللهِ ! وَخَيْرُ بَنِيكَ مَنْ لَا يَشْغَلُونَكَ عَنِ اللهِ ! وَخَيْرُ وَطَنِكِ ! وَخَيْرُ عُمْرِكَ ! وَخَيْرُ عِلْمِكَ ! وَخَيْرُ عَمَلِكَ ! وَهَلُمَّ جَرَّاً !**

ونقل المحدّث القمّيّ عن الشيخ إبراهيم البيجوريّ شارح «الشمائل المحمديّة» أنّه قال في لباس رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ المصطفى صلّى الله عليه وآله قد أثر رثاثة الملبس ، وكان أكثر لبسه الخشن من الثياب . وكان يلبس الثوب ولم يقتصر من اللباس على صنف بعينه ، ولم تطلب نفسه التعالي فيه بل اقتصر على ما تدعو إليه ضرورته ، لكنّه كان يلبس الرفيع منه أحياناً . فقد أُهديت له حلّة اشتريت بثلاثة وثلاثين بعيراً أو ناقة فلبسها مرّة .

إلى أن قال : وقد تبع السلف النبيّ صلّى الله عليه وآله في رثاثة الملبس إظهاراً لحقارة ما حقّره الله لمّا رأوا تفاخر أهل اللهو بالزينة والملبس . والآن قست القلوب ونسي ذلك المعنى ، فاتّخذ الغافلون الرثاثة شبكة يصيدون بها الدنيا فانعكس الحال .

وقد أنكر شخص ذو أسمال على **الشاذليّ** . جمال هيئته ، فقال : يا هذا ! هيئتي تقول : **الحمد للّه** ، وهيئتك تقول : اعطوني !

وفي «نهج البلاغة» لمّا رؤي على أمير المؤمنين عليه السلام إزار خَلِق مرقوع ، فقيل له في ذلك . فقال : يخشع له القلب ، وتذلّ به النفس ، ويقتدي به المؤمنون .

وجاء في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ لباس أمير المؤمنين عليه السلام القميص إلى فوق الكعب ، والإزار إلى نصف الساق ، والرداء من بين يديه إلى ثدييه ، ومن خلفه إلى إليته ، اشترى كلّها بدينار ، ولمّا لبسه ، رفع يده إلى السماء فلم يزل يحمد الله على ما أكساه ! حتّى دخل منزله ، ثمّ قال : هذا اللباس الذي ينبغي للمسلمين أن يلبسوه .[1]

ومعلوم أنّ التأسّي بهؤلاء العظماء ، والاقتداء بسنّة هؤلاء الكبار من أولياء الله تعالى ،كم هو مفيد لسعادة الدنيا والآخرة . وكم يؤدّي الابتعاد عن هذا النهج القويم إلى سقوط البشر في مستنقع الآراء والأهواء الآسن ، وإغراقهم فيه ، حتّى يبدو الأمل بعيداً في التخلّص منه .

ونقرأ في «نهج البلاغة» أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تحدّث عن عدد من الأنبياء كموسى ، وداود ، وعيسى عليهم السلام ، ثمّ دعا إلى التأسّي برسول الله صلّى الله عليه وآله ، وكرّر دعوته إلى ذلك .

قال في البداية : **وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَافٍ لَكَ فِي الأُسْوَةِ، وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا وَكَثْرَةِ مَخَازِيها وَمَساوِيهَا.**

وقال بعد شرح شيء من منهاج رسول الله :

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ العِبَادِ إِلَى اللَهِ المُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَالمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ.

وبعد أن تحدّث عن أحوال رسول الله صلّى الله عليه وآله ونهجه في الخضوع والخشوع والتواضع والإعراض عن الدنيا وزينتها التي أبعدها

١ـ «سفينة البحار» ج ٢، ص ٥٠٣ و ٥٠٤.

حتّى عن قلبه وعينه ، ولم يحب أن يذكرها ، قال :

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا ، إِذْ جَاعَ مَعَ خَاصَّتِهِ وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ أَأَكْرَمَ اللَهُ بِذَلِكَ مُحَمَّداً أَمْ أَهَانَهُ ؟!

فَإِنْ قَالَ : أَهَانَهُ ، فَقَدْ كَذَبَ وَالعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ : أَكْرَمَهُ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ ، وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ .

فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ الهَلَكَةَ ، فَإِنَّ اللَهَ جَعَلَ مُحَمَّداً صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَماً لِلسَّاعَةِ ، وَمُبَشِّراً بِالجَنَّةِ وَمُنْذِراً بِالعُقُوبَةِ .[1]

ونَقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى : **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَهَ كَثِيرًا .**[2]

ونستخلص ممّا قيل أنّ رسول الله كان أُسوة بارزة وماثلة وقابلة للتأسّي الصالح ، سواء في الأُمور الدنيويّة أم الأُخرويّة ، والظاهريّة أم الباطنيّة ، والفرديّة أم الاجتماعيّة ، واللباس والمسكن ، والغذاء ، والنكاح ، والحرب والسلم .

ومادام المسلمون يتّبعون ذلك المَعْلَم الحقّ المتحقّق بالحقيقة في هذه الأمُور ، وكانت قبّعتهم بسيطة ، وعمامتهم على رأسهم ، ولباسهم

١ـ «نهج البلاغة» الخطبة ١٥٨. ذكر الشيخ رضيّ الدين أبو نصر الحسن بن فضل الطبرسيّ ، أحد أعيان علماء الشيعة وعظمائهم في القرن السادس ، هذه الخطبة كلّها في أوّل كتابه : «مكارم الأخلاق». ووضع كتابه المذكور على أساسها. ويعتبر كتاب «مكارم الأخلاق» من الكتب النفيسة التي تحوي مطالب مهمّة. وكان العلماء الأبرار السابقون يحملونه معهم دائماً في سفرهم وحضرهم.

٢ـ الآية ٢١ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب.

واسعاً، ولم يكن قصيراً ، وفراشهم بسيطاً بلا تجملّ ، وبيوتهم وعوائلهم على ذلك المنهاج ، فإنّ حياتهم طيّبة مقرونة بالعيش الهانئ ، وهدوء البال ، وسكينة الخاطر . ويقضون أعمارهم بالصحّة وسلامة الروح والعزّة واطمئنان الفكر والإيقان والإيمان .

وعندما ترك المسلمون تلك التقاليد والآداب بسبب سيطرة الغرب ، وغلبة الكفّار عليهم ، لبسوا القبّعات ، ووضعوا الرباط والزنّار الذي هو الصليب الخاصّ بالنصارى ، وضيّقوا لباسهم وقصّروه ، حتّى بلغ تحت الظهر ، بحيث إنّهم إذا انحنوا ، فإنّ أجسامهم تظهر من تحت اللباس ، ولبسوا السترة والبنطلون بدل الإزار والجبّة .[1] وحلقوا لحاهم . وبصورة عامّة ، أنّ رجالهم ونساءهم على السواء قلّدوا آداب الكفر ، وخاطوا ملابسهم طبقاً لأزيائهم ، وعيّنوا نوعها وموضتها وفقاً لذلك ، وتختّموا بحلقة أو خاتم من الذهب في يدهم اليسرى ، بدل التختّم بخاتم فضّة أو

١ـ ذكر الطبريّ ، وابن الأثير الجزريّ في تاريخهما، ونقل المحدّث القمّيّ عنهما أيضاً ما نصّه: **وَلَمّا بقي الحسين في ثلاثة أو أربعةً ، دَعَا بِسَرَاويل مُحَقَّقَة يَلْمَعُ فِيهَا البَصَرُ ، يمانيّ مُحَقَّق ، ففزَّرَهُ وَنَكَثَهُ لِكَيْلَا يُسْلَبَهُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : لَوْ لَبستَ تَحتَهُ التُّبَّان ! قَالَ : ذَلِكَ ثَوْبُ مَذَلَّةٍ وَلَا يَنْبَغِي لِي أَن أَلبسَهُ ، فَلَمَّا قُتِلَ سَلَبَهُ بَحْرُ بْنُ كَعْبٍ فَتَرَكَهُ مُجَرَّدًا.** (التُّبَّان والتُّنبان سروال قصير يبلغ طول كلّ فردة منه شبراً) (تاريخ الأُمم والملوك للطبريّ ، طبعة مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة ١٣٥٨ ، ج ٤ ، ص ٢٤٥ ، وطبعة دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ج ٥ ، ص ٤٥١ ؛ و«الكامل في التاريخ» ج ٤ ، ص ٧٧ ، طبعة بيروت ١٣٨٥ ؛ و«نفس المهموم» ص ٢٢٤ و ٢٢٥). وذكر صاحب هذا الكتاب: سراويل مخفّفة بالفاء، وهذا سهو منه، لأنّ خفّتها لا تنسجم مع السياق إلّا قليلاً، على عكس: محقّقة بالقاف، أي ، قويّة النسج. أجل، إنّ القصد من بيان هذا الحديث هو أنّ الإمام الحسين عليه السلام عدّ السروال القصير من لباس الذلّة، وأبى لبسه. وعلى أساس هذه السيرة الإسلاميّة تمتنع الأُمّة المسلمة من ارتداء اللباس القصير مطلقاً، على عكس الكفّار الذين ينتشر بينهم اللباس القصير.

الفيروزج أو العقيق بيدهم اليُمنى ، وارتدوا لباس الذلّة والأسر ، واستُرقّوا خاضعين للسيطرة الفكريّة التي تفرضها حكومة الكفر عليهم ، ففقدوا بذلك السعادة بكلّ ضروبها ، وضيّعوها مجّاناً ، ونشروا على رؤوسهم تراب الذلّة والمسكنة وعسر المعيشة والحياة الضنكى والذليلة بأيديهم .

في أيّ ملّة ومذهب ، وأيّ طريقة ودين ، وأيّ عقل وضمير طاهر ، يسمح الإنسان لنفسه أن يحلق لحيته في كلّ يوم ؟! هل وردت فيه مصلحة في كتب الطبّ ؟ أو أنّ له علامة وأمارة في كتب الآداب ؟ أو جاء في كتب الاقتصاد شرح لثمراته ومعطياته ؟ وفي أيّ منطق وحكم يجيز المرء لنفسه أن يرتدي لباساً ضيّقاً ، ويُمنى بأنواع المرض ؟ هل الرباط والزُّنّار والصليب منطقيّ وبرهانيّ ، وهو الذي كان يشدّه النصارى على بطونهم قبل الحروب الصليبيّة ، ثمّ شدّوه على أعناقهم بعدها ، وتعليقه في العنق من المحرّمات ، وهو من الملابس المختصّة بالكافرين ،كما أنّه يبطل الصلاة ؟

وهل لخاتم الذهب من دليل وبرهان ؟ وهو الذي لا شكّ في حرمته للرجال ، ولا ريب في إبطاله الصلاة ؟ أليست هذه الفصوص الجميلة والقيّمة التي أجازها الإسلام كالفيروزج ، والياقوت ، والعقيق ، والدُّرّ ، والزبرجد ، واللؤلو ، والزمرّد أجمل من لبس خاتم الذهب لو نقشت في الفضّة جيّداً ؟ في أيّ حساب أعمى يجيز المسلم لنفسه أن يقوم بهذه الأعمال والتصرّفات ، ويقلّد تقليداً بحتاً أشخاصاً لا ثقافة لهم ، ولا دين ، ولا شرف ، ولا فضيلة ، ولا علم ولا تقوى ، ولا إيثار ولا حميّة ، ولا ناموس ولا غَيْرَة ؟!

ألم تكن الآية الكريمة : **وَلَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ** كافية لأن توقظ هؤلاء وتنّبههم ؟ نعم ، إنّها كافية بحمد الله . ونرى اليوم شباباً أذكياء من شباب الأُمّة الإسلاميّة قد طرحوا

جميع تلك الآداب والتقاليد التي كان يعمل بها الشيوخ الطاعنون في السنّ المصابون بمرض الاستعمار ، واتّخذوا ذلك المنهاج هزواً ، وقد أقبلوا على الثقافة الإسلاميّة الأصيلة ببصر ثاقب ، وبصيرة حادّة ، وذهن وقّاد ، وتفحّص وتحسّس جدير بالثناء ، ولم يجدوا في طريقهم عقبة إلّا وحطّموها بزحفهم القويّ المتواصل ... وهم يقتربون أكثر من هدف النبيّ الكريم ومناره ، ويشربون من كأس الجنّة ، وينشدّون إلى ذلك المنهاج القويم وبرنامج الحياة الأساس ، ويسعون بوعى لبلوغ تلك الحقائق الأصيلة ، ومحو الاعتبارات الزائفة ، والأفكار والأوهام الواهية على كرور الأيّام .

شَكَرَ اللَهُ مَسَاعِيَهُمُ الجَمِيلَةَ وَبَلَّغَهُمْ غَايَةَ مُنَاهُمْ عَلَى النَّهْجَةِ المَرْضِيَةِ.

وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يضع العمامة على رأسه ، وأحياناً يضع **القَلَنْسُوة**[1] أو **البُرْطُلَة**.[2] وأفضل ما يضع على رأسه هو العمامة التي كان يثني عليها ويسمّيها تاج الملائكة وتاج العرب .

قال المجلسيّ في «بحار الأنوار» : وكان يلبس صلّى الله عليه وآله القلانس تحت العمامة ، ويلبس القلانس بغير العمامة ، والعمامة بغير القلانس . وكان يلبس البرطلة . وكان يلبس من القلانس التيهيّة اليمنيّة ، ومن البيض المصريّة (المضرّبة في نسخة البدل) ويلبس القلانس ذوات

١ـ **القَلَنْسُوة والقُلَنْسِيَة** نوع من ملابس الرأس، وهو على هيئات متعدّدة. وجمعه قَلانِس، وقَلانيس، وقَلَاس، وقَلَاسِي.

٢ـ البُرطُل على وزن قُنفذ وأُرْدُن نوع من القلنسوة، والبُرْطُلة شيء كانوا يضعونه على الرأس ويمنع حرارة الشمس.

الآذان في الحرب . منها ما يكون من الساجان [١] الخضر .

وكان [رسول الله] ربما نزع قلنسوته فجعلها سترة بين يديه يصلّي إليها .[٢]

وكان كثيراً ما يتعمّم العمائم الخزّ السود في أسفاره وغيرها ، ويعتجر اعتجاراً . وربما لم يكن له العمامة فيشدّ العصابة على رأسه أو على جبهته . وكثيراً ماكان يُرى قد شدّ العصابة على رأسه أو على جبهته .

وكانت له عمامة يعتمّ بها يقال لها : السحاب . فكساها عليّاً . وكان ربما طلع عليّ فيها . فيقول النبيّ صلّى الله عليه وآله : **أَتَاكُمْ عَلِيٌّ فِي السَّحَابِ !**

وقالت عائشة : ولقد لبس رسول الله صلّى الله عليه وآله جبّة صوف وعمامة صوف ، ثمّ خرج فخطب الناس على المنبر . فما رأيتُ شيئاً ممّا خلق الله تعالى أحسن منه فيها .[٣]

في يوم عيد الغدير شدّ رسول الله صلّى الله عليه وآله العمامة على رأس أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان ذلك بسبب انتصابه في مقام الخلافة والإمامة والولاية ، لأنّ صاحب الخلافة قد تعيّن وتحدّد لرسول الله في هذا اليوم ، وأُضفي عليه عنوان الإمارة والحكومة وخلافة مقام النبوّة وحمل أعباء الولاية ، ولابدّ من التتويج طبعاً يومئذٍ ، ولكن ليس كتتويج الملوك الجائرين والسلاطين الجبّارين الذين صنعوا العقيق والياقوت والدرّ من

١ـ الساج شجرة كبيرة. وخشبه من أصلب أنواع الخشب.

٢ـ هذه المطالب مذكورة في «كنز العمّال» ج ٧، ص ٧٢ و ٧٣. من الطبعة الثانية، حيدر آباد، سنة ١٣٧٨ هـ.

٣ـ «بحار الأنوار»، ج ٦، ص ١٥٥، طبعة الكمبانيّ، وج ١٦، ص ٢٥٠ و ٢٥١ الطبعة الحديثة، نقله عن كتاب «النبوّة» الذي رواه عن أنس بن مالك.

دموع الأرامل والأيتام ، وأنّات الأيتام والمحرومين ، ووضعوه على قبّعاتهم الذهبيّة .

فالتتويج ليس من هذا الضرب ، بل هو مَعْلَمُ فخرٍ وشرف لفضيلة الإمامة الإلهيّة الحقّة . والولاية الربوبيّة الحقيقيّة الكبرى ، وأنّ الرسول الأكرم خاتم السفراء المكرّمين ، وأفضل الأنبياء والمرسلين دعا خليفته الوحيد الذي هو كنفسه ، ذو قيمة ومقام ومنصب ، وعمّمه بعمامته المعروفة بالسحاب التي لها طرفان ، الأوّل معلّق من الأمام وهو أقصر ، والثاني معلّق من الخلف ، وهو أطول . ولُفّت هذه العمامة على رأس عليّ عدّة لفّات ، وأصبح بذلك متوّجاً بتاج الكرامة وعلامة الولاية . وتلك العمامة هي عمامة السحاب التي هي من مختصّات عمائم رسول الله كفصّ الخاتم الذي ينزعه السلطان من يده ويضعه في يد خليفته ، أوكالتاج الذي يرفعه من رأسه ويضعه على رأس القائم مقامه من بعده ، أوكردائه وعباءته ولباسه الخاصّ به الذي ينزعه ويلبسه إيّاه ، وكلّ ذلك دليل على إعطاء المنصب .

أجل ،كانت العمامة عند العرب لباساً محترماً ومعظّماً يلبسه أشرافهم وكبارهم ، وهي بمنزلة التاج الذي كان ملوك الفرس يضعونه على رؤوسهم .

أخرج مجد الدين بن الأثير الجَزَريّ في حديث قُتَادة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : **العَمَائِمُ تِيجَانُ العَرَبِ** .

ثمّ قال في شرحها : التيجان جمع تاج ، وهو ما يصاغ للملوك من الذهب والجواهر . [ومعناه أن تقول] : **وَقَدْ تَوَّجْتُهُ** إذا أَلبَسْتَهُ التاج أراد [رسول الله] أنّ العمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك ، لأنّهم أكثر ما يكونون في البوادي مكشوفي الرؤوس أو بالقلانس ، والعمائم فيهم

قليلة .[١]

وذكر السيوطيّ في «الجامع الصغير» أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال :

العَمَائِمُ تِيجَانُ العَرَبِ ، فَإذَا وَضَعُوا العَمَائِمَ وَضَعُوا عِزَّهُمْ .[٢] وروى السيوطيّ هذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وعدّه حديثاً صحيحاً .

وقال عبد الرؤوف المَنَاويّ في حاشية «الجامع الصغير» إنّ رسول الله قال : **العَمَائِمُ تِيجَانُ العَرَبِ ، إذَا وَضَعُوهَا وَضَعَ اللَهُ عِزَّهُمْ**.[٣]

وقال الزبيديّ في «تاج العروس» : التاج : الإكْليل ، والفضّة ، والعمامة ، والأخير على التشبيه ، وجمعه تيجان وأتواج . والعرب تسمّي العمامة : التاج . ثمّ ذكر حديث رسول الله ، ونقل ما أوردناه هنا عن الجَزَريّ في «النهاية» . ثمّ قال : **وَتَوَّجَهُ** ، أيّ : **سَوَّدَهُ وَعَمَّمَهُ**.[٤]

وقال الزبيديّ أيضاً في مادّة عَمَمَ : **وَالعِمامة** بالكسر **المغفر والبيضة** ،[٥] يكنّى بها عنهما . قال شيخنا : وضبطه بعض شرّاح كتاب «الشمائل» بالفتح أيضاً ، وهو غلط . والأصل فيها ما يلفّ على الرأس . والجمع **عَمَائم** ، **وعِمام** بالكسر . إلى أن قال :

١ـ «النهاية» مادّة تَوَجَ ، ج ١ ، ص ١٩٩.

٢ـ «الجامع الصغير» ج ٢ ، ص ٧٠، الطبعة الرابعة؛ و«كنز العمّال» ج ١٩ ، ص ٢٢٢.

٣ـ «كنوز الحقايق في حديث خير الخلائق» المطبوع في هامش «الجامع الصغير» للسيوطيّ ، الطبعة الرابعة، حرف العين، ص ٢١.

٤ـ «تاج العروس»، مادّة تَوَجَ ، ج ٢ ، ص ١٢.

٥ـ المِغْفَر زرد منسوج من الحديد يلبسه المحاربون تحت خوذتهم وقلنسوتهم، والبيضة بفتح الباء خوذة من حديد.

ومن المجاز **عُمِّمَ** بالضمّ ، أي : سُوِّدَ ، لأنّ تيجان العرب **العمائم**. فكلمّا قيل في العجم : توّج من التاج ، قيل في العرب : عُمِّمِ . قال الشاعر : **وَفِيهِمْ إذْ عَمَّمَ المُعَمِّم**.

وكانوا إذا سوّدوا رجلاً ، عمّموه **عِمَامَة حَمْرَاء** ، وكانت الفُرس تتوّج ملوكها ، فيقال له : **مُتَوَّج** ،كما قالت العرب : **مُعَمَّم**. **وعَمَّمَ رَأسَهُ**: لُفَّت عليه العمامة مثل **عُمَّ** بالضمّ .[1]

وقال الشَّبْلَنجِيّ : من ألقاب رسول الله صلّى الله عليه وآله : صاحب التاج . والمراد من التاج : العمامة ، لأنّه كما ورد في الحديث : **العَمَائِمُ تِيجَانُ العَرَبِ**.[2]

وعلى هذا الأساس عمّم رسول الله صلىّ الله عليه وآله **عليّ بن أبي طالب** بهيئة خاصّة تعرب عن الجلال والعظمة ، وتوَّجه بهذا التاج ، وكلّله بهذا الإكليل ، ولفّ بيده المباركة عمامة السحاب على رأسه ، وذلك بعد أن نصبه في الولاية ، وقال : **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**. وسمّاه **أمير المؤمنين** وعيّنه أميراً على أُولئك الأشخاص ، وأمر أصحابه ونساءه أن يهنّئوه ويسلّموا عليه بلفظ الإمارة قائلين : **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ** . ودلّ بعمله هذا في ذلك المحتشد العظيم على أنّ له . الإمارة والولاية والحكومة كالرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم مع الفارق المتمثّل أنّ رسول الله هو الأصل ، وعليّاً هو الفرع والقائم مقامه من بعده .

وروى شيخ الإسلام الحَمّوئيّ بعد عرض روايتين في غدير خمّ ، وذكر أشعار حسّان بن ثابت ، روى بسنده المتّصل عن أبي راشد ، عن

١ـ «تاج العروس» مادّة عَمَمَ ، ج ٨، ص ٤١٠.

٢ـ «نور الأبصار»، ص ٢٥.

عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: **قَالَ رَسُولُ اللَهِ: إنَّ اللَهَ أَيَّدَنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ بِمَلَائِكَةٍ مُعْتَمِّينَ هَذِهِ العِمَامَةَ. وَالعِمَامَةُ [هِيَ] الحَاجِزُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ.**

قَالَهُ لِعَلِيٍّ لَمَّا عَمَّمَهُ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ بِعِمَامَةٍ سَدَلَ طَرَفَهَا عَلَى مِنْكَبِهِ.[١]

وأخرج بسندٍ متّصل آخر عن أحمد بن عيسى بن عبد الله المعروف بأبي طاهر، وعن أبيه، عن جدّه، عن **جَعفر بن محمّد** عليهما السلام قال: **حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي أَنَّ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَمَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِمَامَتَهُ السَّحَابَ، فَأَرْخَاهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ [لَهُ] أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، [فَ]قَالَ: هَكَذَا جَاءَتَنِي المَلَائِكَةُ.**[٢]

وكذلك روى الحمّوئيّ بسند متّصل آخر، عن أبي راشد الحَرَّانيّ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال: **عَمَّمَنِي رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ بِعِمَامَةٍ فَسَدَلَ طَرَفَهَا عَلَى مِنْكَبِي، وَقَالَ: إنَّ اللَهَ أَيَّدَنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ بِمَلَائِكَةٍ مُعْتَمِّينَ بِهَذِهِ العِمَامَةِ.**[٣]

وقال العلّامة الأمينيّ: روى الحافظ عبد الله بن أبي شيبة، وأبو داود الطيالسيّ، وابن منيع البغويّ، وأبو بكر البيهقيّ، كما في «كنز العمّال» عن عليّ عليه السلام:

عَمَّمَنِي رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ بِعِمَامَةٍ فَسَدَلَهَا خَلْفِي (وفي لَفْظٍ: فَسَدَلَ طَرَفَهَا عَلَى مِنْكَبِي) ثُمَّ قَالَ: إنَّ اللَهَ

١ـ «فرائد السمطين»، ج ١، الباب ١٢، ص ٧٥، الحديث رقم ٤١.

٢ـ «فرائد السمطين»، ج ١، الباب ١٢، ص ٧٦، الحديث رقم ٤٢.

٣ـ «فرائد السمطين»، ج ١، الباب ١٢، ص ٧٦، الحديث ٤٣.

أَمَدَّنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ بِمَلَائِكَةٍ يَعْتَمُّونَ هَذِهِ العِمَّةَ. وَقَالَ: إِنَّ العِمَامَةَ حَاجِزَةٌ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيمَانِ.[1]

ثمّ قال الأمينيّ: ورواه من طريق السيوطيّ عن الأعلام الأربعة **السيّد أحْمَد القشاشيّ** في «**السِّمْط المجيد**».

وفي «كنز العمّال» عن مسند عبد الله بن الشخير، عن عبد الرحمن بن عديّ البحرانيّ، عن أخيه عبد الأعلى بن عديّ: **إِنَّ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِه دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَعَمَّمَهُ وَأَرْخَى عَذَبَةَ العِمَامَةِ مِنْ خَلْفِهِ.**[2] (الديلميّ).

وعن الحافظ الديلميّ، عن ابن عبّاس **قَالَ: لَمَّا عَمَّمَ رَسُولُ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيّاً بِالسَّحَابِ، قَالَ لَهُ: يَا عَلِيُّ! العَمَائِمُ تِيجَانُ العَرَبِ.**

وعن ابن شاذان في مشيخته عن عليّ بن أبي طالب: **إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَمَّمَهُ بِيَدِهِ فَذَنَّبَ العِمَامَةَ مِنْ وَرَائِهِ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ.**

وَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: هَكَذَا تَكُونُ تِيجَانُ المَلَائِكَةِ.

وأخرج الحافظ أبو نعيم في «**معرفة الصحابة**»، ومحبّ الدين الطبريّ في «**الرياض النضرة**» عن عبد الأعلى بن عديّ النهروانيّ: **إِنَّ رَسُولَ اللَهِ صَلَّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَلِيّاً يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ فَعَمَّمَهُ وَأَرْخَى عَذَبَةَ**

١ـ «روى هذا الحديث في «كنز العمّال» ج ١٩، ص ٢٢٢. الطبعة الثانية، حيدر آباد، عن الطيالسيّ والبيهقيّ: عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢ـ «الغدير» ج ١، ص ٢٩١.

العِمَامَةِ مِنْ خَلْفِهِ.

وذكر العلّامة الزرقانيّ في «شرح المواهب».[1]

ونقل المولى عليّ المتّقي الهنديّ أحاديث عن رسول الله في فضيلة العمامة. فيما يأتي بعضها: أخرج الباورديّ عن ركانة، قال: **العِمَامَةُ عَلَى القَلَنْسُوةِ فَصْلُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ المُشْرِكِينَ، وَيُعْطَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِكُلِّ كَوْرَةٍ يَدُورُهَا عَلَى رَأسِهِ نُوراً.**

وعن «المعجم الكبير» للطبرانيّ، عن ابن عبّاس، وعن الطبرانيّ أيضاً، عن أُسامة: **اعْتَمُّوا تَزْدَادُوا حِلْمَاً!**

وعن البيهقيّ في «شعب الإيمان»، عن خالد بن معدان مرسلاً: **اعْتَمُّوا خَالِفُوا الأُمَمَ قَبْلَكُمْ!**

وعن الديلميّ في «مسند الفردوس» لجابر:

رَكْعَتَانِ بِعِمَامَةٍ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً بِلَا عِمَامَةٍ.

وعن ابن عساكر، عن عبد الله بن عمر: **صَلَاةٌ تَطَوَّع أَوْ فَرِيضَةٍ بِعِمَامَةٍ تَعْدِلُ خَمْساً وَعِشْرِينَ صَلَاةً بِلَا عِمَامَةٍ وَجُمْعَةٌ بِعِمَامَةٍ تَعْدِلُ سَبْعِينَ جُمْعَةً بِلَا عِمَامَةٍ.**

وعن الطبرانيّ، عن ابن عمر، وعن البيهقيّ في «شعب الإيمان»، عن عبادة:

عَلَيْكُمْ بِالعَمَائِم، فَإنَّها سِيمَا المَلَائِكَةِ، وَأَرْخُوا لَهَا خَلْفَ ظُهُورِكُمْ! إئْتُوا المَسَاجِدَ حَسِراً وَمُعَصَّبِينَ! فَإنَّ العَمَائِمَ تِيجَانُ المُسْلِمِينَ![2]

وعن الديلميّ، عن عمران بن حصين: **العَمَائِمُ وَقَارٌ لِلمُؤمِنِ، وعِزٌّ**

١ـ «الغدير» ج ١، ص ٢٩١.

٢ـ «كنز العمّال» ج ١٩، ص ٢٢٢ و ٢٢٣، الطبعة الثانية، حيدر آباد، سنة ١٣٩١.

لِلعَرَبِ، فَإذَا وَضَعَتِ العَرَبُ عَمَائِمَهَا وَضَعَتْ عِزَّهَا.

وعن الديلميّ أيضاً، عن ركانة، **لَا تَزَالُ أُمَّتي عَلَى الفِطْرَةِ مَا لَبِسُوا العَمَائِمَ عَلَى القَلَانِسْ.**[١]

أجل، كما رأينا في أحاديث كثيرة أنّها سنّة أكيدة على المسلمين أن يعتمّوا، وذلك عزّ وشرف. ويوجب قبول الصلاة والجزاء عليها أضعافاً مضاعفة، لأنّ هذا اللباس لباس النبيّ وأمير المؤمنين. ولكن ينبغي أن نعلم أنّ تلك العمامة الواردة في الشرع المطهّر ليست كالعمائم المألوفة، لأنّها ليست أكثر من كَورتين أو ثلاث كورات أوّلاً. وثانياً: ينبغي أن يُرْخَى طرفاها من الأمام ومن الخلف، لا أن يُدْخَلا في طيّاتها.

وكذلك يستحبّ للإنسان مطلقاً، وبخاصّة عند الصلاة، وخطبة الجمعة، والعيدين. أن يحمل الرداء على منكبه. والرداء غير العباءة المألوفة هذا اليوم، بل هو حلّة بهيئة لباس الإحرام يُلْقَى على المنكب. ونأمل أن تعود الميول والاتّجاهات من هذه العادات والتقاليد إلى حقيقتها الأُولى بعد الركون إلى حقائق الإسلام.

كم كان الاستعمار الكافر يقظاً في زحفه على المسلمين، إذ خطّط لمؤامرة ثقافيّة وأدبيّة ملحّة، واستعمل التعذيب والسجن، فقام أوّل ما قام بنزع العمائم عن الرؤوس. ولم تكن العمامة سابقاً لباساً خاصاً للفقهاء والعلماء، بل كان يلبسها جميع الناس بشتّى طبقاتهم، إمّا بدون طربوش أو يشدّونها عليه.

كان الاستعمار يأخذ الناس إلى القوميسيريّة، وينزع عمائمهم، ويشقّ جُبَبَهم، ويسلب عباءاتهم، ويقول لهم: من الضروريّ أن تلبسو زيّاً

١ـ «كنز العمّال» ج ١٩، ص ٢٢٣.

موحّداً ! وأيّ زيّ ؟ إنّه الزيُّ الأُوروبّيّ . ضعوا على رؤوسكم القبّة ، والبسوا السترة والبنطلون . وإنّ حلق اللحى ، ولبس الزنّار والربطة العنق هى من الواجبات في الدوائر الحكوميّة .

وكانوا يقولون : ليس شرف الإنسان في اللباس ، بل بالعلم ، والعلم حيثما كان ، علم ، والعالم في أيّ لباس كان ، هو عالم .

لقد كانوا يقولون خطأً ويغالطون . فشرف الإنسان بلباس النبيّ ، وبالهيئة التي عليها عمامة المولى أمير المؤمنين . ولو كان العالم في لباس النبيّ ، فهو عالم دينيّ . ولباس الكفر يمثّل مدرسة الكفر ويجسّد الإلحاد والانحراف . وإنّ جنود كلّ مملكة يعرفون بلباسهم ولونه وشعاره .

وفي العصر البهلويّ عندما كانوا ينزعون العمائم ، ولم يسمحوا بالعِمَّة قطّ ، نُقل عن أحد علماء تبريز أنّه كان يقول : جاء مدير الشرطة ذات يوم إلى بيتي يبلّغني أن أخلع العمامة ، فرفضت ، فقال لي : يا سماحة السيّد ! إنّ العلم ليس بالعمامة واللباس . ولا تختلف شخصيّة الإنسان سواء كان بالعمامة أم بغيرها ، وما هو تأثير العمامة ؟! فأجبته قائلاً : كنّا نخال إلى الآن أنّ العمامة لا تأثير لها على الشخصيّة والعلم ، والعالم يبقى عالماً مهما كان لباسه ، بَيدَ أنّ إصرارك وإلحاحك على نزع العمامة أثار عندنا الشكّ وجعلنا نوقن أنّ للعمامة تأثيرها الملحوظ ، فلهذا نحن مجدّون في الاحتفاظ بعمائمنا .

للّه الحمد وله المنّة إذ انكسر الكأس هذا اليوم وأُريق شرابه .

أجل ، لم نقصّر إلى الآن في شرح الأبحاث المتعلّقة بغدير خمّ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، وله الشكر إذ نختم بهذا الشكل النفيس ما انساب من القلم . وسنواصل حديثنا عن الأبحاث الباقية من دروس «معرفة الإمام» ، وله الحمد في الأُولى والآخرة ، وآخر دعوانا أن الحمد للّه

ربّ العالمين . تمّ في عصر يوم العشرين من شهر ربيع المولود سنة ستّ وأربعمائة وألف هجريّة في مدينة مشهد المقدّسة على شاهدها آلاف التحيّة والإكرام .